حسن موسى الصفّار

المرأة العظيمة

قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)



حَسَن مُوسى الصَّفار

المرأة العظيمة

قِراءَة في حَيَاة السَيِّدة زينب بنت عَلي عليها السلام

المرأة العظيمة

قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي عليها السلام

تأليف:

حسن موسى الصفّار



LONDON - BEIRUT

Email: arabdiffusion@hotmail.com

P.o. box: 113/5752 - Beirut

First Published in 2000

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

الفهرس

رسالة كريمة من الأستاذ العلاّمة الدكتور أسعد علي مرشد الاتّحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية وأستاذ الأدب والمنهج والنقد في جامعة دمشق..

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السماحة والسعادة الدكتور الشيخ حسن الصفار المحترم سلام الإسلام وبركات الله وتحية العرب، وبعد:

أسعدني لقبك الجديد [الدكتور]؛ لأنه اعتراف من خبراء مناهج البحث العلمي وفلاسفة التربية الإنسانية المتطلعة إلى الجنة..

وقد أذيع ترشيح اسمكم الشريف لهذا اللقب في مولد حفيدة خاتم الأنبياء ﷺ.. السيدة زينب ابنة علي والزهراء عليهما السلام .. ١٤١٩/٥/٥هـ..

في ملفكم: تقدير لمؤلفاتكم الجليلة، التي ذكر من عناوينها مثل رقم سورة الفتح.. أحدها: كتاب المرأة العظيمة..!..

ترى لجنة تنسيق المؤلفات العالمية: أن الكتاب يذكر بثلاثة نماذج أصيلة؛ فهو: عمدة... ووساطة... وطموح معجز؛ عمدة؛ لأنه كتب بخمسة وثلاثين عنواناً، كأنها الأبواب؛ ومن كتب التراث: عمدة ابن رشيق؛ بمئة وسبعة أبواب؛ بابها الخامس والثلاثون يصف أبواب كتابك بتقدير لجنة تنسيق المؤلفات العالمية.. في.. الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية.. بمعنى عنوانه وطبيعته ووظيفته؛ عنوانه: الاختراع والبديع... وبينهما: التوليد..

باب كتابك الأول: أشرف عائلة ٢١ - ٢٢

لقد ألفت آلاف الكتب حول هذا العنوان وشخصياته؛ من أحصى عدد الكتب التي ألفت بالنبي الأعظم وأفراد أسرته؛ «أحد الخمسةِ الذين هُم الأغراضُ في كلِّ منطقٍ والمعاني».

لقد قال أبو العلاء المعري: كثيراً في قليل، بتحديد الاتجاه إلى خمسة أصحاب العباءة، الذين أحدهم: جد زينب.. وأحدهم: أبوها.. وأحدهم: أمها ابنة النبي الخاتم.. والأحدان الآخران: أخواها الحسن والحسين..

بلغني أن موسوعة الحسين وحده: بلغت خمسمائة مجلَّد..

ومع هذا الاتساع الذي لا يحد لفضائل أفراد «أشرف عائلة»... فقد استطعتم: توصيل جلال الحضرة وجمالها.. وبأسلوب ابن رشيق في باب عمدته الخامس والثلاثين، الاختراع والإبداع.

أبوابُ كتابك جميعُها: لها صفات من التركيز المقنع..

في الباب السادس مثل: المحنة السياسية؛ ٥٣ ـ ٦٢ كنت مذكراً بجوِّ الوساطة بين المتنبي وخصومه؛ للقاضي الجرجاني.. هو يعتقد بموهبة المتنبي: ثروة للغة والشعر والتربية والنفس الإنسانية... ويحاول اجتذاب المتسرعين إلى التأني باكتشاف كنوز ثروة معرفية وإبداعية في أشرف حقول التراث العربي.. بعد الوحي وشعبه ما جئتَ به: وساطة أعلى واوسع... وأبقى وأنفع..

اجتذابك البينات.. حيادك.. طابع التأني العابر بمعرض واسع.. كل ذلك: جذب إلى تقدير موهبتك واستعدادك للتطور في عالم البحث والدراسات العليا.. ومستقبل الوعي الديمقراطي الحر..

كتاب «المرأة العظيمة»: أقنع بترشيحك للقب [دكتوراه الإبداع في فقه التبيُّن]..

الفقاهة في التبين: محكمة عدل مستقبلية.. كما كانت مع [الإسلام كما بدأ].. فما هي آيات التبين ومشتقات مادة [بَيَنَ]؟!

باب كتابك الخامس والثلاثون: نافذة إلى مشاهد من التبين، سميتَها [شيء من التحقيق ٢٣٣ ـ ٢٣٦]..

جاذبية هذا «الشيء من التحقيق» في «التجاذب الأخاذ» بين مصر.. والحجاز.. ودمشق..

الثلاثة يستبقون الخيرات؛ والثلاثة: لهم مؤيدات.. والباحث: يجتذب إلى «طموح المعجز» الذي أُخِذَ به فيلسوف الزهد، شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء، كما يصفون أبا العلاء المعري..

في تحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب لشرح ديوان المتنبي، المعروف باسم [معجز أحمد + اللامع العزيزي]، الذي قام به، فيلسوف المعرة.. نقل إلى المقدمة من «أمالي ابن الشجري» حكاية عن أبي العلاء: تُفَضِّلُ بيتين من الشعر، على كتاب من كتب الفلاسفة... والبيتان من قصيدة للمتنبي هما:

إلْفُ هذا الهواءِ أوقعَ في الأنفُسِ ... أنَّ الحِمامَ مُرُّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ ... والأسى لا يكون بعد الفراق

وتعليل المعري: «لأنهما متناهيان في الصدق، وحسن النظام، ولو لم يقل شاعر سواهما لكان فيهما جمال وشرف..!..

كل باب من أبواب كتابكم «المرأة العظيمة»: تستطيع الفطنة العربية أن تكتشف فيه من آبار الثروة المستقبلية، ما يجعله مستحقاً لتبيُّن المعري عما في بيتي المتنبي..

والحكم لأبواب هذا الكتاب: يستدعي القيام بمهمتين أخريين... أولاهما: مراضاة الكتب الأخرى.. والثانية: للمستقبل؟!

للمهمة الأولى: كلفت لجنة تنسيق المؤلفات العالمية بمتابعة آثاركم.. ووضع خلاصة تقديرية، للترجمة والأرشفة، وفق حداثة قواعد الحفظ العالمية الجديدة... ونرجو التعاون معهم، ليكون التبين في مراتبه الشرعية المترقية إلى إحسان وضوح الرؤية، بنيةٍ مرشدة إلى النية.. ودائماً: العطية على قدر النية.. والمرآة: تقدم صورة الوجه المتقدم نحوها..

وللمهمة الثانية: كلف رسام الاتحاد العالمي وخطاطه، في دمشق، الدكتور علي حمدان... ليخرج لوحة الشهادة بصورتكم الشريفة... ومنتقيات كلمات مركزة..

وإتماماً للصورة العالمية: تخرجون نماذج من الرسائل الاتحادية، القادمة من الغرب؛

مثل رسائل مترجمي صلوات الصحراء؛ U.S.A

مثل رسائل مترجمي أنا الشرق؛ أوروبا وأمريكا؛

مثل رسائل مترجمي زنجية في بلاد السويد، دانمارك، سويد، واشنطن، جنوب أفريقيا..

مثل رسائل فرعي بيت ابن عربي؛ دمشق ـ واشنطن..

الغرض من إخراج العمل الجديد: الاحتكاك المباشر بآثار من أعلام جامعة الإبداع، خارج الوطن العربي.. ثم اكتشاف أساليب جديدة من توصيل رسالة الرحمة العالمية للناس كافة؛ وستؤنسون بمواهب أبناء آدم وبناته، بألسنة وألوان مختلفات الصور، متحدات الغاية التي هي فاطر الفطرة..!..

صاحب السعادة والسماحة

الدكتور الشيخ حسن الصفار

المعذرة لكتبك الجليلة الأخرى.. فلأي منها: أرجُه النافع جدا.. لكن الأم والجنة: معلومتا العلائق.. فحتى نسعد بالجنة: لابد من تشريف الراس بالانحناء إلى حيث الجنة.. فكيف إذا كانت الأم [المرأة العظيمة]؟!كتابكم «علماء الدين»: واحد من راسيات الآثار.. رائع لهذا العصر الآتي، لكل أقطار المعمورة الآدمية..

ستجد في الرسائل الدائرة حول نشر «إخلاص الدين» بالانكليزية: عجباً من ملاحظات الناشر الأمريكي.. وستجد جوهري مطالبك من علماء الدين.. لقد صار الدين: **Religion** كلمة تحتاج النجدة في الغرب.. تأمل في [سياسة الأنفس والدول]؛ ص٨٥٧ = ٢٤

وكتابكم «التطلع للوحدة»: مطلب جوهري آخر.. وأرجو التأمل بالرسالة الفضائية بين أفريقيا وأمريكا، حول محرم ورمضان واللغة العربية والقرآن، في تلك الأوطان.. كذلك في مثل رسالة آدم راسكين؛ وما

نشرته المجلتان الأمريكيتان [الاختيار + المعرفة]، ربيع ١٩٩٢، حول «السعادة بلا موت»، خامس كتب «في أضواء القرآن»..

ستجعل انطباعات الدكتور حسن الصفار: في فاتحة رسائل اهتمام الغرب بقرآن الشرق ولغته وجنته..

شكراً لله الخالق.. وتحية للبلاد التي أنجبتك.. ومبارك لكما: اللقب وأنت.. وألتمس الدعاء لأفقر الفقراء:

أسعد علي
خادم الحق بالخلق
مرشد الاتحاد: خارج الوطن العربي
بحال ١٤٢٠/٧/٨هـ
١٩٩٩/١٠/١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذين يُبَلِّغُون رِسَالاتِ الله ويَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إلاَّ الله وَكَفَى بالله حَسِيباً﴾[1].

(1) سورة الأحزاب، الآية/٣٩.

إهداء

أقدّم هذا الكتاب بحبٍّ وخشوع إلى:

أمّي الحنون...

كما ربّتني صغيرا

وتحمّلت الآلام من أجلي كبيرا

جزاها الله عني خير الجزاء

وأدام عليّ ظلّها الوارف

ونفعني بدعواتها الصّادقة

(*) انتقلت الوالدة إلى رحمة الله تعالى بتاريخ ١٩ رمضان ١٤١٤هـ ودفنت بجوار السيدة زينب عليها السلام كما كانت تتمنى وترغب تغمدها الله برحمته وحشرها يوم القيامة في زمرة السيدة زينب عليها السلام وأنالها شفاعة جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

كلمات في البدء

يُعترف للمرأة بدورها الخلفي المساعد في صناعة العظماء وإبرازهم، حيث لاحظ العقلاء حضوراً مميزاً للمرأة في حياة الكثيرين من العظماء والزعماء الناجحين، فقالوا: «خلف كلّ عظيم امرأة».

ولكن هل يعني ذلك أنّ حظّ المرأة من العظمة هو في حدود دورها الخلفي (اللّوجستيكي)؟ وأنّها غير مؤهّلة للعظمة ذاتاً؟ أم ماذا؟.

إنّ العظمة تعني وجود مواصفات نفسية عالية، وامتلاك كفاءات ذهنية وعملية متقدمة، وإحداث تأثير فعلي هام على ساحة الحياة.

وبهذا المعنى للعظمة لا شيء يقصّر بالمرأة عن بلوغ درجتها. والتاريخ يخلّد لنا ذكرى العديد من النساء اللاتي ارتقين سنام العظمة، وبلغن ذروتها، كما لا يخلو حاضر البشرية من نماذج نسائية عظيمة.

وتأتي السيدة زينب عليها السلام في طليعة ومقدّمة النساء العظيمات في تاريخ الإنسانية.

* * *

واقع المرأة في مجتمعاتنا يحكي عمق التخلّف والانحطاط الذي انحدرنا إليه، فمع أننا نعيش أدنى درجات التّطور والنّمو، ومع حاجتنا إلى أقلّ وأبسط الطاقات والقدرات من أجل دفع عجلة التّنمية والتطور في بلادنا، إلاّ أنّ نصف مجتمعنا المتمثل في المرأة قد فرضنا عليه حالة الشّلل والعزلة والجمود.

وإذا ما عاشت المرأة جاهلة منغلقة على هامش الأحداث فإنّ تأثيرات وضعها الخاطيء سينعكس على كلّ المجتمع. وهل أبناء المجتمع إلاّ ثمرات أحشائها والمتربّون في أحضانها؟.

وأسوأ ما في الأمر أن يتمّ تجهيل المرأة واحتقارها وتهميشها باسم الإسلام!! حيث يرى بعض المتديّنين كراهة تعليم المرأة، واستحباب الأميّة والجهل لها! ويرون أفضليّة انزوائها في بيتها فلا تخرج حتّى للمشاركة في البرامج الدّينية كصلاة الجماعة!.

وإنّ صوتها عورة فلا يبلغ مسامع الرجال!.

وإنّ لا دخل لها في الشؤون السّياسية فجهاد المرأة حسن التبعّل لزوجها فقط!.

ويبالغ بعضهم أنّ على المرأة أن لا تخرج من بيتها إلاّ مرّتين في حياتها الأولى: من بيت أبيها إلى بيت زوجها عندما تتزوج. والثانية: من منزلها إلى القبر حينما تموت!!.

ويستندون في نسبة هذه الآراء الرّجعية للدّين على نصوص وروايات وفتاوي إمّا أن تكون مختلقة مصطنعة لا أساس لها، وإمّا أنّهم أساءوا فهمها وحرّفوا تفسيرها بما يتناسب مع أفكارهم المتحجّرة.

وأفضل ردّ يكشف زيف هذه الآراء، ويفضح الواقع المتخلّف للمرأة في مجتمعاتنا، ويثبت مخالفته للدين وبراءة الإسلام منه.

نقول: أفضل ردّ هو القراءة الواعية لحياة السيدة زينب.

وهل أحد يستطيع المزايدة على السيدة زينب في الدين، وهي وليدة النّبوّة، وخرّيجة بيت الوحي والرسالة، وعقيلة بني هاشم؟.

وحينما نقرأ شخصيتها العظيمة، ونراها العالمة العارفة، والمعلّمة المحدّثة، التي كانت تعلّم النساء، ويروي عنها الرجال.

ونراها الثّائرة المجاهدة حيث غادرت بيتها العائلي الهادىء والتحقت بقافلة الثّورة، لتنتقل من المدينة إلى مكة، ومنها إلى كربلاء، ثم إلى الكوفة والشام.

ونراها الخطيبة المفوّهة ترتجل الخطاب أمام جماهير الكوفة، وفي مجلس ابن زياد، ومجلس يزيد، حيث رجالات الحكم، والجمع الحاشد من الجند والأعيان.

هذه الصّور الحيّة التي نراها في حياة السيدة زينب، تناقض ما نراه من واقع المرأة في مجتمعاتنا فأين يقف الدين إذاً؟.

وأيّ من الواقعين يمثّل رؤية الإسلام ويجسّد تعاليمه؟.

* * *

وبعد:

قادني التّوفيق الإلهي منذ بضع سنوات لمجاورة السيدة زينب عليها السلام[1] والعيش قرب مقامها الشّريف في المنطقة التي تُعرف بإسمها جنوب دمشق الشام.

وقد أفاض الله عليّ الكثير من ألطافه ونعمه ببركتها، وكنت أهرع إلى مقامها وأتوسّل إلى الله (سبحانه) بحقّها وفضلها كلّما واجهني مشكل من مشاكل الحياة، فأعود مطمئناً برحمة الله واثقاً من عنايته وتسديده.

وأداءً لبعض حقّها الكبير فكّرت في تقديم خدمة متواضعة لساحة قدسها الشامخ، بالكتابة عن شيء من حياتها المجيدة وسيرتها المشرقة.

ورأيت آلاف الزّائرين يتقاطرون على حرمها الشريف من مختلف بقاع الأرض يقصدون التّقرب إلى الله (تعالى) بزيارتها، ويعبّرون عن عظيم حبّهم وولائهم لها ولأسرتها النّبويّة الكريمة.

لكن أكثر هؤلاء الزائرين كانوا يعانون من قلّة المعرفة، وضعف الاطّلاع على حياة السيدة زينب وأبعاد شخصيّتها العظيمة.

بالطّبع فإنّ مستوى الفائدة والثّواب من الزيارة يترتّب على مستوى المعرفة بشخصية المزور، كما ورد ذلك في العديد من النصوص والرّوايات التي تتحدّث عن ثواب وفضل زيارات قبور الأولياء، ومشاهد أئمة الهدى عليهم السلام حيث تجعل المعرفة شرطاً في حصول كامل الفائدة والثّواب، كالحديث الوارد عن الإمام الصّادق عليه السلام حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام :

«من زار الحسين عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجّة»[2].

وما ورد عن الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام :

«ما زارني أحد من أوليائي عارفاً بحقّي إلاّ تشفّعت فيه يوم القيامة»[3].

ومن الواضح أنّ المعرفة بالإمام أو الولي تدفع الإنسان للاقتداء به واستلهام القيم الخيّرة من حياته.

وقد يرغب الكثيرون في التعرّف على شخصية السيدة زينب، وخاصّة زوّار مرقدها الشريف، لكن وسائل هذه المعرفة وأدواتها ليست في متناول أيدي الجميع.

---

(١) مكثت بجوارها المبارك خمس سنوات تقريباً من بداية شهر رجب ١٤١٠هـ حتى شهر ربيع الثاني ١٤١٥هـ.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ٩٨ ص٤٣/ الطبعة الثانية/ مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م.

(٣) المصدر السابق جـ ٩٩ ص/٣٣.

فمن المتداول في البلدان المتقدّمة، أنّك حينما تزور متحفاً أو معلماً تاريخياً أو مقاماً لتخليد شخصية معيّنة، فإنّ وسائل التعريف بذلك المكان أو تلك الجهة متوفّرة عند البوّابة أو المدخل، من كتب ونشرات مصوّرة وأفلام ومرشدين سياحيين يشرحون لكِ ما تشاهده وتتساءل عنه. فلماذا لا يتوفّر عندنا شيء من هذا القبيل لإفادة الزائرين لمقامات الأئمة والأولياء ومعالم تاريخنا المجيد؟.

من هذا المنطلق، وبدافع الأداء لبعض حقّ السيدة زينب، شرعت في إعداد هذا الكتاب، لأُقدّم من خلاله صورة واضحة مبسّطة عن حياة السيدة زينب، وأبعاد شخصيّتها العظيمة.

بالتأكيد فإنّ التاريخ لم يحتفظ لنا بكلّ تفاصيل حياة السيدة زينب، كما أنّ بعض جوانب سيرتها أصبحت مسرحاً لاختلاف الرُّواة والمؤرّخين كتحديد زمان ومكان وفاتها وتعيين مدفنها وقبرها.

وقد اطّلعت حين اعداد هذا الكتاب على مجموعة من المؤلفات والكتابات عن شخصية السيدة زينب وحياتها، وكان في بعضها جودة وفائدة، لكن اعتماد بعض المؤلفين على الرّوايات غير الموثوقة، والمصادر الضّعيفة، واتباع طريقة السّرد التاريخي والقصصي دون أيّ تحليل أو استنتاج، ودون تركيز على المواقف والجوانب الأساسية في شخصيتها وسيرتها... كلّ ذلك يجعل استفادة القارىء محدودة، والمعرفة التي يكسبها عن السيدة زينب غير وافية.

وإذا كان الإلمام بسيرتها، أو إبراز كامل حقيقة شخصيتها، أمراً صعب المنال، فإنّ المطلوب هو بذل الجهد لرسم أجلى صورة عن ملامح شخصيتها العظيمة وسيرتها العطرة.

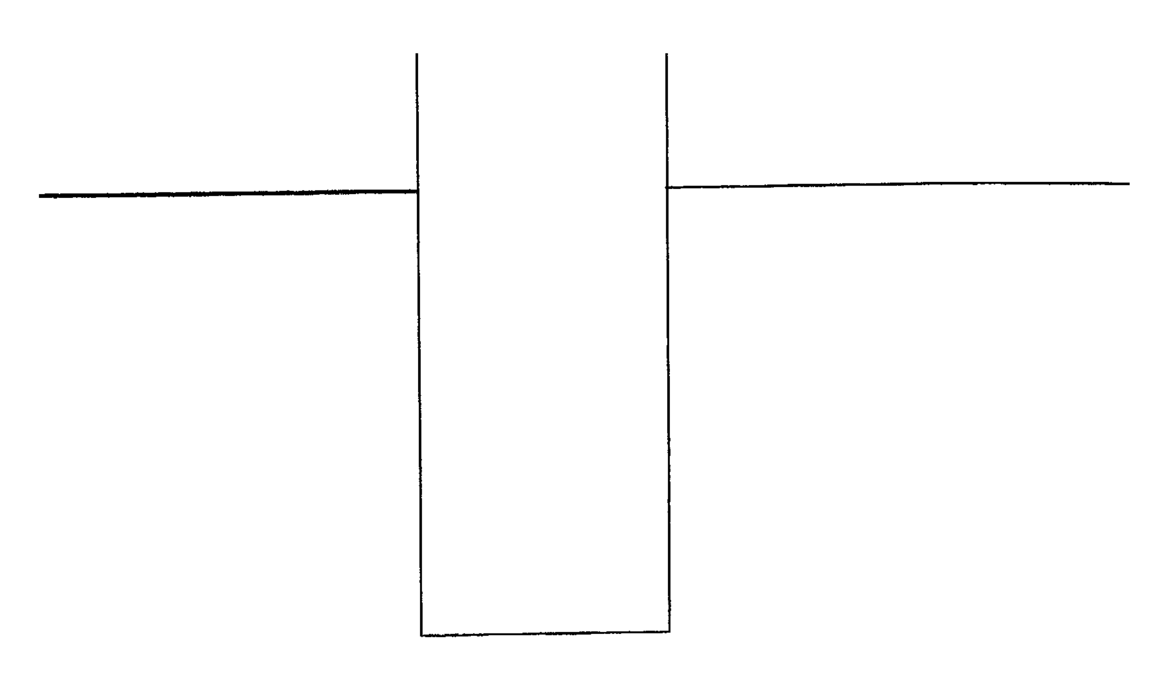
وهذا ما حاولته في هذه السّطور، مع اعترافي المسبق بالقصور والتّقصير أسأل الله (تعالى) القبول.

وأن يجعلنا من السائرين على خطى السيدة زينب، وعلى نهج أُسرتها النّبوية الطّاهرة.. وأن يكفينا الأسواء بحقهم، وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرتهم، إنّه ولي التوفيق والحمد.

حسن الصفار

١٤١٣/١١/١٠هـ

١٩٩٣/٥/٢م



أشــرف عائلــة

حسب الإنسان ونسبه، وانتماؤه العائلي، له أهميّة كبيرة في شخصية الإنسان، وفي نظرة الآخرين إليه. فهو عامل مؤثّر في صياغة نفس الإنسان وفي توجيه سلوكه ومسار حياته.

وقد أثبتت العلوم الحديثة عبر دراسة الجينات والكروموسومات الموجودة في الخليّة الحيّة، ما يخلقه العامل الوراثي من قابليّة واستعداد في نفس الإنسان. فإنّه إذا ما انحدر من أسرة شريفة، وعائلة كريمة، فإنّ ذلك يخلق في نفسه أرضيّة واستعداداً لتقمّص صفات أسرته وعائلته، وعكس ذلك لو كان ينتمي لعائلة فاسدة، وأسرة منحرفة، فإنّ انشداده وميله للانحراف والفساد يكون أقوى.

بالطّبع تلك قاعدة للأعمّ الأغلب، ولا تمثّل حتمية كلية ثابتة. كما أنّ للبيئة والتربية والظروف المحيطة بالإنسان دورها في تنمية تأثيرات العامل الوراثي أو كبحها، عبر إرادة الإنسان وحرية اختياره.

هذا عن التأثير الذاتي لعامل الحسب والنّسب. أمّا التأثير الاجتماعي، فإنّ من الطبيعي أن يأخذ النّاس في الاعتبار عند نظرتهم للشخص، تاريخ أهله وعائلته، وذلك من زاويتين:

الأولى: توقّعهم مشابهة الفرد لأهله وأسرته، فهم يرجون منه الخير والصّلاح إن كان منهته طيّباً. ويحذرون منه السّوء والانحراف إن كان أصله فاسداً. لما يلحظه الناس من تأثير العامل الوراثي غالباً.

يقول الإمام علي عليه السلام: «عليكم في طلب الحوائج بشراف النفوس ذوي الأصول الطّيّبة، فإنّها عندهم أقضى وهي لديهم أزكى»[1].

(١) فلسفي: محمد تقي/ **الطفل بين الوراثة والتربية** ج١ ص٨٣/ مطبعة الآداب/ النجف ـ العراق ١٩٦٩م.

ويقول ـ أيضاً ـ موصياً مالك الأشتر: «ثم إلصق بذوي المروءات والأحساب،وأهل البيوتات الصّالحة، والسّوابق الحسنة.. فإنّهم جِماع من الكرم، وشُعَبٌ من العُرف»[1].

والثانية: أنّ الفرد يعتبر امتداداً لأهله وأُسرته، فإذا كانت عائلته ذات فضل وإحسان للمجتمع، فإنّ الوجدان يدفع الناس لمقابلة ذلك الفضل والإحسان، باحترام أبناء العائلة المحسنة، وعكس ذلك لو انتمى الفرد لعائلة سيّئة أصاب الناس منها الأذى والضرر، فإنّ حسّ الانتقام سيدفعهم لإهمال أبناء تلك العائلة وتجاهلهم على الأقلّ.

تقول السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: (المرء يحفظ في ولده)»[2].

من هذا المنطلق سنبدأ حديثنا عن السيدة زينب بتسليط الأضواء على حسبها ونسبها.

فإنّها قد انحدرت من أشرف حسب، وانتمت إلى أفضل عائلة في تاريخ البشر. ممّا يعني امتلاكها لأعلى درجة من القابليّة والاستعداد لتقمّص رداء الفضيلة، وتسنّم ذروة المجد، وقد تجسّد ذلك الاستعداد فعلاً وسلوكاً في حياتها وسيرتها.

من ناحية أخرى فإنّ البشرية المجبولة بطبعها على احترام الصالحين المحسنين، واحترام ذرياتهم تبعاً لذلك لابد وأن تعرف للسيدة زينب مكانتها، وتُبدي اتجاهها أعلى مستوى من الاحترام والاكبار، عرفاناً بحق عائلتها، وتقديراً لخدمات أسرتها على الناس عامة، وعلى المسلمين خاصة، هذا فضلاً عن الجدارة الذاتية للسيدة زينب عليها السلام.

بالطبع فإن كل حلقة من حلقات نسبها الشريف، تستدعي التوقف اجلالاً واكباراً، لكننا سنقتصر على ذكر أقرب الحلقات لها.

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة**/ كتاب رقم ٥٣.

(٢) القزويني: محمد كاظم / **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٤٤٩ المعرض الدائم للكتاب، إيران ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

(محمد المصطفى)

(٥٧٠م ـ ٦٣٢م)

إنه أعظم رسل الله، وأفضل أنبيائه، نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وهو القائل عن نفسه بحق: «أنا سيد ولد آدم»[١].

وفي حديث آخر يقول ﷺ: «فأنا أتقى ولد آدم، وأكرمهم على الله جلّ ثناؤه ولا فخر»[٢].

وإذا كنا نحن المسلمين نعتقد بأفضلية النبي محمد ﷺ على جميع الخلق والبشر من منطلق ديني، فإنّ علماء ومفكرين لا يدينون بالإسلام وجدوا أنفسهم مضطرين للاعتراف بالتميز والتفوق للنبي محمد ﷺ على جميع عظماء البشر.

فهذا الدكتور (مايكل هارت) الأميركي الجنسية والمولد، والحاصل على شهادة ليسانس في الرياضيات من جامعة كورنيل عام (١٩٥٢م)، وشهادة ليسانس في القانون من جامعة نيويورك عام (١٩٥٨م)، وشهادة ماجستير في العلوم من جامعة اديلفي عام (١٩٦٩م)، وشهادة دكتوراه في الفلك من جامعة برينستون عام (١٩٧٢م)، والذي عمل في مركز أبحاث الفضاء في غرين بلت في ميريلاند، وفي المركز القومي لأبحاث طبقات الجو في كولورادو، وفي أكبر مرصد للأفلاك في كاليفورنيا في باسادينا (مرصد هيل)، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية، وعضو الجمعية الفلكية وفروعها في علوم الكواكب، هذا الرجل المسيحي، ألّف كتاباً يقع في (٥٧٢ صفحة) من الحجم الكبير تناول فيه دراسة حياة المائة الأوائل من تاريخ البشرية، ونشره عام (١٩٧٨م) في الولايات المتحدة وأحدث ضجة هناك ما لبث أن انتقلت إلى أنحاء كثيرة في العالم.

---

(١) القشيري: مسلم بن الحجاج/ **صحيح مسلم** ج٢ ص٣١٠ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٧م.

(٢) المجلسي/ محمد باقر/ **بحار الأنوار**، ج١٦ ص٣١٥. مصدر سابق.

وقد وضع المؤلف شخصية النبي محمد ﷺ على رأس القائمة، واعتبره أهم شخصية في تاريخ البشر.

(إنّ اختيار المؤلف لمحمدﷺ ليكون على رأس القائمة التي تضمّ الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إنّ هذا الاختيار ربما أدهش كثيراً من القراء، إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف: أنّ محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.

لقد أسّس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام، ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته فإنّ تأثيره لايزال قوياً وعارماً)[1].

هذا هو جد زينب عليها السلام والذي فتحت عينيها في أحضانه، وسنرى علاقته بها وعلاقتها به.

---

(١) هارت: الدكتور مايكل/ **دراسة في المائة الأوائل**/ ترجمة الاستاذ أسعد عيسى والمحامي أحمد غسان سبانو/ الطبعة الثالثة ١٩٨٤م دار قتيبة ـ دمشق.

(أبوها المرتضى)

(٢٣ قبل الهجرة ـ ٤٠هـ)

أبوها ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وإذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله هو الشخصية الأولى في تاريخ البشر، والنموذج الأفضل والأرقى للإنسان، فإن علي بن أبي طالب عليه السلام يحتل المكانة الثانية في العظمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم حيث نصّ على أنّ علياً نفس الرسول كما هو صريح آية المباهلة:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

فقد ذكر المؤرّخون والمحدثون والمفسرون: أنّ الآية نزلت لدعوة نصارى نجران للمباهلة، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديها الحسن والحسين عليهم السلام وخرج بهم وقال: **«إن أنا دعوت فأمّنوا أنتم»**[2].

وبذلك فعلي عليه السلام هو المقصود بـ(أنفسنا) في الآية الكريمة، كما أنّ فاطمة هي مصداق (نساءنا)، والحسنان (أبناءنا).

وقد تحدث رسول الله في موارد عديدة وكثيرة، لكي يبين أفضلية الإمام علي عليه السلام وموقعيته الخاصة لديه، والتي لايدانيه فيها أحد، وهذه بعض النماذج من أقواله وأحاديثه تلك:

---

(١) سورة آل عمران، الآية/٦١.

(٢) الزحيلي: الدكتور وهبة/ التفسير المنير ج٣ ص٢٤٨/ الطبعة الأولى ١٩٩١م دار الفكر المعاصر ـ بيروت.

عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[1].

وفي صحيح البخاري قال النبي ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك»[2].

وورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي»[3].

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بريدة: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[4].

وعنه ﷺ أنه قال:

«يا علي لولا أن أخاف أن تقول فيك طائفة من أمتي، ما قالته النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك كلمة، لا تمرّ بها على ملأ إلاّ وأخذوا من تراب نعليك، ومن طهورك ما يستشفون به، ولكن حسبك أنّك مني وأنا منك وأنت أخي وصاحبي»[5].

هذا إضافة إلى أنّه أوّل من آمن برسول الله ﷺ، وأوّل من ضرب بالسيف في سبيل الله، وأوّل من لبّى وأجاب وأعلن نصرته لرسول الله، ومن يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية يرى دور علي هو الأساس في ظهور الإسلام بعد دور النبي ﷺ، وتتجلى شخصيته كالعنصر والعامل الثاني بعد رسول الله في دوره ومواصفاته وعلاقته بالرسول.

---

(١) ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي/ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من **تاريخ مدينة دمشق**/ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي/ ج٢ ص٤٦٦ مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر بيروت/ الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

(٢) البخاري: محمد بن اسماعيل/ **صحيح البخاري** ج٥ ص٢٢ باب مناقب علي بن أبي طالب(ع) دار الجيل - بيروت.

(٣) القشيري: مسلم بن الحجاج/ **صحيح مسلم** ج٢ ص٣٦٠ دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٧م.

(٤) النسائي: أحمد بن شعيب/ **خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** ص٩٩ حديث رقم ٨٢ تحقيق وتخريج أحمد ميرين البلوشي الطبعة الأولى ١٩٨٦م مكتبة المعلا - الكويت.

(٥) الأمين: السيد محسن/ **أعيان الشيعة** ج٢ ص٢٠٦ دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٨٣م.

(أمها الزهراء)

(٨ قبل الهجرة ـ ١١هـ)

المرأة في بعدها الإنساني العام الذي تشترك فيه مع الرجل على قدم المساواة، يكون مثلها الأعلى وقدوتها الأولى هو خير البشر النبي محمد ﷺ. أمّا في جانبها الأنثوي الخاص فيبدو من النصوص الثابتة عند جميع المسلمين، أنّ المقام الأرفع للمرأة في تاريخ البشرية، قد تبوأته سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

ففي رواية عن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت:

قال رسول الله: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[1].

وعن حذيفة (رضي الله عنه) قال:

قال رسول الله ﷺ: «نزل ملك من السماء فاستأذن الله أن يسلم عليّ لم ينزل قبلها فبشّرني أنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[2].

وعن عائشة أنّ النبي ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه:

«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة»[3].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «خير رجالكم علي وخير شبابكم الحسن والحسين

(١) ابن تيمية: تقي الدين أحمد/ **رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم**/ ص٧٢ تعليق أبي تراب الظاهري/ الطبعة الأولى ١٩٨٤م دار القبلة جدة ـ السعودية.

(٢) المصدر السابق ص١١٠.

(٣) المصدر السابق ص١١١.

وخير نسائكم فاطمة» رواه الخطيب وابن عساكر[1].

وكذلك ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط، ممن حملوا العلم بأسانيده وطرقه، كابن عبد البر في ترجمتها عليها السلام من (الاستيعاب) أنّ النبي صلى الله عليه وآله عادها وهي مريضة فقال: ـ «كيف تجدينك يا بنية؟

قالت: إني لوجعة وأنّه ليزيدني أني مالي طعام آكله!

قال: يا بنيّه أما ترضين أنّك سيدة نساء العالمين؟.

قالت: يا أبه فأين مريم بنت عمران؟

قال: تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك»[2].

ويقرر الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين (رحمه الله) أفضلية الزهراء وتفوقها على كل بنات حواء قاطبة، بما فيهن السيدة مريم بنت عمران عليها السلام فيقول:

[وحسبك في تفضيل الزهراء أنّها بضعة من سيد الأنبياء، ولا نعدل به ولا ببضعته أحداً من العالمين، وقد وافقنا في تفضيلها جمهور المسلمين، وصرح به كثير من المحققين، نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين، كالمعاصر النبهاني، حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه (الشرف المؤبد) ما هذا لفظه: وصرح بأفضليتها على سائر النساء، حتى على السيدة مريم، كثير من العلماء المحققين ومنهم: التقي السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي. قال: وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك: الذي نختاره وندين به أنّ فاطمة بنت محمد أفضل، قال: وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داوود فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة مني» ولا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً. ونقل المنّاوي هذا عن جمع من الخلف والسلف][3].

---

(1) المصدر السابق ص١٣٠.

(2) شرف الدين: عبدالحسين/ **الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء** ص٨٠ دار الزهراء ـ بيروت.

(3) المصدر السابق ص٧٧.

أخواها الحسن والحسين

(٣هـ ـ ٥٠هـ)، (٤هـ ـ ٦١هـ)

ويكفي في فضلهما وشأنهما ما رواه المسلمون عن رسول الله ﷺ في تبيين مكانتهما، كالحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان قال: أتيت النبي فصليت معه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم تبعته وهو يريد أن يدخل بعض حجره، فقام وأنا خلفه، كأنّه يكلم أحداً قال:

ثم قال: من هذا؟.

قلت: حذيفة.

قال: ـ أتدري من كان معي؟

قلت: ـ لا.

قال: ـ فإنّ جبرئيل جاء يبشرني أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[١].

وعن يعلى بن أميّة قال: ـ جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الآخر، وقال: «هذان ريحانتاي من الدنيا من أحبّني فليحبهما»[٢].

وروى سلمان الفارسي قال: ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله

---

(١) ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي/ ترجمة الإمام الحسن/ من تاريخ مدينة دمشق/ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ص٧٢ الطبعة الأولى ١٩٨٠ مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت.

(٢) المصدر السابق ص٨٥.

الجنة. ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»[1].

وممّا اشتهر بين المسلمين قوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»[2].

وحياة الحسنين وسيرتهما سجلٌ عظيم رائع للمكارم والفضائل، والتاريخ يكبر للإمام الحسن عليه السلام موقفه السياسي الحكيم في الصلح مع معاوية، وللإمام الحسين ثورته الخالدة التي أصبحت منبعاً يستلهم منه الأحرار والثائرون روح التضحية والبطولة والفداء.

وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم أقرب الشخصيات للعائلة التي انحدرت منها السيدة زينب عليها السلام والذي اتضح لنا من خلاله عظمة وأفضلية كل قطب من أقطاب بيتها الطاهر، يمكننا القول بثقة واطمئنان: أنّ لا أحد يداني السيدة زينب في عراقة النسب، وشرافة الحسب، فهي أفضل الناس جداً وأباً وأماً وأخاً، عدا عن بقية أطراف نسبها الطاهر. وينطبق عليها ما قاله رسول الله ﷺ الحسين في حقّ أخويها الحسن والحسين عليهما السلام حسب رواية ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ أتى المسجد فقام والحسنان عليهما السلام على عاتقيه ثم قال:

«معاشر المسلمين: ألا أدلّكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين جدّهما رسول الله ﷺ خاتم المرسلين، وجدّتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة.

ثم قال: ألا أدلكم عل خير الناس عماً وعمة؟.

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب.

ثم قال: أيها الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ثم قال: اللهم إنّك تعلم أنّ الحسن والحسين في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمّتهما في الجنة، ومن أحبّهما في الجنة، ومن أبغضهما في النار»[3].

---

(١) القرشي. باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن** ج١ ص٩٨ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م دار الكتب العلمية ـ قم.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٢

(٣) المصدر السابق، ص١٠٠.

إشراقة النور

في السنتين الخامسة والسادسة للهجرة النبوية، دخل المسلمون مرحلة جديدة، تميزت بتثبيت الوجود والكيان الإسلامي، بعد سنوات من النضال والمقاومة والمعاناة.

فقد بادر المسلمون في هاتين السنتين، إلى القيام بحملات عسكرية هجومية، ضد أعدائهم الذين كانوا يتآمرون ويتهيئون للقضاء على القوة الإسلامية الناشئة، وبذلك يكون المسلمون قد تجاوزوا مرحلة الدفاع إلى مرحلة المبادرة والهجوم.

ومن الغزوات والسرايا التي حصلت خلال هاتين السنتين:

غزوة ذات الرقاع:

والتي يروى أنّها حصلت في شهر المحرم، من السنة الخامسة للهجرة، حيث قاد رسول الله ﷺ أربعمائة رجلٍ من أصحابه للهجوم على جماعة من غطفان، من بني محارب وبني ثعلبة بنجد، حيث بلغه أنّهم يعدّون العدّة لمحاربته[1].

غزوة دومة الجندل:

وكانت في شهر ربيع الأول، في السنة الخامسة للهجرة، حيث هاجم رسول الله ﷺ على رأس ألف من أصحابه جمعاً من المشركين، في منطقة قريبة من دمشق الشام، حيث يفصل بينها وبين الشام مسير خمس ليال، بينما تبعد عن المدينة مسير خمسة عشر يوماً، ويبدو أنّ هذه الغزوة كانت بمثابة رسالة وإشارة لقيصر ملك الروم كما يشير بعض المؤرخين[2].

---

(١) الحسني: السيد علي فضل الله/ **سيرة الرسول وخلفائه** ج٣ ص٢٥٧/ الطبعة الأولى ١٩٨٤م ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

(٢) الذهبي: محمد بن أحمد شمس الدين / **تاريخ الإسلام ـــ كتاب المغازي** ص٢٥٨ ـ الطبعة الثانية ١٩٨٩م دار الكتاب العربي ـ بيروت.

غزوة بني المصطلق:

وقعت في شهر شعبان، من السنة الخامسة للهجرة، وبنوا المصطلق بطن من خزاعة، كانوا يقيمون في ناحية بين مكة والمدينة، وقد علم المسلمون أنّ بني المصطلق يشترون الأسلحة والخيول، استعداداً للهجوم على المسلمين، فبادرهم رسول الله ﷺ في سبعمائة رجل من أصحابه فهزمهم[١].

غزوة الخندق أو (واقعة الأحزاب):

وهي من المعارك الحاسمة والفاصلة في تاريخ المسلمين، حيث تآمر اليهود وقريش وغطفان، والعديد من قبائل الكفار المعادية، وحشدوا لهم جيشاً كبيراً يقدر بعشرة آلاف رجل، مع استعداد عسكري ضخم، وقرروا الهجوم على المدينة وإنهاء الوجود الإسلامي.

وأمام هذا الحشد الرّهيب الزّاحف نحو المدينة، شاور الرسول ﷺ أصحابه في الموقف، وقرّروا حفر خندق حول المدينة يمنع هجوم الأعداء عليها، وكانت تلك فكرة سلمان الفارسي (رضي الله عنه).

وبالفعل فوجئت الأحزاب بهذه الخطّة، ولم يستطيعوا اقتحام المدينة، ولمّا اقتحم أبرز فرسان التحالف المعادي وهو عمرو بن عبد ودّ العامري، والمعروف بقوّته وشجاعته، استقبله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بشجاعة نادرة، وتصاول معه، ثم أرداه قتيلاً، ممّا أوقع الهزيمة في نفوس الجيوش المتحالفة وعادت خائبة.

وأكدت غزوة الخندق التي وقعت في شهر شوال، في السنة الخامسة للهجرة، مناعة الدولة، وعجز الأعداء أمامها مهما تآمروا وحشدوا من قوة.

غزوة بني قريظة:

وهم من اليهود، وقد تآمروا مع الأحزاب ضدّ المسلمين في واقعة الخندق، لذلك بادرهم النبي ﷺ بالهجوم بعد الخندق مباشرة، أواخر شهر ذي القعدة للسنة الخامسة للهجرة، وحاصرهم وكانوا متحصّنين في منطقتهم، حوالي عشرين ليلة، حتى استسلموا، محكّمين أحد الصّحابة في أمرهم، وهو سعد بن معاذ، فحكم بقتل رجالهم المحاربين، وسبي نسائهم، وصارت أموالهم الكثيرة وأسلحتهم غنائم عظيمة للمسلمين[٢].

إضافة إلى هذه المعارك الهامّة، كانت هناك سرايا كثيرة خلال هاتين السنتين، حيث بعث

---

(١) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٢) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٢ ص١٨٥ دار صادر - بيروت ١٩٧٩م.

رسول اللهﷺ بعض فرق جيشه لمواجهة القوى المناوئة للمسلمين، ومنها:

١ - سريّة نجد بقيادة محمد بن مسلمة في شهر المحرم السنة السادسة للهجرة[١].

٢ - سريّة عكاشة بن محصن إلى الغمر قرب المدينة في ربيع الأول السنة السادسة[٢].

٣ - سريّة أبي عبيدة إلى ذي القصّة قرب المدينة[٣].

٤ - سريّة زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم قرب المدينة[٤].

٥ - سرية زيد بن حارثة إلى الطرف[٥].

٦ - سرية زيد بن حارثة إلى العيص في شهر جمادى الأولى للسنة السادسة[٦].

٧ - سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى خلف وادي القرى في شهر حمادى الثانية السنة السادسة[٧].

٨ - سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى بين الشام والمدينة في شهر رجب السنة السادسة[٨].

٩ - سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك في شهر شعبان للسنة السادسة[٩].

١٠ - سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شهر شعبان أيضاً[١٠].

١١ - سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين في شهر شوال للسنة السادسة[١١].

---

(١) الذهبي: محمد بن أحمد شمس الدين/ **تاريخ الإسلام ـــ كتاب المغازي** ص٣٥٠ - ٣٦١ دار الكتاب العربي - بيروت/ الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

(٢) المصدر السابق ص٣٥٢

(٣) المصدر السابق ص٣٥٢.

(٤) المصدر السابق ص٣٥٣.

(٥) المصدر السابق ص٣٥٣.

(٦) المصدر السابق ص٣٥٤.

(٧) المصدر السابق ص٣٥٥.

(٨) المصدر السابق ص٣٥٥.

(٩) المصدر السابق ص٣٥٥..

(١٠) المصدر السابق ص٣٥٥.

(١١) المصدر السابق ص٣٥٥.

١٢ ـ سرية عبدالله بن رواحه إلى اسير بن زارم اليهودي في شهر شوال أيضاً[١].

إلى العديد من السرايا الأخرى. أمّا الحدث الأهم في السنة السادسة للهجرة على الصعيد العسكري والسياسي، فكان صلح الحديبية، حيث خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة للسنة السادسة، على رأس حوالي (١٥٠٠) من أصحابه، قاصداً دخول مكة للعمرة، وزيارة البيت الحرام، فكان في ذلك إحراج كبير لقريش، مما دفعها للمفاوضات مع المسلمين، والتي انتهت بعقد اتفاقية الصلح بين قريش والمسلمين، والتي عرفت بصلح الحديبية، وكان محتواها اعتراف قريش بكيان الإسلام ووجود المسلمين[٢]. وقد سمّاها القرآن الكريم فتحاً مبيناً **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾**.

وهكذا تجذّرت قوّة المسلمين خلال هذه الفترة، واستثماراً لذلك وتتويجاً له، بعث رسول الله ﷺ رسائل إلى ملوك العالم، ككسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، كما بعث للمنذر بن ساوى زعيم عبدالقيس حاكم البحرين، وجيفر بن جلندي وعباد بن جلندي صاحبي عُمان، وإلى المقوقس صاحب الاسكندرية وغيرهم... وقد تضمّنت تلك الرسائل دعوة الملوك إلى الإسلام، وتعريفهم بدعوته، وقد استجاب العديد منهم للدعوة، واعتنق الإسلام مع قومه.

هذا على المستوى السياسي العام، أمّا على المستوى الداخلي للمجتمع الإسلامي، فقد كانت مبادىء الإسلام وقيمه تتعمّق في النفوس أكثر، على حساب رواسب الجاهلية والكفر، وكانت محاولات المغرضين، غير الصّادقين في إسلامهم، تفشل في إثارة النّعرات الجاهلية، كما حصل في غزوة بني المصطلق، من تحريض رأس النفاق ابن أبي على الفتنة بين المهاجرين والأنصار، لكن محاولته وئدت بوعي المسلمين وتصدّي رسول الله ﷺ.

وكان للوحي الإلهي دور أساسي في انجاح عملية تجذير القيم الإيمانية الجهادية في نفوس المسلمين، حيث كان يكشف ويفضح الحالات النفاقية التي كانت تحصل في تلك الفترة، من قبل بعض المنضوين تحت راية الإسلام، ففي غزوة الخندق تخلّفت طائفة من المنافقين عن العمل في حفر الخندق، بمبرّر الضّعف والعجز. كما أنّ البعض كان يتسلّل ويهرب خفية عن القيام بواجبه، فنزل الوحي متحدّثاً عن هذه الظاهرة، موبّخاً المنافقين، كاشفاً لسلوكهم، وذلك في أواخر سورة النور من قوله (تعالى): **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾** إلى قوله (تعالى): **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ**

---

(١) المصدر السابق ص٣٦١.

(٢) الحسني علي فضل الله، **سيرة الرسول وخلفائه** ج٣ ص٤٠٧، مصدر سابق.

مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

على الصعيد العائلي بالنسبة للرسول ﷺ فقد أضاف إلى حياته العائلية بعض الزوجات، خلال هاتين السنتين، حيث تزوّج جويريّة بنت الحارث من سبايا غزوة المصطلق ـ التي سبق ذكرها ـ في شهر شعبان السنة الخامسة للهجرة.

كما تزوّج في السنة السادسة تقريباً ابنة عمته زينب بنت جحش، بعد أن طلّقها زيد بن حارثة، في قصّة مشهورة، تحدّث عنها القرآن الكريم في سورة الأحزاب (آية ٣٧ وما بعدها).

وقد أُضيفت هاتان الزوجتان إلى زوجات خمس كنّ لدى رسول الله ﷺ وهنّ:

١ ـ سوة بنت زمعة.

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر.

٣ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٤ ـ أم سلمة بنت أبي أميّة.

٥ ـ زينب بنت خزيمة[2].

ولم تنجب أيّ واحدة من هذه الزوجات لرسول الله ﷺ شيئاً.

ومن الأحداث العائلية البارزة في بيت رسول الله ﷺ خلال هذه الفترة، ما حصل لزوجته عائشة بنت أبي بكر، عند رجوعها من غزوة بني المصطلق السّابقة الذكر، حيث تخلّفت في الصحراء تبحث عن عقد لها أضاعته، ولم يلتفت المسلمون، وسار ركبهم، ظانّين أنّها في هودجها فلمّا وصلوا المدينة لم يجدوها!.

لكنّها فيما بعد لقيها أحد الصحابة في الطريق، وهو صفوان بن المعطل السلمي، فجاء بها إلى المدينة. فوجد المنافقون فيما حصل فرصة سانحة، لإثارة الشّكوك حول زوج رسول الله، ممّا سبّب الأذى والحرج لرسول الله، والذي أذن لعائشة أن تبقى آنذاك في منزل أبيها، حتى نزل الوحي لرسول الله يبرىء ساحتها في بضع آيات من سورة النّور وعرفت هذه القضية بقصة الإفك[3].

وشهدت هذه الفترة صعوبة اقتصادية بالغة للمسلمين كما تشير بعض قصص غزوة

---

(١) سورة النور، الآية (٦٢ ـ ٦٣).

(٢) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٢ ص٣٠٧ دار صادر ـ بيروت ١٩٧٩م.

(٣) الحسني: علي فضل الله/ **سيرة الرسول وخلفائه** ج٣ ص٢٨١/ الطبعة الأولى ١٩٨٤م ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

الخندق[1] وحتى الطبيعة بخلت عليها بمائها، حيث أجدب النّاس جدباً شديداً، فاستسقى رسول الله ﷺ بالنّاس في رمضان في السنة السادسة[2].

وفي هذه الفترة تألّق نجم علي بن أبي طالب(ع) أكثر في سماء المجتمع الإسلامي، حيث حسمت شجاعته الرّائعة الموقف لصالح المسلمين، في واقعة الخندق، بقتله عمرو بن عبد ودّ العامري.

وكانت اشراقة النور بولادة السيدة زينب عليها السلام خلال هذه الفترة، التي تحدّثنا عن أجوائها وظروفها وأوضاعها، فإنّ أقوال المؤرّخين قد اختلفت في تحديد تاريخ ولادتها، والأرجح من أقوال المؤرّخين قولان:

السنة الخامسة في الخامس من شهر جمادى الأولى أو السنة السادسة مطلع شهر شعبان[3].

أي بين سنتي: (٦٢٦م - ٦٢٧م).

---

(١) المصدر السابق ص٣١٩.

(٢) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٢ ص٢١٠ دار صادر - بيروت ١٩٧٩م.

(٣) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص١٨ الطبعة الثانية ١٣٦٢هـ منشورات الرضي - قم/إيران.

نشأة فريدة

لا بدّ وأنّ العائلة قد استبشرت وابتهجت بولادة السيدة زينب عليها السلام لأنّها أوّل طفلة يحتفي بها بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فقد سبق وأن ازدان البيت الطّاهر بوليدين صبيين هما الحسن عليه السلام الذي وُلد منتصف شهر رمضان في السنة الثالثة للهجرة، والحسين عليه السلام الذي وُلد في الثالث من شعبان للسنة الرابعة من الهجرة، وتأتي الآن زينب في السنة الخامسة، كما يُرجّح ذلك المحققون[1] وبعد عام أو أكثر أنجبت السيدة الزهراء عليها السلام بنتاً أخرى هي أمّ كلثوم لتكون شقيقة لأختها زينب عليها السلام.

وخلافاً لما كان منتشراً عند بعض العرب في الجاهلية، من التّشاؤم والاستياء عند ولادة البنت، واعتبارها مولوداً ناقص القيمة والشأن، بل قد تسبّب لهم العار والفضيحة، كما أنها لا تنفعهم في المعارك والحروب، ولذلك كان بعضهم يئدها عند ولادتها، بقتلها أو بدفنها حيّة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله: **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مَسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ على هَوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ ألاَ ساءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**[2].

خلافاً لذلك فقد أرسى الإسلام ثقافة سلوكية جديدة في المجتمع الإسلامي، تُدين تلك النظرة الإحتقارية للبنت، وتجعلها مساوية في الشأن والقيمة للولد، وأكثر من ذلك فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يتحدّث عن البنات بإيجابية أكبر، ويربّي المسلمين على أن يكونوا أكثر احتفاءً وسروراً بقدوم البنت.

---

(١) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص١٨ مصدر سابق.

(٢) سورة النحل، الآيات (٥٨ - ٥٩).

وننقل هنا بعض الأحاديث والنصوص الواردة عن النبيﷺ، وعن الأئمة الطاهرينعليهم السلام:

بُشّر رسول الله ﷺ بابنة، فنظر إلى وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم، فقال: مالكم؟! ريحانة أشمّها ورزقها على الله (عز وجل).

وكان رسول اللهﷺ أبا بنات[1].

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أولاكم البنات»[2].

عن رسول الله ﷺ قال: «نعم الولد البنات المخدّرات من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً من النار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنة، ومن يكن له ثلاثة أو مثلهنّ من الأخوات وُضع عنه الجهاد والصدقة»[3].

عن النبيﷺ قال: «من عال ابنتين أو ثلاثاً كان معي في الجنة»[4].

وعنه (صلّى الله عليه وآله): «من كانت له ابنة واحدة كانت خيراً له من ألف جنة وألف غزوة وألف بدنة وألف ضيافة»[5].

عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللهﷺ: «ومن يمن المرأة أن يكون بكرها جارية» يعني أول ولدها[6].

عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإنّه من فرّح أنثى فكأنّما أعتق رقبة من ولد إسماعيل»[7].

وسبب آخر يؤكّد على حتمية السّرور والابتهاج، الذي غمر البيت النبوي عند ولادة زينب، هو المعرفة المسبقة التي أوحاها الله (تعالى) لرسولهﷺ بالمكانة العظيمة، والدور الريادي، الذي ستقوم به هذه الوليدة في الأمة الإسلامية لذلك تشير إحدى الروايات إلى أنّ تسمية السيدة زينب عليها السلام قد تمت من قبل الله (تعالى) يقول العلامة الشيخ جعفر النقدي ما نصّه:

---

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** ج١٥ ص١٠٢ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٣م.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ **بحار الأنوار** ج١٠١ ص٩١ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق ص٩١.

(٤) مؤسسة البعثة ـ قسم الأطفال والناشئين ـ **الطفل نشؤه وتربيته** ص٢٧٢ ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ طهران/إيران.

(٥) المصدر السابق ص٢٧٢.

(٦) المصدر السابق ص٢٧٣.

(٧) المجلسي: محمد باقر/ **بحار الأنوار** ج١٠١ ص١٠٤ مصدر سابق.

لما ولدت زينب جاءت بها أمّها الزهراء عليها السلام إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: سمِّ هذه المولودة.

فقال: ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله :

وكان في سفر له، ولمّا جاء النبي صلى الله عليه وآله وسأله علي عن اسمها، فقال: ما كنت لأسبق ربّي (تعالى).

فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل، وقال له: سمِّ هذه المولودة زينب، فقد اختار الله لها هذا الاسم. ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبي صلى الله عليه وآله [1].

ولم يذكر الشيخ النقدي مصدر هذه الرواية، لكن العلامة الشيخ محمد جواد مغنية نقل تلك الرواية أيضاً في كتابه: (الحسين وبطلة كربلاء) عن مقال في جريدة (الجمهورية) المصرية (٣١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢م) للكاتب المصري يوسف محمود.

ويقول العلامة السيد محمد كاظم القزويني: (سمّاها جدّها الرسول زينبَ، والكلمة مركبة من زين الأب)[2].

وجاء في لسان العرب عن ابن الأعرابي: الزَّيْنَبُ شجر حسن المنظر، طيب الرائحة، وبه سميت المرأة، وواحد الزينب للشجر زينبة[3].

وتتحدّث الكاتبة الأديبة عائشة عبد الرحمن). بنت الشاطىء، عن الأجواء التي سادت البيت النبوي عند ولادة السيدة زينب، فتقول:

وبدا كأنّ كل شيء يعد الوليد بحياة سعيدة، وأقبل المهنّئون من بني هاشم والصحابة، يباركون هذه الزّهرة المتفتحة في بيت الرسول، تنشر في المهد عبير المنبت الطيّب، وتلوح في طلعتها المشرقة ووجهها الصبيح، ملامح آباء وأجداد لها كرام.

لكنّهم فوجئوا ـ لو صدقت الأخبار ـ بظلال حزينة تلفّ المهد الجميل! ظلال ربّما لا يكون لأكثرها مكان في كتاب تاريخ يكتب للتحقيق العلمي، لكن لها مكانها في النفس البشرية ووقعها على الوجدان.

---

(١) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص١٦ مصدر سابق.

(٢) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٢٢٩ مصدر سابق.

(٣) ابن منظور: محمد بن مكرم
لسان العرب ج١ ص٤٥٣.
نشر أدب الحوزة ـ قم ـ إيران ١٤٠٥هـ.

حدّثوا أنّ نبوءة ذاعت عند مولد الطفلة، تشير إلى دورها الفاجع في مأساة «كربلاء» وتحدث بظهر الغيب عمّا ينتظرها في غدها من محن وآلام.

كانت المأساة معروفة فيما يقولون، قبل موعدها بأكثر من نصف قرن من الزمان، ففي (سنن ابن حنبل ج١ ص٨٥) أنّ جبرئيل أخبر محمداً بمصرع الحسين وآل بيته في كربلاء.

وينقل ابن الأثير في (الكامل) أنّ الرسولﷺ أعطى زوجه أم سلمة تراباً حمله له أمين الوحي، من التّربة التي سيراق فوقها دم الحسين، وقال لها: إذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين.

وإنّ أم سلمة حفظت ذلك التراب في قارورة عندها، فلما قتل الحسين صار التراب دماً، فعلمت أنّ الحسين قتل وأذاعت في الناس النّبأ..

وسوف نسمع المؤرخين بعد ذلك في حوادث عامي: (٦٠ ـ ٦١) يذكرون أنّ «زهير بن القين البجلي» وهو عثماني الهوى، خرج من مكة بعد أن حجّ عام (٦٠) فصادف خروجه مسير الحسين إلى العراق، فكان زهير يساير الحسين إلاّ أنّه لا ينزل معه، فاستدعاه الحسين يوماً، فشقّ عليه ذلك، ثم أجابه، فلما خرج من عنده أقبل على أصحابه، فقال:

«من أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فإنّه آخر العهد».

ثم راح يروي لهم قصّة قديمة من عهد الرسول ﷺ قال: إنه خرج مع جماعة من المسلمين في غزوة لهم، فظفروا وأصابوا غنائم فرحوا بها، وكان معهم «سلمان الفارسي» فأشار إلى أنّ الحسين سيقتل. ثم قال سلمان لأصحابه: «إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه، منكم بما أصبتم اليوم من الغنائم».

قال ابن الأثير: وتوجه زهير ـ بعد أن حدّث أصحابه بحديث سلمان الفارسي ـ فودّع أهله، وطلّق زوجته، مخافة أن يلحقها أذى، ولزم الحسينعليه‌السلام حتى قتل معه.

وكان الحسينعليه‌السلام فيما يروي المؤرخون، يعلم منذ طفولته بما قدّر له، كما كان دور أخته زينب حديث القوم منذ ولدت. فهم يذكرون أنّ سلمان الفارسي أقبل على علي بن أبي طالبعليه‌السلام يهنئه بوليدته، فألفاه واجماً حزيناً، يتحدّث عمّا سوف تلقى ابنته في كربلاء.

وبكى علي الفارس الشجاع ذو اللواء المنصور، والملقّب بأسد الإسلام!.

أكانت هذه الروايات جميعاً من مخترعات الرّواة ومبتدعات السمّار؟ أكانت من إضافات المنقّبين وتصوّرات المتحدّثين عن الكرامات؟ أكانت من شطحات الواهمين ورؤى المغرقين في الخيال؟.

ذلك ما اطمأن إليه المستشرقون وقرّره «رونالدسون» في كتابه «**عقيدة الشيعة**»، و«**لامنس**» في «**فاطمة وبنات محمد**».

أمّا المؤرخون المسلمون فما يشك أكثرهم في أنّ هذه الروايات كلّها صادقة لا ريب فيها، وقلّ منهم من وقف عند خبر منها مرتاباً أو متسائلاً. وليس الأقدمون وحدهم هم الذين نزهوا مثل هذه الروايات عن الشك، بل إنّ من كتّاب العصر من لا يقلّ عنهم إيماناً بتلك الظلال التي أحاطت بمولد زينب. فهذا الكاتب الهندي المسلم «محمد الحاج سالمين» يصف في الفصل الأول من كتابه (**سيدة زينب Sayyidah Zeinab**) كيف استقبلت الوليدة بالدموع والهموم، ثم يمضي ـ بعد أن ينقل بعض المرويات عن النبوءة المشئومة ـ فيمثّل النبي العظيمﷺ وقد انحنى على حفيدته يقبّلها بقلب حزين، وعينين دامعتين، عالماً بتلك الأيّام السّود التي تنتظرها وراء الحجب.

ويمضي «سالمين» فيتساءَل: «ترى إلى أيّ مدى كان حزنه حين رأى بظهر الغيب تلك المذبحة الشّنعاء التي تنتظر الغالي! وكم اهتزّ قلبه الرقيق الحاني وهو يطالع في وجه الوليدة الحلوة، صورة المصير الفاجع المنتظر؟!»[1].

---

(١) بنت الشاطىء: (عائشة عبدالرحمن)، **السيدة زينب** ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧٩.

شبيهة خديجة

خديجة بنت خويلد كانت أكثر من زوجة في حياة الرسول ﷺ فهي الكهف العاطفي الذي آوى إليه، بعد أن ذاق مرارة اليتم، وفقد الأب والأم والجد.

وهي الحضن الدافىء الذي سكنت إليه نفسه، وهو في ذروة شبابه، حيث تزوجها في الخامسة والعشرين من عمره.

وهي الملجأ الذي ركن إليه، لينطلق منه في مواجهة صعوبات الحياة ومتطلباتها، فتاجر بأموالها وأصاب من ذلك مكسباً ومغنماً.

وهي المرأة الإنسانة التي وجد فيها كل صفات الخير، وخصال الكمال، وتجسد فيها الحب والوفاء.

وحينما ابتعثه الله نبياً، وتحمّل مهمة الرسالة الخطيرة الثقيلة في ذلك المجتمع الجاهلي المتخلف، كانت له ردءاً وسنداً وعوناً، حيث بادرت إلى تصديقه والإيمان به، ووفّرت له أكبر دعم معنوي، وبذلت له كل امكانياتها المادية، وثروتها الواسعة، من أجل تبليغ الرسالة ونشر الدين.

لقد واجه من عناد قريش وإيذاء المشركين الكثير الكثير من العنت والعناء، لكن حب خديجة وحنانها ومواساتها ودعمها المعنوي والمادي، كان بلسماً شافياً لجراح معاناته، ومنبعاً فيّاضاً لتأكيد صموده وثقته واستقامته.

عاش معها أفضل أيام حياته، وأروع فترات عمره، ورزق منها الذرية الطيبة الطاهرة، التي استمرت عبر ابنته منها الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

لقد أحب رسول الله ﷺ خديجة من كل قلبه، وبكل أحاسيسه ومشاعره، فكان فقده لها صدمة كبيرة، وهزة عنيفة، عصفت بنفسه ووجدانه، وغمرته بأشد الحزن والأسى فأطلق على

سنة وفاتها عام الأحزان، ولم تغب صورتها عن مخيلته، ولا فارق ذكرها قلبه، رغم أنه تزوج بعدها بالعديد من الزوجات.

بل كان يذكرها بمناسبة وغير مناسبة، ويشيد بدورها، ويبين عظيم فضلها على الإسلام، ويبدي حبه وتقديره لكل من يرتبط لخديجة بصلة كأقربائها وأصدقائها.. حتى لقد أثار بذلك الغيرة في نفوس بعض زوجاته..

جاء في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: ما غِرت على أحد من نساء النبي ما غِرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلاّ خديجة، فيقول: أنها كانت وكانت وكان لي منها ولد[1].

وأخرج أحمد بإسناد حسن من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء، قالت: فغِرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشِّدقين! قد أبدلك الله خيراً منها! قال ﷺ: «ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء»[2].

هكذا هو موقع خديجة في قلب رسول الله ﷺ ومكانتها في نفسه، وبعد وفاة خديجة بثمان سنوات، حيث توفيت رضوان الله عليها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولدت حفيدتها زينب عليها السلام في السنة الخامسة للهجرة، وحينما جيء بها في الأيام الأولى لولادتها إلى رسول الله ﷺ ووقع نظره عليها، وإذا به يستحضر صورة جدتها خديجة، تقول إحدى الروايات:

«فضمها الرسول إلى صدره وأخذ يقبلها ثم قال: أوصيكم بها، فإنها شبيهة جدتها خديجة الكبرى»[3].

هل رأى رسول الله ﷺ في وجه زينب الوليدة الصغيرة شمائل وملامح جدتها خديجة؟

أم قرأ دور زينب الرسالي في الوقوف إلى جانب أخيها الحسين في الزمن الصعب، والمهمة الشاقة، فرآه مطابقاً لدور جدتها خديجة في الوقوف معه؟

وإذا كانت خديجة تمتلك تلك الموقعية المميزة في قلب رسول الله ﷺ بحيث كان يقدّر ويحترم أقرباءها وأصدقاءها وفاءً لها، فكيف ستكون موقعية زينب في نفسه وهي حفيدة خديجة والشبيهة لها؟

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل/ **صحيح البخاري**، ج٥، ص٤٨ باب تزويج النبي خديجة وفضلها. مصدر سابق.

(٢) الشوكاني: محمد بن علي/ **در السحابة في مناقب القرابة والصحابة** ص٣١٦ مصدر سابق.

(٣) الجزائري: السيد نور الدين/ **الخصائص الزينبية** ص٤٢/ انتشارات الشريف الرضي/ قم - إيران ١٤١٨هـ.

الأجواء العائلية

لاشكّ أنّ البيئة والأجواء العائلية التي ينشأ فيها الإنسان تلعب دوراً أساسياً في بناء شخصيّته فهي التي تغرس في نفسه قيمها وأفكارها، وتربيه على سلوكياتها وعاداتها.

ولنلق الآن نظرة عابرة على الأجواء العائلية التي نشأت من خلالها السيدة زينب عليها السلام.

الوضع الحياتي المعيشي

قد تختلف تأثيرات حياة الترّف والرفاه على نفس الطفل، عن تأثيرات حياة التقشّف والبساطة، ففي الحالة الأولى ينشأ الطفل على الدّلع والدلال، وينعدم لديه الشعور بقيمة الأشياء لتوفّرها أمامه، ولا تنمو في نفسه حسّاسية ولا شفّافية تجاه حالات الفقر والحرمان، لأنه لم يتذوّق مرارتها، كما أنّ مشاكل الحياة قد تصدمه بقوة لعدم استعداده النفسي لمواجهة الصعوبات والمشاكل.

أمّا في الحالة الثانية فإنّ شخصية الطفل قد تكون أكثر اتزاناً، وأقوى جلداً، وأقلّ استهانة بالأشياء والأمور، وأقرب إلى التفاعل النفسي مع الطبقات المحرومة والضعيفة في المجتمع.

كما أننا يجب أن نفرّق بين البساطة والتقشّف اللذين يفرضهما الفقر والحاجة، وبينهما في حالة الاختيار والطّواعية، ففي أولى الحالتين، قد تسبّب حالة البساطة والتقشّف عند الإنسان، وجود التطلّعات والتمنّيات لرغد العيش، ورفاهية الحياة، كما قد يتسرّب إلى نفس الطفل شيء من عدم الارتياح تجاه الموسرين المترفين، كأرضية للحقد والحسد والانتقام.

بينما حالة البساطة المختارة كنمط للحياة عند العائلة، توجد المشاعر والانعكاسات الإيجابية، دون تلك السّلبيّات. حيث يرى الطفل أنّ عائلته تمتلك القدرة على الرفاه، لكنها لا ترغبه

لمنطلقات أخلاقية، كما لو كانت العائلة تؤثر الفقراء والمحتاجين، وتجود على الضعفاء والمعوزين.

والسيدة زينب نشات في أفضل جو عائلي من هذا الجانب، فأسرتها لم تكن فقيرة معوزة، فلربّما سمعت زينب في فترة طفولتها، عن ثروات جدّتها خديجة، كما ترى الموقع القيادي لجدّها رسول الله ﷺ حيث ولدت ونشأت في فترة الانتصارات العسكرية والسياسية، والتي كانت تعود على المسلمين بالغنائم الكثيرة، ولجدّها النبي ﷺ فيها التصرّف المطلق، إلى جانب استعداد المسلمين لبذل كل امكانياتهم ووضعها تحت تصرّف رسول الله ﷺ.

وتلاحظ السيدة زينب امتلاك عائلتها لبعض الإمكانيات، ثم تنازلها عنها لصالح الآخرين، ويخلد القرآن الحكيم نموذجاً لهذه الحالة عند عائلة زينب، مشيداً بها في سورة الإنسان، حيث يقول (تعالى): **﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيخافُونَ يوماً كَانَ شَرُّهُ مَستَطِيراً، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حُبِهِ مِسكِيناً ويتيماً وأسيراً، إنَّما نُطعِمكم لوجه الله لا نُريدُ مِنكم جزاءً وَلاَ شُكُوراً﴾**[1].

ففي كثير من التّفاسير أنّ هذه الآيات نزلت في حقّ أهل البيت ﷺ وأورد الزمخشري في تفسيره (الكشّاف) عن ابن عباس رضي الله عنه: إنّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك.

فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني، أطعمكم الله من موائد الجنة.

فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلاّ الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الليلة الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع. قال: ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم. وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها فساءه ذلك.

---

(١) سورة الإنسان، الآيات (٧ ـ ٩).

فنزل جبرئيل وقال: خذها يا محمد هنّاك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة[1]

وقد سجّل الشيخ الأميني في موسوعته (الغدير) قائمة تحتوي على المصادر التي روت هذه الحادثة من كتب التّفسير والحديث لأهل السنّة والجماعة بلغت (٣٤ مصدراً)[2].

منها:

- تفسير روح المعاني للآلوسي
- الكشف والبيان لأبي اسحاق التعالبي.
- التفسير البسيط وأسباب النزول للواحدي النيسابوري
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي.
- تفسير البيضاوي للقاضي ناصر الدين البيضاوي
- الرياض النضرة لمحب الدين الطبري.
- تفسير النسفي لحافظ الدين النسفي.
- تفسير نظام الدين القمي النيسابوري.
- تفسير الخازن البغدادي علاء الدين علي بن محمد
- المواقف للقاضي عضد الايجي.
- الإصابة للحافظ ابن حجر.
- الدر المنثور للحافظ جلال الدين السيوطي.
- تفسير فتح القدير للشوكاني.

ونموذج آخر تسجّله الروايات، يعطينا صورة عن بساطة الحياة والزهد المتعمّد، الذي اختارته عائلة زينب، من منهجية خاصة في فهم الحياة والتعامل معها.

عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفراً سلّم على من أراد التّسليم عليه من أهله، ثم يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة، فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها ـ أي يزورها قبل كلّ أحد ـ فسافر مرّة وقد أصاب علي شيئاً من الغنيمة ورفعه إلى فاطمة، فأخذت سوارين من فضة، وعلّقت على بابها ستراً ـ أي ألبست الباب ثوباً للزينة ـ

(١) الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر/ **الكشاف** ج٤ ص١٩٧. الطبعة الأولى ١٩٧٧م دار الفكر ـ بيروت.

(٢) الأميني: عبدالحسين أحمد/ **الغدير في الكتاب والسنة والأدب** ج٣ ص١٠٧ ـ ١١١ الطبعة الرابعة ١٩٧٧م دار الكتاب العربي ـ بيروت.

فلما قدم رسول الله ﷺ دخل المسجد، فتوجّه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت إلى أبيها صبابة وشوقاً إليه، فنظر فإذا في يدها سواران من فضة، وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله ﷺ حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت ابنيها، فنزعت السّتر عن بابها، وخلعت السّوارين من يديها ثم دفعت السّوارين إلى أحدهما، والسّتر إلى الآخر، ثم قالت لهما:

انطلقا إلى أبي فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا فشأنك به.

فجاءاه فأبلغاه ذلك عن أمهما، فقبّلهما رسول الله ﷺ والتزمهما، وأقعد كلّ واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السّوارين فكسّرا فجعلهما قطعاً، ثم دعا أهل الصفة، وهم قوم من المهاجرين، لم يكن لهم منازل ولا أموال، فقسمه بينهم.

وروى ابن شاهين في (مناقب فاطمة) عن أبي هريرة وثوبان هذا الحديث مع تغيير يسير إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ فعلت فِداها أبوها ـ ثلاث مرات ـ ما لآل محمد والدنيا؟ فإنّهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم.

وفي رواية أحمد بن حنبل: فإنّ هؤلاء أهل بيتي ولا أحبّ أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

وقد روى هذا الحديث الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح) والطبري في (ذخائر العقبى) والثّوري في (نهاية الارب) والقندوزي في (ينابيع المودّة) والطبراني في (المعجم الكبير)، والزبيدي في (أتحاف السادة) وغيرهم[1].

لم تكن عائلة زينب تمتلك بيتاً تقطنه، لكن أحد الصحابة المتمكّنين من أهل المدينة، وهو (حارثة بن النعمان) وضع أحد منازله تحت تصرّف علي، حينما أراد الزواج من بنت الرسول فاطمة، وبعد فترة بنى رسول الله ﷺ بيتاً ملاصقاً لمسجده له باب شارع إلى المسجد، كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت عائلة زينب إلى ذلك البيت الجديد، الملاصق لبيت الله المجاور لبيت رسول الله ﷺ[2].

ويُروى أنّ سلمان الفارسي رأى فاطمة الزهراء مرّة فبكى، وقال: إنّ قيصر وكسرى في السّندس والحرير وابنة محمد في ثياب بالية[3].

---

(١) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٢٧٩ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص١٨٨ ـ ٢١٣.

(٣) مغنية: محمد جواد/ **مع بطلة كربلاء** ص٢٥ ـ الطبعة الرابعة ص١٩٨٩م.

الانسجام والمحبة

لماذا نرى بعض الناس وديعين أليفين قادرين على التعاون والانسجام مع الآخرين، ونرى البعض الآخر عدائيين مزعجين يتعاملون مع الآخرين بخشونة وقسوة؟.

إنّ من أبرز العوامل والأسباب، التي تؤثّر في صنع نفسية الإنسان، وتوجيهها نحو الإلفة والوداعة، أو العداء والإساءة، هي الأجواء العائلية، التي يعيشها الإنسان في طفولته، فإذا عاش الطفل جواً عائلياً تسوده المحبّة والانسجام، فإنّه يتربّى ضمن ذلك النّموذج، أمّا إذا ما نشأ في أجواء المشاحنة والبغضاء بين أبيه وأمه، أو بينه وبين والديه، أو فيما بين أخوته، فإنّ ذلك يزرع في نفسه بذور الحقد والقسوة، ويدفعه لممارسة العنف والإيذاء دفاعاً عن ذاته وحقوقه.

يقول الأستاذ الفلسفي: «إنّ سلوك جميع أفراد البشر، وأساليب معاشرتهم مع الناس، إنما هو خلاصة للأساليب التّربوية التي اتّخذت معهم في دور الطفولة، من قبل الآباء أو الأمهات في الأسرة أو من قبل المعلمين في المدرسة. فكلّ خير أو شر لقّنوه إيّاهم في أيام الطفولة، يظهر على سلوكهم عند الكبر، وعندما يصبحون أعضاء في هذا المجتمع الإنساني الكبير، وبعبارة أخرى فإنّ الوضع الروحي والخُلقي والسلوكي للناس في كل عصر، إنّما هو حصيلة البذور التربوية التي نثرت في أدمغتهم أيام الطفولة»[(١)].

لذلك يؤكّد الإسلام على أن يُغمر الأطفال بالعطف والحنان، وأن يتعامل معهم الوالدان بالمحبّة والشفقة، وأن يجنبوا أبناءهم حصول المشاكل أمامهم.

وقد عاشت السيدة زينب وترعرعت في جو يغمره العطف والحنان، وتسوده المحبّة والإنسجام، فعمدا البيت وقطباه علي وفاطمة والدا زينب، كانت علاقتهما قمّة في الصفاء والحب، لا تدانيها أيّة علاقة زوجية في تاريخ البشر.

يقول الإمام علي عليه السلام عن حياته مع الزهراء عليها السلام:

«فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله (عزوجل) ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان»[(٢)].

وفي آخر ساعة من حياتها تخاطب الزهراء علياً عليه السلام قائلة:

«يابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني»؟!.

---

(١) فلسفي: محمد تقي/ **الطفل بين الوراثة والتربية** ج٢ ص٧٠ مصدر سابق.

(٢) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٢١٢ مصدر سابق.

فيجيبها الإمام علي: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أُوبّخك بمخالفتي»[1].

الأجواء الرسالية

نشأت العقيلة زينب ضمن عائلة قد نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله، وتربت في أجواء رسالية ما كان يدور فيها غير الاهتمامات القيمية المبدئية، فجدّها الرسول الأعظمﷺ قاد بنفسه حوالي (٢٨ غزوة ومعركة)[2] وأبوها الإمام عليعليه السلام رافق الرسولﷺ في جميع تلك المعارك، عدا واحدة وهي غزوة تبوك، حيث تخلّف بأمر من رسول اللهﷺ.

كما قاد الإمام بنفسه العديد من السّرايا والمعارك المحدودة.

إنّ ذلك يعني أنّ بيت زينب وعائلتها كانوا يعيشون ظروف الجهاد في أغلب فترات حياتهم، فحينما يغادرهم الجدّ أو الأب إلى ساحة المعركة، فستكون نفوسهم منشدّة ومرتبطة بما يدور على ساحات القتال.

ولا يقتصر الأمر على تفاعل الأسرة مع قضايا الحرب والجهاد، بل أنها كانت معنية بكلّ أوضاع المجتمع، فعائلة زينب هي في موقع القيادة والقلب.

وهكذا عاشت السيدة زينبعليها السلام فترة طفولتها في بيت تتموّج فيه هموم مجتمعها، وفي أجواء مفعمة بالمسؤولية والتضحية.

---

(١) المصدر السابق ص٦٠٩.

(٢) خطاب: اللواء محمود شيث/**الرسول القائد** ص٤٣١ الطبعة الخامسة ١٩٧٤م ـ دار الفكر ـ بيروت.

الفاجعة الكبرى

بعد خمس سنوات عاشتها زينب في كنف عائلتها الحنون، وفي ظلّ أجواء المحبّة والعطف، حيث كان رسول الله ﷺ يظلل بيت زينب برعايته، ويغمر أفراد ذلك البيت بعنايته وإجلاله. فلا يكاد يمرّ يوم لا يلتقي فيه محمد بأهل بيته، وإذا ما سافر كان بيتهم آخر محطّة ينطلق منها لسفره، وإذا ما عاد كان بيتهم أوّل منزل يدخله.

روى الحاكم في (المستدرك) بسنده عن أبي ثعلبة الخشني: كان رسول الله ﷺ إذا رجع من غزوة أو سفر أتى المسجد فصلّى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة ثم يأتي أزواجه.

وبسنده عن ابن عمران: «أنّ النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أوّل الناس به عهداً فاطمة»[1].

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية: «وكان النبي لا يصبر عن بيته هذا، ولا يشغله عنه شاغل، بخاصّة بعد أن نبتت فيه رياحينه، فإذا دخله قبّل هذا، وشمّ ذاك وابتسم لتلك... ودخله ذات يوم فأخذ الحسن وحمله، فأخذ علي الحسين وحمله، فأخذت فاطمة زينب وحملتها، فاهتزّت أركان البيت طرباً لجوّ الصفوة المختارة، وابتهاج الرسول بآله وابتهاجهم به، وتدلّنا هذه الظّاهرة وكثير غيرها أنّ محمداً كان أكثر الأنبياء غبطة وسعادة بأهل بيته»[2].

وشاء الله (سبحانه وتعالى) أن يكون حظّ السيدة زينب من تلك الحياة الهانئة السعيدة محدوداً بالسنوات الخمس الأولى من حياتها، فما أن دخلت السنة الحادية عشر للهجرة، وتصرّمت أيّام شهرها الثاني شهر صفر، إلاّ وشمس السّعادة في بيت زينب قد آذنت بالغروب،

---

(١) الأمين: السيد محسن/ **أعيان الشيعة** ج١ ص٣٠٧/ الطبعة الأولى ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ١٩٨٣م.

(٢) مغنية: محمد جواد/ **مع بطلة كربلاء** ص٢٢ مصدر سابق.

فرسول الله ﷺ يلبّي نداء ربّه، ويفارق الحياة، ويلتحق بالرفيق الأعلى، في الثّامن والعشرين من شهر صفر سنة (١١هـ).

وإذا كان فقد رسول الله ﷺ يشكّل صدمة كبرى وفاجعة مهولة عظمى على المسلمين جميعاً، فإنّه ولا شكّ أشدّ وقعاً، وأعظم أثراً، على أهل بيته الملتصقين به، والمتنعّمين برعايته وعطفه.

وزينب الصغيرة في السنّ، المرهفة الإحساس، الرّقيقة المشاعر، وجدت نفسها في مواجهة هذه الرّزية الكبرى، ورأت كيف انقلبت الأجواء في بيتها رأساً على عقب، من بهجة وغبطة وسرور، إلى كآبة وحزن واضطراب.

لقد صحبت زينب أمها الزهراء وهي تنكّب على أبيها رسول الله عند مصارعته لسكرات الموت نادبة.

«واويلتاه لموت خاتم الأنبياء، وامصيبتاه لممات خير الأتقياء، ولإنقطاع سيّد الأصفياء، واحسرتاه لإنقطاع الوحي من السماء، فقد حرمت اليوم كلامك»[١].

ورأت زينب أخويها الحسنين حينما ألقيا بنفسيهما على جدّهما الرسول يودّعانه، وهما يذرفان الدموع، فجعل يقبلهما وهما يقبّلانه، وأراد عليّ أن ينحّيهما عنه، فقال ﷺ:

«دعهما يتمتّعان منّي وأتمتّع منهما فستصيبهما بعدي اثرة»[٢].

وتوالت مشاهد الألم والحسرة أمام ناظري زينب، فهذه أمها الزهراء تنكبّ على جثمان أبيها رسول الله ﷺ بعد وفاته تبكي أمرّ البكاء قائلة: «واأبتاه، إلى جبرئيل أنعاه! واأبتاه جنّة الفردوس مأواه! واأبتاه أجاب رباً دعاه!!»[٣].

وتقول أيضاً: «واأبتاه وارسول الله، وانبيّ الرحمتاه، الآن لا يأتي الوحي، الآن ينقطع عنّا جبرئيل، اللهم إلحق روحي بروحه، واشفعني بالنظر إلى وجهه، ولا تحرمني أجره وشفاعته يوم القيامة»[٤].

وهذا أبوها علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الجبل الأشم في صموده وبطولته، لكنّه تذوب

---

(١) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسن ج١ ص١٣٣ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٦.

(٤) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسين ج١ ص٢٢١ الطبعة الثانية ١٩٧٧م مكتبة الداوري ـ قم ـ إيران.

نفسه أمام هذه المصيبة، فيقول: «إنّ الصبر لجميل إلاّ عنك، وإنّ الجزع لقبيح إلاّ عليك، وإنّ المصاب بك لجليل، وإنّه قبلك وبعدك لجلل»[1].

وقال أيضاً وهو يلي غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوّة والإنباء وأخبار السماء، خصّصت حتّى صرت مسلّياً عمّن سواك، وعمّمت حتّى صار النّاس فيك سواء، ولولا أنّك أمرت بالصّبر، ونهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك ماء الشّئون، ولكان الدّاء مماطلا، والكمد محالفاً، وقلاّ لك، ولكنّه ما لا يملك ردّه، ولا يستطاع دفعه! بأبي أنت وأمّي! أُذكرنا عند ربّك، واجعلني من بالك!»[2].

ويتحدّث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن مدى وقع المأساة على بيت زينب، فيقول: «لما مات النّبي ﷺ بات أهل بيته كأنّ لا سماء تظلّهم ولا أرض تقلّهم»[3].

وروى الكليني بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

عاشت فاطمة بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس، فتقول: «ها هنا كان رسول الله، وها هنا كان المشركون».

وقال ابن شهراشوب في (المناقب) روي أنّها مازالت بعد أبيها معصّبة الرأس، ناحلة الجسم، منهّدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرّة بعد مرّة؟ أين أبوكما الذي كان أشدّ النّاس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما.

وروي أنّه لمّا قبض النبي ﷺ امتنع بلال من الأذان، وقال: لا أُوذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ، وإنّ فاطمة قالت ذات يوم:

(اشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي باذان).

فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان فلمّا قال: الله أكبر الله أكبر. ذكرت أباها وأيّامه، فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: (أشهد أنّ محمداً رسول الله).

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة**/ قصار الحكم رقم ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، الخطبة رقم:٢٣٥.

(٣) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج١ ص٢٢٥ مصدر سابق.

شهقت فاطمة وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: امسك فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا.

وظنّوا أنّها قد ماتت، فلم يتمّ الأذان. فأفاقت فسألته اتمامه فلم يفعل، وقال لها: يا سيدة النّسوان إنّي أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان.

فأعفته من ذلك.

وعن علي عليه السلام قال: غسلت النّبي في قميصه فكانت فاطمة تقول: أرني القميص. فإذا شمّته غشي عليها، فلمّا رأيت ذلك غيّبته[1].

ورأت الزهراء عليها السلام يوماً أنس بن مالك، فقالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثّوا على النبي التّراب؟[2].

ولك أن تتصوّر حالة السيدة زينب، وهي طفلة ذات خمس سنوات من العمر، لابدّ وأنها كانت ملتصقة بأمّها الزهراء عليها السلام وتعايش معها هذه الصدمة العاطفية الكبيرة.

(١) الأمين: السيد محسن/ **أعيان الشيعة** ج١ ص٣١٩ مصدر سابق.

(٢) الذهبي: محمد بن أحمد شمس الدين/ **تاريخ الإسلام ــ السيرة النبوية** ص٥٦٢ مصدر سابق.

المحنة السياسية

حينما تحل بالإنسان مصيبة أو كارثة، فإنّ من أهمّ العوامل التي تساعده على التحمّل والصّمود في مواجهتها، هو توفّر التّعاطف والمواساة له، من قبل ذويه وأصحابه وجيرانه وأبناء مجتمعه.

إنّ ما يلقاه المصاب من تعاطف إنساني، ومواساة اجتماعية، يكون بمثابة البلسم لجراحه، والسّلوة لنكبته، لذلك ورد التشجيع من قبل الإسلام على مواساة المصابين، كما يندفع الناس بفطرتهم للتّعاطف مع المصابين على اختلاف أديانهم ومللهم.

وعائلة زينب التي نكبت بفقد رسول الله ﷺ بدل أن يغمرها المسلمون بتعاطفهم ومواساتهم، خاصة مع كثرة توصيات الرسول بذريّته وأهل بيته، بدل ذلك ألمّت بهم محنة سياسية رهيبة، بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، ضاعفت عليهم المصاب وزادت آلامهم ومأساتهم.

وتسجل كتب التاريخ والحديث، الكثير من تفاصيل تلك المحنة، مع اختلاف المؤرّخين والمحدّثين والكتّاب في تفسير وقائعها، ولسنا الآن بصدد مناقشة الآراء والتّفسيرات، لكنّنا نعرض بإيجاز ما اتفق عليه المؤرّخون والمحدّثون عن تلك المحنة لتكتمل لنا صورة الأجواء والحياة التي مرّت بها السيدة زينب في تلك الفترة.

فهناك قضيّتان مهمّتان تعتبران جوهر المحنة، في أعقاب وفاة رسول الله ﷺ لدى أهل بيته:

الخلافة:

الأولى: قضيّة خلافة رسول الله ﷺ: فقد كان الإمام علي يرى نفسه الأجدر بمقام الخلافة والإمامة، بعد رسول الله ﷺ وكان بنو هاشم وبعض الصحابة يرون ذلك، لنصوص سمعوها من الرسول في حقّ علي وأولويّته في الخلافة، ولأنّه الأكفأ والأجدر من بين الأصحاب.

لكنّ اجتماعاً حصل في سقيفة بني ساعدة، لم يحضره علي وبنو هاشم، لانشغالهم بتجهيز رسول الله ﷺ ثم فوجئوا بأنّ ذلك الاجتماع في سقيفة بني ساعدة انتهى بمبايعة أبي بكر بخلافة رسول الله ﷺ.

ورأى الإمام علي وأهل بيته فيما حصل اغتصاباً لحقّهم الشرعي في الخلافة، وانتزاعاً لدور علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولذلك لم يقبل علي بنتائج اجتماع السقيفة، وتأخّر لفترة يختلف المؤرّخون في تحديدها حتى خضع وبايع أبا بكر.

يقول ابن الأثير: لمّا توفي رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عُبادة، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح، فقال: ما هذا؟.

فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير.

فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء..

ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة..

فقال عمر: أيّكم يطيب نفساً أن يخلُف قدمين قدمهما النّبي ﷺ ؟..

فبايعه عمر، وبايعه الناس..

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً..

قال: وتخلّف علي وبنو هاشم والزّبير وطلحة عن البيعة..

وقال الزبير: لا أُغمد سيفاً حتى يبايع علي..

فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر..

ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة..

وقيل: لما سمع علي بيعة أبي بكر خرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلاً حتى بايعه، ثم استدعى ازاره ورداءه فتجلّله.

والصحيح: أنّ أمير المؤمنين ما بايع إلاّ بعد ستّة أشهر، والله أعلم[1].

ويقول المؤرّخ المسعودي: (ولما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجدّدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامّة، خرج علي فقال:

أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً..

فقال أبو بكر: بلى، ولكنّي خشيت الفتنة..)

---

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٢ ص٣٢٥ مصدر سابق.

وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل، ومجاذبة في الإمامة، وخرج سعد بن عُبادة ولم يبايع، فصار إلى الشام، فقتل هناك في سنة خمس عشرة، وليس كتابنا هذا موضعاً لخبر مقتله..

ولم يبايع ـ أبا بكر ـ أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة (رضي الله عنها)[1].

وقال أحمد أمين: «تمّت البيعة في هذا المجلس لأبي بكر التّيمي القرشي، لم يكن علي حاضراً هذا الاجتماع لاشتغاله هو وأهل بيته في جهاز رسول اللهﷺ وأخذ العدّة لدفنه، فلمّا بلغه خبر البيعة لأبي بكر لم يرض عنها، وتكوّن أمر ثالث وهو أن تكون الخلافة في بيت النبي، وأقرب الناس إليهﷺ عمّه العباس بن عبدالمطلب، وابن عمّه علي بن أبي طالب، ولكنّ العباس لم يكن من السّابقين إلى الإسلام، فقد حضر غزوة بدر مع المشركين، ولم يسلم إلاّ آخراً، فأولى النّاس من قرابة النبي علي بن أبي طالب، وهو من أوّل الناس إسلاماً، وزوج فاطمة بنت النبي ﷺ، وجهاده وفضله وعلمه لا ينكر، وحجّة أصحاب هذا الرأي أنّ أقرب الناس إلى النبي أولى أن يخلفوه، وأنّ بيت بني هاشم خير من بيت أبي بكر، فالعرب للأوّلين أطوع، وأنّ المهاجرين احتجّوا على الأنصار بأنهم قوم النبي وعشيرته فآل النبي أقربهم إليه وأولى، كما جاء في (نهج البلاغة) أنّ علياً سأل عمّا حدث في سقيفة بني ساعدة، فقال: فماذا قالت قريش؟

قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسولﷺ..

فقال علي: «احتجّوا بالشّجرة وأضاعوا الثّمرة»..

يريد أنّ المهاجرين احتّجوا بأنهم من شجرة النبي، فأولى بالاحتجاج من يجمعهم والنبي أنهم من ثمرة قريش، وهم قرابته، وسواء صحّ هذا القول عن علي أم لم يصح فهو تعبير صادق عمّا في نفسه. ودعا إلى هذا الرأي علي، وأيّده بعض بني هاشم، وأيده الزبير بن العوّام، وعطف عليه بعض الأنصار لما كان موقفهم وموقف علي سواء في ضياع الأمر من أيديهم، ولم يبايع علي أبا بكر إلاّ بعد لأي[2]».

هذه بعض المقتطفات ممّا نقله المؤرخون حول موضوع الخلافة، وموقف أهل البيت منها، ولا يخلو كتاب يؤرّخ تلك الفترة، أو ينقل الأحاديث عن الخلافة، من الإشارة إلى هذا الموضوع..

---

(١) المسعودي: علي بن الحسين/ **مروج الذهب** ج٢ ص٣٠١ دار الأندلس ـ بيروت ١٩٦٥م.

(٢) أمين: أحمد/ **فجر الإسلام** ص٢٥٣ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٩م دار الكتاب العربي ـ بيروت.

وما يهمّنا الآن الإشارة إليه التأكيد على أنّ أهل البيت كانوا يعتقدون بأحقيّة علي بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وأنّ ما حصل من بيعة أبي بكر كان أشبه بالانقلاب على علي..

١ ـ قال الإمام علي عليه السلام في خطبة له بعد انصرافه من صفّين:

«لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعماد اليقين. اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التّالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، ونقل إلى منتقله»[1].

وقد أثبت هذه الخطبة الشّريف الرضي في (نهج البلاغة)، كما ذكرها محمد بن طلحة الشافعي في الجزء الأول من (مطالب السؤول)، ونقل بعض المقاطع من هذه الفقرات الآمدي في (غرر الحكم)، كما روى الطبري في (المسترشد) قوله عليه السلام : «لهم خصائص حقّ الولاية والوراثة»[2].

وواضح من خلال هذه الكلمات تمسّك علي عليه السلام في الخلافة بعد رسول الله ﷺ ، فمن حيث الأفضلية لا يعدل أهل البيت أحد، كما أنّ كفاءات الإمرة والولاية تتوفّر فيهم فقط، ووصيّة رسول الله ﷺ فيهم، وهم ورثته، وأخيراً فإنّ علياً بعد أن بويع بالخلافة يرى أنّ الحقّ رجع إلى أهله..

٢ ـ وفي خطبته المعروفة بـ«الشقشقيّة» يقول عليه السلام :

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عنّي السّيل، ولا يرقى إليّ الطّير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جّذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أن الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهبا»[3].

وهذه الخطبة من خطبه المشهورات حتى قال المفيد (رحمه الله): هي أشهر من أن ندلّ عليها لشهرتها وقد روتها العامّة والخاصّة، وشرحوها، وضبطوا ألفاظها، من دون غمز في متنها، ولا طعن في أسانيدها. فهناك أكثر من (١٧) مصدراً معتمداً نقل هذ الخطبة، غير الشريف

(١) الموسوي: الشريف الرضي/ نهج البلاغة خطبة رقم ٢.

(٢) الخطيب: السيد عبدالزهراء/ مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ ص٣٠٢ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م دار الأضواء ـ بيروت.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي/ نهج البلاغة خطبة رقم ٣.

لرضي في (نهج البلاغة)، وبعضهم قبل الشريف الرضي، والآخرون بطرق وأسانيد غير طرقه وأسانيده[1].

وهذه الخطبة تحكي بصراحة عن رأي الإمام علي عليه السلام وموقفه من الخلافة، فهو الأجدر بها، والذين تولّوا الخلافة يعلمون ذلك، وقد جعلته الظروف يعدل عن المواجهة لهم، فصبر مضطراً غير راض عمّن نهبوا تراثه..

٣ ـ وقال عليه السلام في خطبة له: «فوالله مازلت مدفوعاً عن حقّي، مستأثَراً عليّ، منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا»[2].

وقد استفاضت هذه الخطبة عنه عليه السلام ورواها المؤرّخون، واستشهد بها اللغويون، قبل الرضي وبعده، كالطبري في (تاريخه)، وابن سلام في (غريب الحديث)، والجوهري في (الصحاح)، وغيرهم[3].

٤ ـ وفي خطبة أخرى يقول عليه السلام : «حتى إذا قبض الله رسوله، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السّبل، واتّكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السبب الذي أُمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه»[4].

وقد روى الطبري فقرات من أواخر هذه الخطبة في (المسترشد) (ص٧٤)[5].

٥ ـ ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فمّما أجابه:

«أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطاً، فإنّها كانت اثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله، والمعوّل إليه يوم القيامة»[6].

هذه بعض النّماذج من كلمات الإمام علي عليه السلام وغيرها كثير ممّا يؤكّد اعتقاد علي عليه السلام بأحقيّته بالخلافة، وأنّها اغتصبت منه، وقد جمع الدكتور سعيد السّامرائي من (نهج البلاغة) ما يؤيّد

---

(١) الخطيب: عبدالزهراء/ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ج١ ص٣٠٩ مصدر سابق.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة** / خطبة رقم ٦.

(٣) الخطيب: عبدالزهراء/ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ج١ ص٣٣١ مصدر سابق.

(٤) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة**/خطبة رقم ١٥٠.

(٥) الخطيب: عبدالزهراء/ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ج٢ ص٣٣٧ مصدر سابق.

(٦) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة** خطبة رقم ١٦٣.

هذا الموقف ضمن كتابه الجميل (حجج النّهج) وطبع سنة: (١٩٨٧م) في بيروت في (٤٥٠ صفحة).

وكذلك كان رأي فاطمة الزهراء عليها السلام وقد أعلنت موقفها واضحاً أمام الخليفة أبي بكر وأمام نساء المهاجرين والأنصار، ففي خطبتها المشهورة في المسجد، قالت عليها السلام :

«وإطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة»[1].

كما تحدّثت في خطبتها بإسهاب، عن تفسيرها للتّطوّرات التي حصلت بعد وفاة أبيها، وأنّها انحراف ومؤامرة على حقّ أهل البيت، كقولها عليها السلام : «فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق.. فوسمتم غير ابلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرّسول لمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنمّ لمحيطة بالكافرين»[2].

ودافعت عن حقّ علي في الخلافة أمام نساء المهاجرين والأنصار اللاتي جئن لعيادتها وزيارتها، وممّا قالته لهنّ:

«أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأمور الدنيا والدين؟ ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سفيه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله (عز وجل)»[3].

وتشير بعض الروايات إلى أنّ فاطمة برفقة بعلها علي وابنيها الحسنين، كانت تدور على بيوت ومجالس المهاجرين والأنصار، تدعوهم إلى الالتفاف حول قيادة الإمام علي عليه السلام ، وقد جاءت تلك الروايات في العديد من المصادر..

يقول ابن قتيبة الدينوري المتوفّي سنة (٢٧٦هـ): وخرج علي (كرّم الله وجهه) يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابّة ليلاً، في مجالس الأنصار تسألهم النّصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به..

(١) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٣٨٧ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص٤٣١.

(٣) المصدر السابق ص٥٢٥.

فيقول علي (كرّم الله وجهه): أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟..

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[1].

ولثبوت هذا الأمر وشهرته، فقد عيّر به معاوية الإمام علي عليه السلام في إحدى رسائله بقوله: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يدي ابنيك حسن وحسين، يوم بويع أبو بكر، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسّوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك...[2].

هذه اللوعة والألم الذي يعتلج في نفس علي وفاطمة، حول قضية الخلافة، لابدّ وأنّه ينعكس على نفوس أبنائهما، ويحدّثنا التّاريخ أنّ الحسن بن علي على صغر سنّه حيث كان في السابعة من العمر، انطلق إلى مسجد رسول الله ﷺ فرأى أبا بكر على منبر رسول الله يخطب الناس، فإلتاع ووجّه إليه لاذع النّقد قائلاً له:

«انزل.. انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك»!!،

فأجابه أبو بكر: «صدقت والله، إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي»[3].

بالطّبع ليس بحث مسألة الخلافة من مهمّات هذا الكتاب، ولكنّنا أردنا تسليط الأضواء على الأجواء التي عاشتها السيدة زينب عليها السلام ضمن عائلتها بعد وفاة رسول الله ﷺ..

فدك:

القضية الثانية: مصادرة فدك: وهي «قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة» كما يقول الحموي في (معجم البلدان)..

وكان يسكنها اليهود فاستسلموا بعد واقعة خيبر لرسول الله ﷺ دون قتال..

ومقتضى الرواية التي يذكرها الجوهري في (السقيفة وفدك) أنّها كانت تقدّر بـ(١٠٠٠٠٠مائة ألف درهم)، ويقول الحموي عنها: وفيها عين فوّارة ونخيل كثيرة..

ولأنّها لم يسبقها حرب ولا قتال فهي فيء وملك خاص لرسول الله ﷺ حسب مفاد الآية

---

(١) الدينوري: ابن قتيبة/ **تاريخ الخلفاء ــ الإمامة والسياسة** ص١٢ مطبعة مصطفى الحلبي/ مصر.

(٢) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٥٨١ مصدر سابق.

(٣) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن** ج١ ص١٦٤ مصدر سابق.

الكريمة: ﴿ما أفاءَ الله على رَسُولِهِ مِنهُمْ فَما أوْجَفْتُمْ عليْهِ مِنْ خَيْلٍ ولا رِكابٍ﴾[1].

فباتفاق المسلمين هي ملك خاص للنبي، وقد وهبها وأنحلها لابنته فاطمة الزهراء، ويبدو أنها كانت تحت سلطتها كما يقول الإمام علي: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين»[2].

لكنّ الخليفة أبا بكر رأى أن يصادر فدك من فاطمة الزهراء باعتبار أنّ النبي لا يورث، كما ينقل هو أنّه سمع ذلك من النبي، ولم يقبل قول الزهراء أنّ أباها وهبها أيّاها، كما رفض شهادة علي بذلك لفاطمة، وشهادة أمّ أيمن الصّحابية الجليلة!![3].

وقد جاء انتزاع فدك من فاطمة الزهراء في الأيام الأولى لمصيبتها بأبيها، ومواكباً لتنحية علي عن حقّه الشّرعي في خلافة رسول الله ﷺ، فأحدث ذلك أثراً كبيراً في نفس فاطمة، دفعها لإعلان معارضتها للخليفة، والاحتجاج عليه أمام المسلمين، في خطبتها المشهورة، كقولها:

«وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضّاحية أنّي ابنته أيّها المسلمون! أغلب على إرثيه...

يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داوُدَ﴾[4].

وقال فيما اقتصّ من خبر زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلياً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[5].

وقال: ﴿وَأُوْلُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللهِ﴾[6].

وقال: ﴿يُوصِيكُمْ الله في أوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[7].

---

(١) سورة الحشر، الآية/٦.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة** ـ كتاب رقم ٤٥.

(٣) الميلاني: فاضل/ **فاطمة الزهراء أم أبيها** ص١٤٤/ مؤسسة أهل البيت بيروت ١٩٧٩م.

(٤) سورة النمل، الآية/١٦.

(٥) سورة مريم، الآيات (٥ ـ ٦).

(٦) سورة الأنفال، الآية/٧٥.

(٧) سورة النساء، الآية/١١.

وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْروفِ حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[1].

وزعمتم أن لاحظوة لي ولا أرث من أبي! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون: إنّ أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟...

إيها بني قيلة! أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع؟.»[2]

وهكذا ظلّلت بيت زينب غيوم وهموم ثقيلة، سلبت من عائلتها حالة السّرور والسّعادة والهناء، وجعلتهم يعيشون أفظع المآسي وأشدّ الآلام، فقد فقدوا زعيمهم وأباهم الحنون رسول الله ﷺ كما زوي عنهم حقّهم السياسي في القيادة والخلافة، وأضافة إلى ذلك صودرت أهمّ ممتلكاتهم الماليّة فدك!!.

---

(٢٨) سورة البقرة، الآية/١٨٠.

(٢٩) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٤٤٧ مصدر سابق.

وافتقدت أمها الزهراء

بعد حوالي (٧٥ يوماً) عاشتها فاطمة الزهراء في وضع مأساوي يصعب تصويره، وكانت زينب هي الأقرب لأمّها، والمشاركة لها في آلامها وأحزانها، خاصّة وأنّها تلحظ تدهور صحّة أمّها وازدياد توجّعها...

وفي اليوم الأخير من حياتها، تحاملت الزهراء على مرضها، وقاومت أوجاعها، لتقوم بخدمة وداعية حانية، لأطفالها الذين سيصبحون يتامى بعدها.. فقد قامت تتكىء على جدار المنزل، ودعت أطفالها الأربعة: الحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم، لتغسل أجسامهم ورؤوسهم بالماء والطين، وهي تملأ عينيها نظراً إلى أجسامهم النحيفة، وتذرف من أعماق قلبها دموع الحزن على فراقهم، وفوجىء علي عليه السلام حينما أقبل ورأى فاطمة وقد غادرت فراش مرضها، وكاد أن يمتلكه الفرح والسرور لأنّ فاطمة استعادت صحتها وعافيتها، لكنّه رآها كزهرة يكتنفها الذّبول، ولاحظها تستعين بالجدار لتواصل خطواتها البطيئة، فسألها عن سبب اجهاد نفسها بغسل الأولاد، فأجابته بصوتها الخافت:

«لأن هذا اليوم آخر يوم من أيّام حياتي، قمت لأغسل رؤوس أطفالي وثيابهم، لأنّهم سيصبحون يتامى بلا أمّ»[1].

وعادت الزهراء عليها السلام إلى فراشها، لتبثّ لبعلها وزوجها الغالي العزيز همومها ووصاياها...

وكان مستقبل أولادها احدى القضايا التي ركّزت عليها في وصيّتها له حيث قالت:

«يا ابن عم: أوصيك أن تتزوّج بعدي بابنة أختي أُمامة، فإنّها تكون لولدي مثلي، فإنّ

---

(١) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٦٠٧ مصدر سابق.

الرجال لابدّ لهم من النساء، وإن أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة واجعل لأولادي يوماً وليلة»[1].

وعند اقتراب الأجل، أرادت الزهراء أن تبعد ابنتيها زينب وأم كلثوم عن مشاهدة تلك اللحظات الأليمة، حيث الموت، ومفارقة الحياة، فأرسلتهما إلى بيوت بعض الهاشميات ـ كما تشير احدى الروايات ـ[2] بينما كان الحسنان مع أبيهما خارج المنزل..

وما عادت زينب وأختها أم كلثوم إلى المنزل، إلاّ وقد انطفأ منه ذلك النور، وذبلت فيه تلك الزهرة النديّة، وخمدت تلك الشّعلة المتّقدة بالعاطفة والحنان، لم تعد زينب تسمع صوت أمّها الرقيق، ولا تنعم بابتسامتها المشرقة، إنها قد التحقت روحها بالرفيق الأعلى، لترتاح من عناء هذه الدنيا، وظلم أهلها، أمّا جسدها النّحيف الضّعيف فباتّجاه القبلة على الفراش، وقد أسبلت يديها ورجليها وأغمضت عينيها..

يا لها من لحظات أليمة مرّت على العقيلة زينب واخوتها.. ولكنّه أمر الله، وهم على صغر سنّهم ـ أي أطفال فاطمة ـ يعون هذه الحقيقة، فيؤلمهم الفراق، لكنّهم يسلمون أمرهم إلى الله، ويردّدون في ثقة ويقين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3].

وفي ظلام الليل قام علي عليه السلام بتغسيل فاطمة، ثم أدرجها في أكفانها، بمنظر من زينب وأخوتها، تقول الرواية: «فغسّلها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يحضرها غيره، والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم وفضّة جاريتها وأسماء بنت عميس»[4].

وحانت ساعة الوداع الأخيرة، فلا بدّ وأن يعطي علي عليه السلام الفرصة لأبنائه، ليلقوا آخر نظرة على محيا أمّهم الزهراء..

يقول السيد القزويني:

رأى الإمام أنّ يتامى فاطمة ينظرون إلى أمّهم البارّة الحانية، وهي تلفّ في أثواب الكفن، إنّها لحظة فريدة في الحياة، لا يستطيع القلم وصفها، إنّها لحظة يهيج فيها الشوق الممزوج بالحزن، إنّه الوداع الأخير الأخير!!.

---

(١) المصدر السابق، ص٦١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٦١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٥٦).

(٤) المجلسي/ محمد باقر/ **بحار الأنوار** ج٤٣ ص١٧١ مصدر سابق.

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسرة قلوبهم، فلم يعقد الخيوط على الكفن، بل نادى بصوت مختنق بالبكاء:

- يا حسن يا حسين يا زينب يا أم كلثوم هلّموا وتزوّدوا من أمّكم، فهذا الفراق واللقاء في الجنة!!.

كان الأطفال ينتظرون هذه الفرصة وهذا السّماح لهم كي يودّعوا تلك الحوراء، ويعبّرون عن آلامهم وأصواتهم ودموعهم المكبوتة المحبوسة، وأقبلوا مسرعين وجعلوا يتساقطون على ذلك الجثمان الطاهر، كما يتساقط الفراش على السّراج..

كانوا يبكون بأصوات خافتة، ويغسلون كفن أمّهم الحانية بالدموع، فتجفّفها الآهات والزّفرات، كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن، فالقلوب ملتهبة، والأحاسيس مشتعلة، والعواطف هائجة والأحزان ثائرة[1].

وقد روى صاحب (ناسخ التّواريخ) في كتابه: إنّ زينب أقبلت عند وفاة أمّها وهي تجرّ رداءها وتنادي: يا أبتاه يا رسول الله الآن عرفنا الحرمان من النظر إليك.

وروى هذه الرواية صاحب (البحار) عن (الرّوضة) بهذا اللفظ: وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة تجرّ ذيلها متجلببة برداء عليها تسحبها، وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً.

وأمّ كلثوم هذه هي زينب عليها السلام من غير شك، كما صرّح باسمها في رواية صاحب (ناسخ التّواريخ)، ولكونها أكبر بنات فاطمة عليها السلام [2].

---

(١) القزويني: محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد** ص٦٢٤ مصدر سابق.

(٢) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص١٨ مصدر سابق.

سيّدة العائلة

وبعد رحيل أمّها الزهراء إلى عالم الخلود، أصبحت السيدة زينب على صغر سنّها سيدة المنزل، وربّة البيت، ترعى شؤون أبيها وأخوتها، تماماً كما كانت أمّها الزهراء تملأ فراغ أمّها خديجة بنت خويلد، بالنّسبة لرسول اللهﷺ حتّى سمّيت أمّ أبيها.

وقد أشار العديد من الكتّاب والباحثين، إلى تحمّل السيدة زينب لأعباء المنزل والعائلة بعد وفاة أمّها الزهراء عليها السلام .

يقول الأستاذ محمود يوسف: وقدّر للسيدة زينب أن تفقد جدّهاﷺ وهي في الخامسة من العمر، وفقدت أمّها الزهراء بعد ذلك بشهور قلائل، فحزنت وهي الصّبيّة الصغيرة عليهما حزناً شديداً، وواجهت حياة البيت ورعته وأدارت شؤونه، بعقلية رتيبة واعية، وحسّ صادق، وقلب مؤمن[1].

ويقول السيد بحر العلوم: وتحمّلت عقيلة بني هاشم مسؤولية بيت علي، وعاشت في خضمّ المشاكل والأحداث، ويكاد هذا البيت ينفجر من الأحداث، فالأقدار تتواثب عليه، والنّوائب تصليه... وقلب زينب أخذ يتّسع لكلّ هذه وأكثر منها، ولا غرابة فهي ابنة علي...[2].

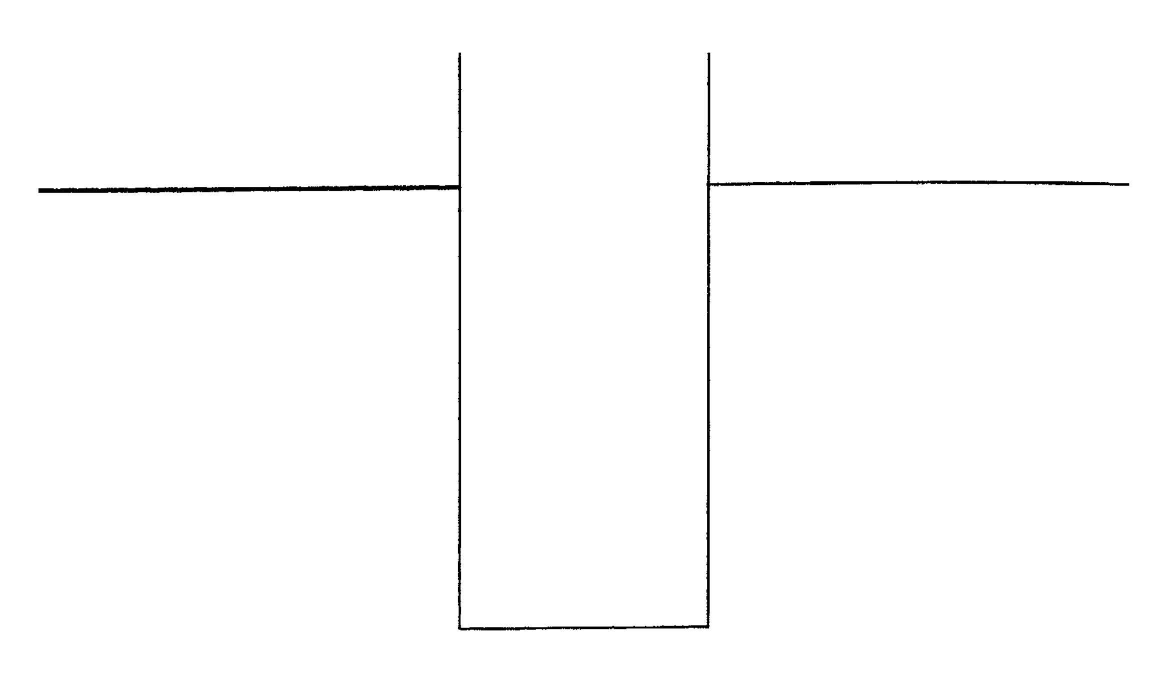
وتقول السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء): وإذا استطعنا أن نتناسى إلى حين أحزان تلك الصّبية، التي روّع عامها الخامس بشهود مأساة الموت مرّتين، في أعزّ الناس لديها، وأحبّهم إليها، إذا استطعنا أن نكفّ لحظة عن التّحديق في تلك الظلال التي حامت على مهدها،

(١) يوسف: محمود/ السيدة زينب/ **مجلة الموسم** ـ فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث ـ العدد الرابع ـ المجلد الأول ١٩٨٩م ص٩٤١ نقلاً عن جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٣١م.

(٢) بحر العلوم: محمد السيد علي/ **في رحاب السيدة زينب** ص٢٤/ الطبعة الثانية ١٩٨٠ دار الزهراء ـ بيروت.

والأحزان التي أرهقت صباها، ألفينا جانباً آخر من الصّورة مشرقاً، حيث تبدو «زينب» في بيت أبيها ذات مكانة أكبر من سنّها: أنضجتها الأحداث، وهيّأتها لأن تشغل مكان الرّاحلة الكريمة، فتكون للحسن والحسين وأمّ كلثوم، أُمّاً لا تعوزها عاطفة الأمومة، بكل ما فيها من حنو وإيثار، وإن أعوزتها التّجربة والاختبار[1].

(١) بنت الشاطيء: (عائشة عبدالرحمن)/ السيدة زينب ص٤٢ مصدر سابق.



في بيت الزوجية

تجاوزت زينب مرحلة الصّبا، واكتمل نضجها الجسدي والنّفسي، ومع شديد رغبتها في البقاء قرب أبيها، وفي توفير الرعاية والعناية لأخويها الحسنين، إلاّ أنه كان لابد لها من الزواج، لما يعنيه الزواج من تكامل في الشخصية، واستجابة للسنّة الآلهية التي جعلها الله (تعالى) في بني البشر، بل في كافة المخلوقات، كما يقول (تعالى): ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1]، ولأنّ تعاليم الإسلام تحثّ على الزواج وتحبّذه، وتذمّ العزوبة وتنفّر منها.

فعن رسول الله ﷺ: «النّكاح سنّتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

وعنه ﷺ أنّه قال لرجل يقال له عكاف: ألك زوجة؟.

قال: لا.

فقال ﷺ: ألك جارية؟.

قال: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: أفأنت موسر؟.

قال: نعم.

قال ﷺ: تزوّج وإلاّ فأنت من المذنبين.

وفي رواية: تزوّج وإلاّ فأنت من إخوان الشياطين[3].

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٤٩).

(٢) الشيرازي: السيد محمد/ الفقه ـ كتاب النكاح ج٦٢ ص١٢ الطبعة الثانية ١٩٨٨م دار العلوم ـ بيروت.

(٣) المصدر السابق، ص١٦.

وعن النبيﷺ : «شراركم عزّابكم وأراذل موتاكم عزابكم»[1].

ومهما كانت كفاءة البنت وفضلها، فإنّ ذلك لا يغنيها عن نعمة الحياة الزوجية، ومخطئة جداً من تظنّ أنّ الشهادة الدراسية، أو المنصب الوظيفي، أو أيّ كفاءة علمية أو اجتماعية، يمكن أن تصبح بديلاً عن الزواج، أو أن تملأ الفراغ في حياة المرأة بدلاً عن الزواج.. إنّه لو كان كذلك لاستغنت سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عن الزّواج وهي لا تُدانى في فضلها ومؤهلاتها، ولاستغنت ابنتها العقيلة زينب عن تحمّل أعباء الحياة الزوجية لما لها من الفضل والكفاءة!.

لقد دخلت امرأة ذات يوم على الإمام الصادقعليه السلام وقالت: أصلحك الله إنّي متبتّلة.

فسألها الإمام: وما التبتّل عندك؟.

قال: لا أريد التّزويج أبداً.

قال: ولمَ؟

قالت: ألتمس في ذلك الفضل.

فقال: انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمةعليها السلام أحقّ به منك، انّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل[2].

وجاء الخاطبون يتوافدون على بيت علي بن أبي طالب عليه السلام كلّ منهم يتمنّى أن يحظى بشرف الاقتران بالعقيلة زينب، رغبة في الاتّصال بالنّسب النبويّ الشريف، ولما يعرفونه من كمال زينب وفضلها وأدبها، لكنّ أباها علياً كان يردّ كل خاطب لأنّهعليه السلام قد اختار لابنته الزوج المناسب والكفؤ.

يقول السيد الهاشمي: إنّ العقيلة زينب بنت علي خطبها الأشراف من قريش، والرؤساء من القبائل... ويروى أنّه خطبها الأشعث بن قيس وكان من ملوك كندة[3].

والعناية الآلهية التي أحاطت بالسيدة زينبعليها السلام ووجّهت مسارات حياتها،كان لابدّ وأن تتدخّل في شأن هذا الأمر الخطير من حياة السيدة زينب، وهو اختيار القرين، والزوج المناسب الكفؤ، لهذه المرأة العظيمة.. وهذا ما حصل بالفعل فقد شاء الله (تعالى) أن تقترن العقيلة زينب بواحد من أعظم وأنبل شباب الهاشميين، وهو ابن عمّها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

---

(١) الري شهري: محمدي/ **ميزان الحكمة** ج٤ ص٢٧٥ مركز مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران ١٤٠٣هـ.

(٢) المصدر السابق ص٢٧٤.

(٣) الهاشمي: علي بن الحسين/ **عقيلة بني هاشم** ص٣١ الطبعة الثانية ١٩٩٠م مؤسسة المفيد ـ بيروت.

واختيار الإمام علي لعبدالله بن جعفر، ليكون زوجاً لابنته زينب، اختيار أكثر من موفَّق، فعلي يعرف مكانة أخيه جعفر، وعبدالله ربيب للإمام علي، حيث أصبح في رعايته بعد شهادة أبيه جعفر، وأمّه أسماء بنت عميس وثيقة الصّلة والعلاقة بالسيدة الزهراء أم العقيلة زينب، ثم هي قد أصبحت زوجاً للإمام علي، إضافة لكلّ ذلك المؤهلات الشخصية التي كان يجدها الإمام في ابن أخيه عبدالله بن جعفر، وقد أصدق الإمام ابنته زينب ٤٨٠ درهماً من خالص ماله كصداق أمها فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولنسلّط الضوء الآن على شخصية هذا الرجل العظيم

أبوه: جعفر الطيّار

وجعفر الطيّار هو ابن أبي طالب، وأخو الإمام علي، وهو أكبر من الإمام علي بعشر سنين، وهو ثالث من أسلم وصلّى مع رسول الله ﷺ، بعد علي وخديجة، حيث كان النبي ﷺ يتقدّمهم للصلاة، وعلي عن يمينه، وجعفر عن يساره، وخديجة من خلفه.

وكان جعفر يشبه النبي ﷺ في خَلقه وخُلقه، وكان يكنّيه «أبا المساكين».

وعن الزّمخشري في (ربيع الأبرار): كان جعفر أشبه الناس برسول الله خَلقاً وخُلقاً، وكان الرجل يرى جعفر فيقول: السلام عليك يا رسول الله. يظنّه إيّاه، فيقول: لست برسول الله أنا جعفر.

قال حسان بن ثابت:

وكنا نرى في جعفر من محمّد — وقاراً وأمراً حازماً حين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشم — دعائم صدق لا ترام ومفخر

هم جبل الإسلام والنّاس حولهم — رضام إلى طود يطول ويقهر

بهاليل منهم جعفر وابن أمّه — علي ومنهم أحمد المتخير[1]

وهو الذي قاد أوّل مجموعة مسلمة مهاجرة إلى الحبشة، من مكة المكرمة، ومعه زوجته أسماء بنت عميس.

وبقي جعفر في الحبشة حتى السنة السابعة من الهجرة، وعندما ترك الحبشة قاصداً المدينة، كان النبي ﷺ راجعاً من حرب خيبر، والتقاه رسول الله ﷺ وقبّله بين عينيه، وقال: ما أدري بأيّهما أشد فرحاً بقدوم جعفر أو بفتح خيبر.

---

(١) الموسم: مجلة فصلية/ العدد الرابع ص١٠٦٨ مصدر سابق.

وقال له: أنت أشبه الناس بخلقي وخُلقي وقد خلقت من الطّينة التي خلقت منها.

ولم يمض على بقاء جعفر في المدينة إلى جنب رسول الله ﷺ إلاّ حوالي سنة واحدة حتى بعثه رسول الله ﷺ سنة ٨هـ على رأس جيش من المسلمين يبلغ ثلاثة آلاف مقاتل لمواجهة الروم.

وفي مؤتة ـ قرية في الأردن ـ حصلت معركة حاسمة على حدود الشام، حيث كان عدد جيش الروم أكثر من مائة ألف، وأخذ الرّاية جعفر، وتقدّم بمن معه من المسلمين، وحمل على تلك الحشود التي ملأت الصحراء بعددها وعتادها، وظلّ يقاتلهم، حتّى قطعت يمينه وشماله وخرّ صريعاً، ووجدوا في مقدم جسده بعد شهادته أكثر من تسعين ضربة وطعنة.

وكان ينشد أثناء القتال:

يا حبّذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها

والرّوم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذ لاقيتها ضرّابها

وكانت شهادة جعفر في غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨هـ.

وفي (عمدة الطالب): لما رأى جعفر الحرب قد اشتدّت، والروم قد غلبت، اقتحم عن فرس له أشقر، ثم عقره، وهو أوّل من عقر في الإسلام، فقاتل حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الراية بيده اليسرى، وقاتل إلى أن قطعت يده اليسرى أيضاً، فاعتنق الراية وضمّها إلى صدره حتى قتل، ووجد فيه نيّف وسبعون، وقيل نيّف وثمانون، ما بين طعنة وضربة ورمية.

وحينما وصل خبر مقتله إلى المدينة جزع المسلمون كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، إنّ له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة».

فسمّي ذا الجناحين والطيار[1].

وقال ﷺ: «اللهمّ إنّ جعفراً قد قدم إلى أحسن الثّواب، فاخلفه في ذريّته، بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريّته»[2].

وينقل التاريخ: أنّ جعفر بن أبي طالب كان معروفاً بحسن السيرة والسّلوك حتى قبل الإسلام، وروي عنه أنّه كان يتحدّث عن حياته في الجاهلية، فيقول: ما شربت خمراً قط، لأنّي علمت إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قط، لأنّ الكذب ينقص المروءة، وما زنيت قط، لأنّي

(١) صادق: م/ زينب وليدة النبوة والإمامة ص٥٣ ـ ٥٥ بتصرّف. مؤسسة الوفاء ـ لندن ١٩٨٧م.

(٢) بحر العلوم: محمد/ في رحاب السيدة زينب ص٣٣ مصدر سابق.

خفت أنّي إذا عملت عُمل بي، وما عبدت صنماً قط، لأنّي علمت أنّه لا يضرّ ولا ينفع.

وروي أنّ جعفر بن أبي طالب كان يقول لأبيه: يا أبة إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون على مثله! فأجابه أبوه: إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب[1].

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله اختارني في ثلاثة من أهل بيتي، أنا سيّد الثلاثة: اختارني وعلياً وجعفراً وحمزة»[2].

ذلك هو الأصل الذي تفرّع عنه عبدالله بن جعفر زوج السيدة زينب ﷺ.

---

(١) الموسم مجلة فصلية/ العدد الرابع ص١٠٦٥ - ١٠٦٨ مصدر سابق.

(٢) مغنية: محمد جواد/ مع بطلة كربلاء ص٢٨ مصدر سابق.

أمّه: (أسماء بنت عميس)

كانت أسماء بنت عميس الخثعمية، امرأة كريمة شريفة ذات رأي حازم، ومعرفة وتجربة، هاجرت في سبيل الله مع زوجها جعفر الطيّار هجرتين، الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة.

وبعد شهادة زوجها جعفر، تزوجت من أبي بكر فأولدها «محمد بن أبي بكر».

وكانت وثيقة الصّلة بالسيدة الزهراء عليها السلام وهي التي ساعدتها فترة مرضها بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت قريبة منها عند وفاتها، وشاركت الإمام علي في تجهيز فاطمة الزهراء.

وبعد وفاة أبي بكر تزوّجها الإمام علي، وضمّها إلى عياله، مع ولدها محمد بن أبي بكر، وهو في الرابعة من عمره، والذي أصبح ربيب الإمام علي، وولدت للإمام علي ولداً أسماه «يحيى»[1]، فعبدالله بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ويحيى بن علي، أخوة من أمّ واحدة.

يقول عنها العلاّمة المحقّق الشيخ جعفر النّقدي: كانت أسماء من القانتات العابدات، روت الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن علي والزهراء عليهما السلام. وروى عنها كثيرون، منهم: ابنها عبدالله بن جعفر، وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وهو جدّ إمامنا الصادق عليه السلام لأمّه، وروى عنها عبدالله بن عباس، وهو ابن أختها «لبابة بنت الحارث»...

قيل: وكان الخليفة عمر يسألها عن تفسير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره، قال في (الإصابة): ويقال أنّها لمّا بلغها قتل ولدها محمد بمصر، قامت إلى مسجد بيتها، وكظمت غيظها، حتى شخب ثدياها دماً[2].

(١) صادق: م/ زينب وليدة النبوة والإمامة ص٥٦ مصدر سابق.

(٢) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٧٧ مصدر سابق.

وقد عبّر عنها الإمام الصادق عليه السلام بـ«النّجيبة»، وترحّم عليها بقوله: «رحم الله الأخوات من أهل الجنّة» وعدّ أسماء في مقدّمتهنّ[1].

هذا هو الحضن الذي تربّى فيه عبدالله بن جعفر زوج السيدة زينب عليها السلام .

(١) بحر العلوم: محمد/ في رحاب السيدة زينب ص٣٤ مصدر سابق.

شخصية عبدالله بن جعفر

هو أكبر أولاد أبيه، وقد ولد في الحبشة، عندما هاجر إليها والداه، وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، وبعد شهادة أبيه في مؤتة، أخذه رسول الله ﷺ في حجره قائلاً:

«أمّا عبدالله فشبيه خَلقي وخُلقي، اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه».

وخاطب رسول الله ﷺ أسماء زوجة جعفر، والتي كانت متأثّرة ليتم أبنائها قائلاً: «لا تخافي عليهم أنا وليّهم في الدنيا والآخرة»[1].

وطبيعي أن يرعاه عمّه علي بعد شهادة أبيه.

وصحب عبدالله بن جعفر النبي، وحفظ الحديث عنه، ولازم عمّه أمير المؤمنين، وابني عمّه الحسن والحسين، وأخذ العلم عنهم.

قال عبدالعزيز سيّد الأهل: رأى النبي، وكانت له به صحبة، وكرّمه رسول الله فأردفه يوماً في ركوبه، ثم شرّفه فأسرّ إليه حديثاً حين أركبه فأردفه[2].

وكان أغنى بني هاشم وأيسرهم، وكانت له ضياع كثيرة، ومتاجر واسعة، وكان أسخى رجل في الإسلام، وله حكايات في الجود كثيرة وعجيبة[3].

وجاء في كتاب (الاستيعاب): أنّ عبدالله بن جعفر كان كريماً جواداً ظريفاً خليقاً عفيفاً سخياً، يسمّى بحر الجود.

---

(١) مغنية: محمد جواد/ مع بطلة كربلاء ص٣٢ مصدر سابق.

(٢) سيد الأهل: عبدالعزي زينب عقيلة بني هاشم ص٢٠ الطبعة الأولى ١٩٥٣م دار العلم للملايين - بيروت.

(٣) مغنية: محمد جواد/ مع بطلة كربلاء ص٣٣ مصدر سابق.

وذكر ابن عساكر قال: روى الحافظ: أنّ معاوية كان يقول: بنو هاشم رجلان: رسول الله لكلّ خير ذكر، وعبدالله بن جعفر لكلّ شرف، والله لكأنّ المجد نازل منزلاً لا يبلغه أحد وعبدالله بن جعفر نازل وسطه[1].

ومن جود ابن جعفر وكرمه، ما ذكره ابن عساكر في (تاريخه) قال: جاء شاعر إلى عبدالله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام — كساني من الخزّ دراعة
نقلت إلى صاحبي أمرها — فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفري — ومن كفّه الدّهر نفاعة
ومن قال للجود لا تعدني — فقال: لك السمع والطّاعة

فقال عبدالله لغلامه: ادفع إليه جبّتي الخزّ.

ثم قال له: ويحك كيف لم تر جبّتي الوشي التي اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب.

فقال: اغفي غفية أخرى فلعلّي أراها في المنام.

فضحك منه عبدالله وقال لغلامه: ادفع إليه جبّتي الوشي أيضاً[2].

وقال ابن حيان: كان يقال لعبدالله بن جعفر: قطب السّخاء، وكان له عند موت النبي عشر سنين[3].

وقال ابن حجر في (الإصابة): أخرج ابن أبي الدنيا، والخرائطي بسند حسن، إلى محمد بن سيرين: أنّ دهقاناً من أهل السّواد، كلّم ابن جعفر في أن يكلّم علياً في حاجة، فكلّمه فيها، فقضاها، فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً، فردّها وقال: إنّا لا نبيع معروفاً[4].

ومضى إليه رجل يدّعي أنّه ابن سبيل، قد راهن الناس على أنّ عبدالله أجود الناس، فقالوا: أرنا.

فجاء إليه وعبدالله على راحلته يريد ضيعة له، فقال الرجل:

يا ابن عمّ رسول الله.

قال: قل ما تشاء.

---

(١) الهاشمي: علي بن الحسين/ **عقيلة بني هاشم** ص٣٤ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص٣٤.

(٣) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٨١ مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق ص٨٦.

قال: أنا ابن سبيل قد انقطع بي.

فأخرج عبدالله رجله من ركابه، ونزل عن راحلته، وقال له: ضع رجلك، واستو على النّاقة، وخذ ما في الحقيبة، وإيّاك أن تخدع عن السيف، فإنه من سيوف علي بن أبي طالب.

ثم ترك الرجل ورجع.

أمّا الرجل فقد وضع رجله في الركاب، واستوى على النّاقة، ومدّ يده إلى الحقيبة، فوجدها ممتلئة بمطارف الخزّ، وبها أربعة آلاف دينار، وكان سيف علي أنفس من المطارف وأجلّ من الدنانير(١).

وخرج عبدالله بن جعفر يوماً إلى ضيعة له، فنزل على حائط به نخيل لقوم، وفيه غلام أسود يقوم عليه، فأتى بقوته ثلاثة أقراص، فدخل كلب فدنا من الغلام، فرمى إليه بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما، وعبدالله ينظر إليه.

فقال: يا غلام كم قوتك كلّ يوم؟.

قال: ما رأيت.

قال: فلم آثرت هذا الكلب؟.

قال: إنّ أرضنا ما هي بأرض كلاب، وإنّ هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أردّه.

قال: فما أنت صانع اليوم؟

قال: أطوي يومي هذا.

فقال عبدالله بن جعفر: أألام على السّخاء وهذا العبد أسخى مني؟.

ثم اشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات، واشترى الغلام، ثم أعتقه، ووهبه الحائط بما فيه من النخيل(٢).

كان عبدالله بن جعفر فذاً من أفذاذ الإسلام، وسيداً من سادات بني هاشم، يقول فيه معاوية: هو أهل لكل شرف، والله ما سبقه أحد إلى شرف إلاّ وسبقه (تهذيب التهذيب ١٧١/٥).

وكان يسمى بحر الجود (أسد الغابة ١٣٤/٣) ويقال: لم يكن في الإسلام أسخى منه (الاستيعاب ٨٨١/٣).

---

(١) سيد الأهل: عبدالعزيز/ زينب عقيلة بني هاشم ص٢٢ مصدر سابق.

(٢) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٨٨ مصدر سابق.

مدحه نصيب فأجزل له في العطاء، فقيل له: تعطي لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلاّ ما يبلى، وأعطانا مدحاً يروى، وثناءً يبقى (الاستيعاب ٨٨٢/٣).

وعوتب على كثرة برّه وإحسانه إلى الناس فقال: إن الله عودني عادة، وعودت الناس عادة فأخاف إن قطعتها قطعت عني (الاستيعاب ٨٨٢/٣) وأنشد:

لست أخشى قلة العدم ... ما اتقيت الله في كرمي

كلما أنفقت يخلفه ... لي رب واسع النعم[1].

ويشير السيد بحر العلوم إلى أن الخيرات والبركات قد انهالت على عبدالله بن جعفر عند زواجه بالسيدة زينب عليها السلام فيقول: وزحفت البركة على ابن جعفر مع زينب، فوفد عليه الرزق من المال والولد، وامتلاك الضياع، وفاضت أرضه بالثّمار والغلات، ووفد أهل المدينة وأبناء السبيل في حاجاتهم على بابه: باب زينب بنت الزهراء[2].

وكان عبدالله بن جعفر منقطعاً إلى عمّه أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسنين عليهما السلام ، وله في الجمل وصفين والنهروان ذكر مشهور.

وأشار ابن عبدربه الأندلسي إلى أنّ عبدالله بن جعفر كان كاتباً لعمّه الإمام علي فترة خلافته[3].

ويقول السيد الخوئي عن شخصية عبدالله بن جعفر: جلالة عبدالله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب بمرتبة لا حاجة معها إلى الإطراء. ومما يدلّ على جلالته أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتحفّظ عليه من القتل، كما كان يتحفّظ على الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية[4].

أمّا عدم خروجه مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء فقد قيل: أنّه كان مكفوف البصر، ولمّا نعي إليه الحسين، وبلغه قتل ولديه عون ومحمد كان جالساً في بيته، ودخل عليه الناس يعزّونه، فقال غلامه أبو اللسلاس: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين.

فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، وقال له: يابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لما

---

(١) القرشي: باقر شريف/ **السيدة زينب بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام** ص٤٧ الطبعة الأولى ١٩٩٨م دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

(٢) بحر العلوم: محمد/ **في رحاب زينب** ـ مصدر سابق.

(٣) الأندلسي: عبدربّه/ **العقد الفريد** ج٤ ص١٦٤ الطبعة الثالثة ١٩٦٥م دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٤) الخوئي: السيد أبو القاسم: **معجم رجال الحديث** ج١٠ ص١٣٨ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م منشورات مدينة العلم في قم ـ إيران.

فارقته حتى أقتل معه، والله إنهما لممّا يسخى بالنفس عنهما: ويهون عليّ المصاب بهما، أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمي، مواسيين له صابرين معه.

ثم أنّه أقبل على الجلساء فقال: الحمد لله، اعزز عليّ بمصرع الحسين، إن لم أكن واسيت الحسين بيدي فقد واسيته بولدي[١].

بقي أن نشير إلى أن عبدالله بن جعفر قد تزوّج في حياة السيدة زينب بنساءٍ أخريات منهنّ: الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة من بني بكر بن وائل، ومنها ولده محمد الشهيد في كربلاء، وكذلك أخوه عبيدالله، الذي ذكرت بعض المصادر أنّه الشهيد الثالث من أولاد عبدالله بن جعفر في كربلاء[٢].

تلك هي بعض الملامح والمعالم من حياة عبدالله قرين السيدة زينب وشريك حياتها.

وقد توفي سنة (٨٠هـ) أو أربع أو خمس وثمانين، في خلافة عبدالملك بن مروان، وصلّى عليه السجّاد أو الباقر عليهما السلام وأمير المدينة يومئذٍ ابان بن عثمان بن عفان، والذي أبّنه بقوله: كنت والله خيراً لا شرّ فيك، وكنت والله شريفاً واصلاً براً[٣].

---

(١) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٤ ص٣٥٧ مصدر سابق.

(٢) بحر العلوم: محمد/ **في رحاب السيدة زينب** ص٣٦ مصدر سابق.

(٣) النقدي: جعفر / **زينب الكبرى** ص٩٠ مصدر سابق.

أولاد السيدة زينب

من يتأمل نضال السيدة زينب، وأدوارها الرسالية العظيمة، يكاد يغفل عن أنّ لها أبناءً كانت تتحمّل مسؤولية رعايتهم وتربيتهم، لتكون العقيلة زينب عليها السلام قدوة كاملة متكاملة للمرأة المسلمة الطموحة، والتي تقوم بكلّ الأعباء والمهام العائلية المنزلية، والدينية الاجتماعية، ولنتعرّف الآن على ثمرات فؤادها وفلذات كبدها:

١ ـ عون بن عبدالله بن جعفر:

كان مع أمه زينب في صحبة خاله الإمام الحسين، وقد نال شرف الشهادة في كربلاء، وفجعت به أمّه زينب إلى جنب فجائعها الأخرى.

وقد برز إلى ساحة الجهاد، فجعل يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر

وتمكّن الشّاب البطل من قتل ثلاثة فوارس، وثمانية عشر راجلاً. ثم ضربه عبدالله بن قطنة الطائي النبهاني بسيفه فقتله.

وقد ورد ذكر عون في الزيارة الواردة من النّاحية المقدّسة، أي عن الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عج) حيث قال:

«السلام على عون بن عبدالله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، ومنازل الأقران، النّاصح للرحمن، التّالي للمثان، لعن الله قاتله عبدالله بن قطنة النبهاني»[1].

---

(١) المصدر السابق ص١٢٨.

٢ ــ محمد:

وقد ذكره العديد من الباحثين في حياة السيدة زينب، كالسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) (ص١١٠)[١] وذكره السيد الهاشمي في كتابه (عقيلة بني هاشم) (ص٣٦) والدكتورة بنت الشاطيء في (السيدة زينب) (ص٥٠) والشيخ محمد جواد مغنية (مع بطلة الطف) (ص٣٦) وم. صادق (زينب وليدة النبوة والإمامة) (ص٦٢) وكتّاب آخرون.

ولكن يبدو أنّ لعبداله بن جعفر ولداً آخر اسمه محمد، من زوجة أخرى، هي الخوصاء من بني بكر بن وائل، وقد استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ممّا سبّب الاشتباه عند بعض الباحثين، فاعتبروا ولديّ عبدالله بن جعفر الشهيدين في كربلاء، اعتبروهما ولدي السيدة زينب عليها السلام لكن التّحقيق يثبت أنّ عوناً فقط هو ابن السيدة زينب، أمّا أخوه محمد فهو ابن ضرّتها «الخوصاء» كما نصّ على ذلك الباحثون حول شهداء كربلاء[٢].

٢ ــ عباس:

ذكرالمؤرخون اسمه دون الإشارة إلى شيء من حياته وسيرته.

٣ ــ علي:

المعروف بالزينبي، وفي نسله الكثرة والعدد، وفي ذرّيته الذيل الطويل والسلالة الباقية، وهو كما في (عمدة الطالب) أحد أرجاء آل أبي طالب الثلاثة.

وفي (تاج العروس) مادة (زينب): والزينبيون بطن من ولد علي الزينبي بن عبدالله الجواد بن جعفر الطيار، نسبة إلى أمه زينب بنت سيدنا علي (رضي الله عنها) وأمها فاطمة (رضي الله عنها) وولد علي هذا أحد أرجاء آل أبي طالب الثلاثة[٣].

ويقول عنه السيد الهاشمي: وأما علي بن عبدالله فهو المعروف بالزينبي، نسبةً إلى أمّه زينب بنت علي عليه السلام ذكروا[٤] أنّـه كان ثلاثة في عصر واحد بني عم، يرجعون إلى أصل قريب، كلهم يسمّى علياً، وكلهم يصلح للخلافة، وهم: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (السجاد)، وعلي بن عبدالله بن العباس، وعلي بن عبدالله بن جعفر الطيار، ولكن إمام المسلمين

---

(١) المصدر السابق ص١٢٦.

(٢) السماوي: محمد/ **أبصار العين في أنصار الحسين** ص٤٠ منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم/ إيران.

ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٢٥٩ مصدر سابق.

(٣) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص١٢٧ مصدر سابق.

(٤) نقل ذلك الأزورقاني من كتاب (**المصابيح**) لأبي بكر الورّاق.

وقتئذٍ كان السجّاد زين العابدين، يعظّمه القريب والبعيد، وتعنوا له كبار المسلمين، وقد تزوّج علي بن عبدالله بن جعفر، لبابة بنت عبدالله بن عباس حبر الأمة، وكان نسل عبدالله بن جعفر منه، والسّادة الزينبية كثيرون، في العراق وفارس ومصر والحجاز والأفغان والهند، وقد جعل الله البركة في نسل هذه السيدة الطّاهرة وطيب سلالتها(١).

وقال ابن عنبه: كان علي الزينبي يكنّى أبا الحسن وكان سيداً كريماً(٢).

وقد ألّف الحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) رسالة حول ذريّة السيدة زينب سمّاها (العجاجة الزرنبيّة في السلالة الزينبية)(٣).

٥ ــ أمّ كلثوم:

أمّ كلثوم: وهي البنت الوحيدة كما يبدوا للسيدة زينب، ولابد وأنّها قد ورثت شمائل أمّها، وتحلّت بمكارم أخلاق أبيها، ولذلك تسابق الخاطبون لطلب يدها، وكان من جملتهم معاوية بن أبي سفيان، خطبها أيّام سلطته لولده يزيد، وكلّف واليه على المدينة مروان بن الحكم، أن يخطبها من أبيها ليزيد بن معاوية، فقال أبوها عبدالله بن جعفر:

إن أمرها ليس إليّ إنّما هو إلى سيّدنا الحسين وهو خالها.

فأخبر الحسين بذلك، فقال: أستخير الله (تعالى) اللهمّ وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمد.

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله ﷺ أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين عليه السلام وقال:

إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني بذلك، وأن أجعل مهرها حكم أبيها، بالغاً ما بلغ، مع صلح ما بين هذين الحيّين، مع قضاء دينه، وأعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ من لا كفؤ له، وبوجهه يُستسقى الغمام، فردّ خيراً يا أبا عبدالله.

فقال الحسين: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه.

ثم قال: يا مروان قد قلت فسمعنا.

أمّا قولك: مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة رسول الله ﷺ في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً.

---

(١) الهاشمي: علي بن الحسين/ **عقيلة بني هاشم** ص٤٠ مصدر سابق.

(٢) محمد علي: موسى/ **عقيلة الطهر والكرم** ص١١٤ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م عالم الكتب - بيروت.

(٣) **الموسم**: مجلة ص٨٥٨ العدد الرابع مصدر سابق.

وأما قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا؟.

وأمّا صلح ما بين هذين الحيّين، فإنّا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري لقد أعيا النّسب فكيف السبب؟.

وأمّا قولك: والعجب كيف يستمهر يزيد؟ فقد استمهر من هو خير من يزيد، ومن أبي يزيد، ومن جدّ يزيد!.

وأمّا قولك: إنّ يزيد كفؤ من لا كفؤ له، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم، ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً.

وأمّا قولك: وجهه يستسقى به الغمام: فإنّما كان ذلك وجه رسول الله ﷺ.

وأمّا قولك: من يغبطنا به أكثر ممّن يغبطه بنا، فإنّما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال عليه السلام: فاشهدوا جميعاً إني قد زوّجت أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر، من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتين بالمدينة ـ أو قال أرضي العقيق ـ وإنّ غلّتها بالسنة ثمانية آلاف دينار، ففيهما لهما غنى إن شاء الله تعالى. فتغيّر وجه مروان، وقال:

أردنا صهركم لنجد وداً ... قد أخلقه به حدث الزمان
فلمّا جئتكم فجبهتموني ... وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم:

أماط الله عنهم كلّ رجس ... وطهرهم بذلك في المثاني
فما لهم سواهم من نظير ... ولا كفو هناك ولا مداني
أتجعل كلّ جبار عنيد ... إلى الأخيار من أهل الجنان[1]

(١) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص١٢٩.

مع أبيها علي

طبيعي أن تنشدّ البنت لأبيها وتتعلّق به، وخاصّة إذا ما فقدت البنت أمّها فسيصبح أبوها حينئذٍ هو المنبع الوحيد للعاطفة والحنان والرعاية تجاهها.

وفي علاقة السيدة زينب بأبيها علي بن أبي طالب، هناك عامل إضافي، يتمثل في الصّفات والسّمات النّفسية والأخلاقية التي يتمتع بها الإمام علي، والتي تفرض حبّه وعشقه وإكباره على كلّ من التقى به، أو عاشره أو سمع عنه.

بل إنّ أيّ واحدة من سوابقه ومناقبه، لحريّة بإخضاع النّفوس والقلوب لمكانته وجلالته، كما يقول أبو الطفيل:

قال بعض أصحاب النبي: لقد كان لعلي من السّوابق ما لو أنّ سابقةً منها بين الخلائق لوسعتهم خيراً[1].

ومن عرف علياً أو تعرّف عليه، فلم يهيمن حبّ علي على قلبه، فذلك دلالة على انحراف في طبعه، وخلل في ذاته.

وهل يكره الخير عاقل؟! أو هل يبغض النور سويّ؟ لذلك قال رسول الله ﷺ للإمام علي: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»[2].

وقال أبو سعيد الخدري: كنّا نعرف المنافقين ـ ، نحن معاشر الأنصار ـ ببغضهم علي بن أبي طالب[3].

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي / **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ج٣ ص٥٩٨ دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٩م.

(٢) المصدر السابق ص٦٠٢.

(٣) المصدر السابق ص٦٠٧.

وحتّى ألدّ خصومه وأعدائه معاوية بن أبي سفيان، لم يستطع كتمان إعجابه بشخصيّته عليه السلام حيث قال لمّا بلغه قتله:

ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب.

فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام؟.

فقال له: دعني عنك[1].

وحينما وصف ضرار بن ضمرة شخصيّة الإمام علي بمحضر معاوية، بعد وفاة الإمام، بكى معاوية، ووكفت دموعه على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، وقال معاوية:

رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[2].

وإذا كانت شخصيّة علي تأسر حتى قلوب أعدائه، فضلاً عن أصحابه وأتباعه، فما هو مدى تأثير شخصيّته على ابنته القريبة منه والمتعلّقة به؟.

نحاول في السطور التّالية، أن نقتطف من ذاكرة التاريخ، ما سجلّته من صور ولقطات، عن تلك العلاقة الإيمانية الإنسانية الحميمة بين السيدة زينب وأبيها عليه السلام لنرى كيف عاشت السيدة زينب في ظلّ أبيها:

الحفاظ على مهابة زينب وصونها

حدّث يحيى المازني قال: كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة، مدّة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً، والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل.

فسأله الحسن مرّة عن ذلك؟.

فقال: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب[3].

---

(1) دخيّل: علي محمد علي/ أئمتنا ص٩١ الطبعة السادسة ١٩٨٢م دار المرتضى - بيروت.

(2) المصدر السابق ص٩٢.

(3) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٢٢ مصدر سابق.

سيدة بيت أبيها

تزوّج الإمام علي عليه السلام بعد فقد الزهراء عليها السلام أكثر من زوجة، لكن أياً من زوجاته لم تكن لتأخذ مكان السيدة زينب، وموقعها في بيت أبيها، فهي سيّدة البيت بما تمثّله من امتداد لأمّها الزهراء، وبما تمتلكه من صفات ومؤهلات، وبما تتمتّع به من محبّة واحترام متبادل مع أبيها وأخويها الحسنين.

وحتّى بعد زواجها بابن عمّها عبدالله بن جعفر، فإنّها لم تنقطع عن بيت أبيها، ولم تشغلها التزاماتها الزّوجية والعائلية، عن أداء دورها المميّز في بيت علي.

يقول السيد بحر العلوم: ورغم أنّ زينب عاشت في بيت الزوجية، لكن الزواج لم يشغلها عن تحمّل مسؤوليات بيت أبيها علي، فهي بنت الزهراء، وحفيدة خديجة، وتحمّل المسؤولية من خصال ربّات هذا البيت. وزينب عقيلة بني هاشم، وسيّدة البيت العلوي، وزعيمة القوم، رغم أنّها تزوّجت، وانتقلت إلى بيت ابن جعفر، إلاّ أنّها لم تتخلّ عن المسؤولية، لتدير بيت أبيها، وتهتمّ بشؤون أخويها، وتصبح المسؤولة عنهم أولاً وآخراً[1].

وتقول بنت الشاطيء: ولم يفرق الزواج بين زينب وأبيها وأخوتها، فقد بلغ من تعلّق الإمام علي بابنته وابن أخيه أن أبقاها معه، حتّى إذا ولي أمر المسلمين، وانتقل إلى الكوفة، انتقلا معه، فعاشا في مقرّ الخلافة، موضع رعاية أمير المؤمنين واعزازه، ووقف عبدالله بجانب عمّه في نضاله الحربي، فكان أميراً بين أمراء جيشه في صفين.

وعرف الناس مكانة عبدالله من بيت النبوّة، فكانوا يلتمسون لديه الوسيلة إلى أمير المؤمنين، وإلى ولديه الحسن والحسين، فلا يردّ له طلب ولا يخيب رجاء.

جاء في (الأصابة) (ج٤ ص٤٨) نقلاً عن محمد بن سيرين: أنّ دهقاناً من أهل السّواد كلّم ابن جعفر في أن يكلّم علياً في حاجة، فكلّمه، فقضاها، فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً فردّها قائلاً: إنّا لا نبيع معروفاً[2].

في موكب أبيها إلى الكوفة

بعد أن اختارته جماهير الأمّة حاكماً وخليفة، وبايعه النّاس برغبتهم واختيارهم، وبشكل لا شبيه له في تاريخ المسلمين، وذلك في شهر ذي الحجة سنة (٣٥هـ) في أعقاب مقتل الخليفة عثمان بن عفان.

---

(١) بحر العلوم: محمد/ في رحاب السيدة زينب ص٣٧ مصدر سابق.

(٢) بنت الشاطيء: عائشة عبدالرحمن/ السيدة زينب ص٥٠ مصدر سابق.

قرّر الإمام علي الانتقال إلى الكوفة، لمواجهة التّطوّرات السياسيّة، حيث نكث بعض مبايعيه بيعته، كطلحة والزبير، واستقطبوا معهم السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ واتّخذوا البصرة بؤرة لتمرّدهم عليه، كما كان معاوية يعبّيء أهل الشام ضدّ خلافة الإمام.

وكان الإمام مدركاً لما ينتظره من أوضاع خطيرة، في عاصمة خلافته الجديدة «الكوفة»، ولكنّه قرّر أن يصطحب معه ابنته زينب، فهو يريدها إلى جانبه في الظروف الحسّاسة والحرجة، وهي تصعب عليها مفارقة أبيها والابتعاد عنه.

وهكذا ودّعت السيدة زينب مسقط رأسها، ومرتع طفولتها، ومثوى جدّها، وأمّها، المدينة المنورة، ورافقت أباها في رحلته إلى الكوفة، بمعيّة زوجها عبدالله بن جعفر.

ويصف الشيخ النقدي ظروف سفر السيدة زينب في موكب أبيها بقوله: سافرت زينب هذه السفرة وهي في غاية العز، ونهاية الجلالة والاحتشام، يسير بها موكب فخم رهيب، من مواكب المعالي والمجد، محفوف بأبّهة الخلافة، محاط بهيبة النبوّة، مشتمل على السكينة والوقار، فيه أبوها الكرّار أمير المؤمنين، وأخوتها الحسنان سيّدا شباب أهل الجنة، وحامل الراية العظمى محمد بن الحنفية، وقمر بني هاشم العباس بن علي، وزوجها الجواد عبدالله بن جعفر، وأبناء عمومتها عبدالله بن عباس، وعبيدالله وأخوتهما، وبقيّة أبناء جعفر الطيار، وعقيل بن أبي طالب، وغيرهم من فتيان بني هاشم، وأتباعهم من رؤساء القبائل، وسادات العرب مدجّجين بالسّلاح، غاصّين في الحديد، والرايات ترفرف على رؤوسهم، وتخفق على هاماتهم، وهي في غبطة وفرح وسرور[(١)].

مدرستها العلمية

لم تكن دار علي في الكوفة مجرّد مركز للسّلطة والحكم، ولا كان وجوده الشريف منحصراً في شخصيته ودوره كحاكم وقائد، بل كانت داره مركز إشعاع للمعرفة والفكر، وكان دوره في التّوجيه الروحي الفكري لا يقلّ عن دوره في الزّعامة السياسية الاجتماعية.

ولكي تنتشر المعرفة في جميع أوساط المجتمع، وحتى لا يحرم أحد من حقّه في الثقافة والوعي، عهد الإمام إلى ابنته العقيلة زينب، أن تتصدّى لتعليم النّساء، وأن تبث المعرفة والوعي في صفوفهن.

فكانت العقيلة زينب تفسّر لهنّ القرآن الكريم، وتروي لهنّ أحاديث جدّها المصطفى ﷺ وأخبار أمّها الزهراء ؏ وتوجيهات أبيها المرتضى ؏.

---

(١) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٩٢ مصدر سابق.

فقد ورد أنّه كان لها مجلس في بيتها أيّام إقامة أبيها عليه السلام في الكوفة، وكانت تفسّر القرآن للنساء، وقد دخل عليها أبوها ذات يوم وهي تفسّر بداية سورة الكهف وسورة مريم ﴿كهيعص﴾[1][2].

(١) سورة مريم، الآية/١.

(٢) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٣٦ مصدر سابق.

امتيازات الخلافة والحكم

الوصول إلى سدّة الخلافة والحكم، يعني الحصول على الامتيازات والمكاسب الماديّة والسياسيّة والاجتماعيّة، فالحاكم تتمركز بيده القوة، وتكون تحت تصرّفه الثروة والامكانات، فيعيش في أعلى درجة من الراحة والرفاه، وتنعم عائلته وأقرباؤه وأعوانه بصنوف النّعم والامتيازات، من مناصب واقطاعات وعطاءات وهبات.

هذا ما ينقله التّاريخ لنا من تلاعب الحكّام الأمويين والعباسيين وغيرهم في الماضي بثروات الأمّة، وبناء القصور بها والاستيلاء على الأراضي، واكتناز الثّروات، وبسط الموائد الفاخرة.

فقد كان شباب بني مروان أيّام حكمهم، يرفلون في الوشي كأنّهم الدنانير الهرقلية، وكان مروان بن ابان بن عثمان يلبس سبعة أقمص، كأنّها درج بعضها أقصر من بعض، وفوقها رداء عدني بألفي درهم، أمّا نساؤهم فقد كنّ يلبسن الديباج والحرير[1].

ولما تزوّج مصعب بن الزبير بعائشة بنت طلحة، أمهرها بألف ألف درهم، وأهدى لها ثماني حبّات من اللؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار، وكانت تحجّ ومعها ستّون بغلة عليها الهوادج والرحائل[2].

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي[3].

وكتب معاوية إلى زياد بن أبيه عامله على العراق، أن يصطفي له الصفراء والبيضاء، فأوعز

---

(١) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الباقر** ج٢ ص١٥١ الطبعة الثانية ١٩٨٤م مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

(٢) المصدر السابق ص١٥٢.

(٣) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام موسى بن جعفر** ج١ ص٣٠١ الطبعة الثانية ١٩٧٠م دار الكتب العلمية ـ قم/ إيران.

زياد إلى عمّاله بذلك، وأمرهم أن لا يقسموا بين المسلمين ذهباً ولا فضة[١].

وكذلك كان الحال لدى حكّام بني العباس، فقد ورد أنّ هارون الرشيد كان ينفق كل يوم على موائد طعامه عشرة آلاف درهم، وربّما اتّخذ له الطّباخون ثلاثين لوناً من الطعام[٢].

وقد شغف هارون الرشيد بالجواهر والأحجار الثّمينة فاشترى خاتماً بمائة ألف دينار، وكان عنده قضيب زمرّد أطول من ذراع، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر لا تقدير لثمنه، نظراً لنفاسته وقد قُيِّم الطائر وحده بمائة ألف دينار[٣].

ويتحدّث التاريخ عن ترف وإسراف زوجته زبيدة، فقد اشترت غلاماً ضرّاباً على العود مجيداً بثلاثمائة ألف درهم، واتخذت الخفاف ـ الأحذية ـ المرصّعة بالجوهر تلبسها في قصرها، واتّخذت سبحة من يواقيت رمانية كالبنادق اشترتها بخمسين ألف دينار. وصنعت لها بساطاً من الديباج، جمع صورة كل حيوان من جميع الأجناس، وصورة كلّ طائر من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر، يقال أنّها أنفقت عليها نحواً من ألف ألف دينار، واتّخذت آلة من الذهب المرصّع بالجوهر، والثّوب من الوشي الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار[٤].

ولم تقتصر مظاهر البذخ وحياة التّرف على الخلفاء والحاكمين وعوائلهم، بل شملت وزراءهم وأعوانهم، فقد كان لأمّ جعفر الوزير البرمكي للعباسيين، مائة وصيفة، لباس كلّ واحدة وحليّها خلاف لباس الأخرى وحليّها[٥].

هكذا يعيش الخلفاء ونساؤهم وعوائلهم، فكيف كان يعيش علي بن أبي طالب مع نسائه وعائلته أيّام خلافته؟ وماذا نالت ابنته زينب من امتيازات الخلافة والحكم؟ وهي كبرى بنات الخليفة، وحبيبة قلبه، وسيّدة بيته؟

لنستعرض بعض ما ينقله لنا التاريخ، عن حياة علي أثناء خلافته، لنرى الظروف والأوضاع التي عايشتها السيدة زينب، في ظلّ خلافة أبيها في الجانب الحياتي المادّي.

كان علي يوزّع ما في بيت المال أسبوعياً كلّ جمعة، ثم يكنس بيت المال وينضحه بالماء،

---

(١) المصدر السابق ص٣٠١.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٣٩.

(٣) المصدر السابق ص٤٦.

(٤) المصدر السابق ص٤٨.

(٥) المصدر السابق ص٥٠.

ثم يصلّي فيه ركعتين ويقول: «أشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين»[1].

وعن الشعبي قال: دخلت الرّحبة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قائماً على صرّتين من ذهب وفضة، فقسّمه بين الناس حتى لم يبقَ منه شيء، ورجع ولم يحمل إلى بيته منه شيئاً، فرجعت إلى أبي فقلت: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحمق الناس.

قال: ومن هو يا بني؟

قلت: رأيت أمير المؤمنين علياً فقصصت عليه الذي رأيته يصنع فبكى وقال:

يا بني بل رأيت خير النّاس[2].

وعن أبي رجاء يزيد بن محجن: أنّ علياً أ خرج سيفاً له إلى السوق فقال: من يشتري منّي سيفي هذا؟ فوالذي نفسي بيده لو أنّ معي ثمن إزار لما بعته!.

قال أبو رجاء: فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك إزاراً وأنسئك ثمنه إلى عطائك.

فبعته إزاراً إلى عطائه، فلمّا قبض عطاءه أعطاني حقّي[3].

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا بين يديه قعب لبن أجد ريحه من شدّة حموضته، وفي يده رغيف ترى قشار الشعير على وجهه، وهو يكسره ويستعين أحياناً بركبته، وإذاجاريته فضة قائمة على رأسه، فقلت لها:

يا فضة أما تتّقون الله في هذا الشيخ؟ لو نخلتم دقيقه.

فقالت: إنّا نكره أن يؤجر ونأثم، وقد أخذ علينا أن لا ننخل له دقيقاً ما صحبناه.

فقال علي: ما يقول؟

قالت: سله.

فقلت له: ما قلت لها: لو ينخلون دقيقك.

فبكى ثم قال: بأبي وأُمي من لم يشبع ثلاثاً متوالية من خبز برّ حتى فارق الدنيا، ولم ينخل دقيقه - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله -[4].

---

(١) الثقفي: أبو إسحاق (المتوفى ٢٨٣هـ)/ **الغارات** ج١ ص٤٩ طبع طهران.

(٢) المصدر السابق ص٥٤.

(٣) المصدر السابق ص٦٣.

(٤) المصدر السابق ص٨٧.

وعن الإمام جعفر بن محمد قال: أُتي علي بخبيص فأبى أن يأكله.

قالوا: تحرّمه؟.

قال: لا ولكنني أخشى أن تتوق إليه نفسي.

ثم تلا ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[1][2].

هكذا كانت السيدة زينب ترى حياة أبيها الخليفة، وكانت سياسة أبيها تنعكس بالطبع على حياتها فقد روي أنّ زوجها عبدالله بن جعفر أصابته حاجة وهو ثري لكنّه ينفق أمواله كرماً وجوداً.

فجاء إلى عمّه أمير المؤمنين علي ليطلب منه معونة من بيت المال، وعبدالله عزيز على قلب عمّه، وهو زوج ابنته العزيزة الأثيرة زينب، فبماذا أجابه علي؟..

لنقرأ نصّ الرواية:

قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعلي: يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة فوالله ما عندي إلاّ أن أبيع بعض علوفتي.

وفي رواية: إلاّ أن أبيع دابّتي.

قال له علي: لا والله ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك!![3].

فعلي لا يجد لابن أخيه العزيز، وزوج ابنته العزيزة، عطاءً أكثر من حصّته المقرّرة، كسائر المسلمين، ويعتبر أيّ عطاء إضافي نوعاً من السرقة من بيت المال!!.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: إنّ علياً ولي الخلافة خمس سنين، وما وضع آجرة ولا لبنة على لبن، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء[4].

وقصّة أخرى ينقلها التّاريخ، تحكي عن وضع بنات الإمام علي وعائلته أثناء خلافته، وكيف أنّهم لم يستفيدوا أيّ شيء مادي من امتيازات الخلافة والسلطة:

عن علي بن أبي رافع قال: كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكاتبه، وكان في بيت المال عقد لؤلؤ.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية/٢٠.

(٢) المصدر السابق ص٩٠.

(٣) الثقفي: أبو اسحاق/ **الغارات** ج١ ص٦٦ مصدر سابق.

(٤) القزويني: محمد كاظم/ **علي من المهد إلى اللحد** ص١٤٠ الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٢م مؤسسة الوفاء - بيروت.

قال: فأرسلت إليّ بنت علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت لي: بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو في يدك، وأنا أحبّ أن تعيرنيه أتجمّل به في أيّام عيد الأضحى. فأرسلت إليها، وقلت: عارية مضمونة يا ابنة أمير المؤمنين...

فقالت: نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام..

فدفعته إليها.. وإنّ أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه، فقال لها: من أين صار إليك هذا العقد؟..

فقالت: استعرته من ابن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزيّن به في العيد ثمّ أردّه..

قال: فبعث إليّ أمير المؤمنين فجئته، فقال: أتخون المسلمين يابن أبي رافع؟.

فقلت: معاذ الله أن أخون المسلمين.

فقال: كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضائي؟.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّها ابنتك، وسألتني أن أعيرها إيّاه تتزيّن به، فأعرتها إيّاه عارية مضمونة مردودة، وضمنته في مالي، وعليّ أن أردّه مسلّماً إلى موضعه.

فقال: ردّه من يومك وإيّاك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي، ثم أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة، لكانت اذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة.

قال: فبلغ مقالته ابنته، فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحقّ بلبسه منّي؟

فقال لها أمير المؤمنين: يا بنت علي بن أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق، أكلّ نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟.

قال ابن أبي رافع: فقبضته منها ورددته إلى موضعه[1].

من كانت تلك البنت؟ هل هي زينب؟ أم احدى أخواتها؟ لعلّها لم تكن زينب لأنّ تقواها ومعرفتها بسياسة أبيها تمنعها من ذلك.

والمهمّ أن نعرف أنّ زينب لم تنل من امتيازات الخلافة والحكم شيئاً، حتّى بمقدار سدّ عوز وحاجة بيتها، أو في حدود استعارة شيء من بيت المال كعارية مضمونة مردودة.

---

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٤٠ ص٣٣٨ مصدر سابق.

من بيتها انطلق الى الشهادة

لقد واكبت السيدة زينب حوالي ثلثي عمر أبيها وحياته، فحينما ولدت في السنة الخامسة للهجرة كان عمر أبيها (٢٨سنة)، وعاصرته وهو يتقلّب بين المعارك والحروب في عهد رسول الله ﷺ، ثم عايشت معه مصيبة فقد رسول الله ﷺ والأحداث التي تلتها، من مصادرة حقّه في الخلافة، ومن ثمّ انعزاله وانكفاؤه لفترة في منزله، وخاصّة عند فقد شريكة حياته الزهراء عليها السلام، ورافقت أباها حينما تولّى الخلافة والحكم، وصحبته إلى الكوفة، وبالتّالي عايشت الظروف الصّعبة القاسية التي مرّت بأبيها، فترة السنوات الخمس، من تمرّد الناكثين والمارقين والقاسطين، حيث اضطرّ الإمام علي لخوض ثلاث معارك مؤلمة:

١ ــ معركة الجمل:

حيث تحالفت السيدة عائشة بنت أبي بكر، زوج رسول الله ﷺ مع طلحة بن عبدالله التيمي، والزّبير بن العوّام ابن عمّة رسول الله ﷺ، تحالفت معهما للتمرّد على سلطة الإمام علي وكانا قد بايعاه، فسارت معهما إلى البصرة، تحرّض النّاس ضدّ الإمام، وتدعوهم لقتاله، تحت شعار المطالبة بدم الخليفة عثمان، واحتشد معها ثلاثون ألف مقاتل، وقد سعى الإمام وحاول التّفاوض والحوار معهم، لإعادتهم إلى جادّة الحقّ والشرعية، لكنهم أصرّوا على القتال والمواجهة، فزحف إليهم الإمام علي في عشرين ألف مقاتل، ودارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس، تكشفت عن سقوط حوالي (١٨ألف قتيل)، (١٣ألف من أصحاب الجمل)، و(٥ آلاف من أصحاب علي)، وقتل طلحة والزبير في المعركة، وعقر الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة وسمّيت المعركة بإسمه.

وكان ذلك في يوم الخميس العاشر من جمادى الثانية سنة (٣٦هـ).

٢ ـــ معركة صفّين:

من عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كان معاوية والياً على الشام، وقد ازداد نفوذه وصلاحياته أيام ابن عمّه الخليفة عثمان بن عفان، وقد علم أنّ الإمام علياً لن يقرّه على منصبه، ولن يفسح له المجال ليلعب كما يحلو له، وكما كان في العهد السابق، إضافة إلى ما يعتمل في نفسه من حقد وعداء للإمام علي، لذلك رفض بيعة الإمام وأعلن التمرّد، وشجّعه على ذلك ما أقدمت عليه عائشة وطلحة والزبير، فعبّأ أهل الشّام وما حولها، وقاد منهم جيشاً لجباً، يبلغ عدد مقاتليه (٨٥ ألف جندي).

وزحف معاوية بجيشه إلى منطقة يقال لها صفين، قرب الرقّة، حيث استقبله الإمام بجيش قوامه تسعون ألفاً، ولم تجد محاولات الإمام في الموعظة والإرشاد والتفاوض والحوار شيئاً، لذلك نشبت المعركة في أول يوم من ذي الحجة سنة (٣٦هـ) أي بعد حوالي خمسة أشهر من معركة الجمل، وانتهت في (١٣ شهر صفر ـ سنة ٣٧هـ) عبر قضية التحكيم المشهورة، وبعد أن تساقط من المسلمين (٧٠ ألف قتيل)، (٥٤ ألفاً من جيش معاوية)، و(٢٥ ألفاً من معسكر الإمام علي) من بينهم خيار أصحاب الإمام وأحبّته كعمّار بن ياسر وهاشم المرقال.

٣ ـــ معركة النهروان:

لقد قبل الإمام علي بالتّحكيم، بعد رفع المصاحف من قبل أهل الشام مضطراً لرغبة أكثرية أتباعه في ذلك، لكنّ طائفة من جيشه غيّروا رأيهم بعد ذلك، ورأوا أنّ القبول بالتّحكيم كان خطأً، كما هو رأي الإمام في البداية، وطالبوا الإمام بالتّراجع، ونقض نتيجة التحكيم، والاعتراف بأنه كان مخطئاً في موقفه، وشكّلوا لهم تجمّعاً مضاداً منشقاً على الإمام، وبدأوا يثيرون الفتنة ويمارسون الإرهاب، فبعث لهم الإمام الرسل، والوسطاء المفاوضين، حتى يرتدعوا عن غيّهم، وردّ على اشكالاتهم وشبههم مراراً في خطبه وأحاديثه، فلمّا أصرّوا على البغي وممارسة الإرهاب، زحف عليهم الإمام بجيشه في منطقة النّهروان بين بغداد وحلوان، وكانوا اربعة آلاف رجلٍ، تراجع منهم ألف ومائتان، بعد خطب الإمام ومحاولاته لهدايتهم، أمّا الباقي فقد بادروا إلى الحرب، ورموا معسكر الإمام بالنّبال، فحمل عليهم الإمام بجيشه وأبادهم ولم يفلت منهم إلاّ أقلّ من عشرة أشخاص.

وتُعرف هذه الواقعة بواقعة الخوارج، وقد حصلت بعد شهور قلائل من انتهاء واقعة صفين وفي نفس سنة (٣٧هـ).

لقد كانت هذه المعارك مؤلمة جداً لنفس الإمام، وموجعة لقلبه، إنّه كان يحمل للأمّة منهج إنقاذ وخلاص، ويخطط لتطبيق العدل والمساواة والحرية، وأن يكمل مسيرة الرسول الأعظم

في بناء خير أمّة أخرجت للناس، لكن الانتهازيين والمصلحيين والحاقدين والجهلاء عرقلوا برنامجه الطموح، ووضعوا العقبات الكأداء في طريقه اللاحب، وأضاعوا على الأمة والبشرية جمعاء فرصة ذهبية تاريخية.

وأصبح علي يقلّب كفّيه حسرة عل واقع الأمّة المؤسف، ويجترّ آهاته وآلامه، لفقده خيرة أصحابه في تلك المعارك المفروضة عليه، ولمّا أصاب معسكره وجمهوره من تعب وتردّد وتقاعس، ولممارسات معاوية الاستفزازية التخّريبية بغاراته على البلدان الخاضعة لحكم الإمام.

ولم تكن السيدة زينب بعيدة عن آلام أبيها ومعاناته، فهي تسمعه أو يبلغها عنه ما كان يخطب به جمهوره من على منبر الكوفة، وهو يصرخ فيهم موبّخاً معاتباً، يستثير هممهم ويستنهض حميّتهم قائلاً:

«يا أشباه الرجال ولا رجال!

حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال!.

لوددت أنّي لم أركم، ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدما!.

قاتلكم الله!.

لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَبَ التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأبي بالعصيان والخذلان...»[1].

ويأتيه خبر احدى غارات معاوية وعبثه وفساده في منطقة الأنبار، فيمتلىء قلبه حزناً وألماً، لما أصاب الناس الآمنين من بطش جيش معاوية، ويتمنّى الموت، ولا يراه كثيراً أمام تحمّل هذه الآلام والمآسي، وتسمع زينب أباها وهو يبثّ همومه ومعاناته قائلاً:

«ولقد بلغني أنّ الرجل منهم ـ من جيش معاوية ـ كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها، وقلائدها ورعثها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام.

فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديرا!.

فيا عجباً! عجباً والله يميت القلب ويجلب الهمّ»[2].

ويبلغها عن أبيها موقفه على مصارع خلّص أصحابه في صفّين، كعمّار بن ياسر، وهاشم المرقال، وهو يتضجّر من الحياة، ويتمنّى الموت، وينشد باكياً:

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة خطبة رقم ٢٧** مصدر سابق.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة خطبة رقم ٢٧** مصدر سابق.

ألا أيّها الموت الذي لست تاركي أرحني فقد أفنيت كلّ خليل
أراك بصيراً بالذين أحبّهم كأنّك تنحو نحوهم بدليل

لقد اشتدّت محنة الإمام، وأحاطت به الآلام، فصار يستعجل الرحيل عن هذه الدنيا وأهلها، ويتشوّق إلى لقاء الله، لكن عبر أفضل سبيل، وأسرع طريق، وهو الشهادة، فهو يكره مغادرة الحياة بموت بارد ساذج، ويرغب العروج إلى الله متوشّحاً برداء الشهادة، مضمّخاً بدمها الطاهر.. أوليس هو القائل:

«إنّ أكرم الموت القتل!».

«والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله»[1].

وهو الذي كان يدعو ربّه قائلاً: «اللهمّ.. فارزقنا الشهادة»[2].

بالطبع كان عشق علي وشوقه للشهادة عميقاً في نفسه، منذ أيّام شبابه، ولم يكن شيئاً مستجداً طارئاً على نفسه، بعد أن كبرت سنّه واشتدّت معاناته، وهذا ما يؤكّده الإمام حين ينقل إحدى ذكرياته مع رسول الله ﷺ فيقول:

«فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنّي الشهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإنّ الشهادة من ورائك؟.

فقال لي: إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟.

فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر»[3].

وحانت ساعة اللقاء.. واقترب موعد الرحيل. ودنت لحظة الفوز بالشهادة التي طالما انتظرها الإمام.. كان ذلك في فجر ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك (سنة ٤٠هـ).

وشاء القدر أن يكون علي تلك الليلة ضيف ابنته زينب، وأن ينطلق للشهادة من بيتها.. وتسجّل لنا روايات التاريخ بعض اللقطات عن تلك الليلة الخطيرة والساعات الحسّاسة في بيت العقيلة زينب.

---

(١) المصدر السابق، الخطبة رقم/١٢٣.

(٢) المصدر السابق، الخطبة رقم/١٧١.

(٣) المصدر السابق، الخطبة رقم/١٥٦.

فقد كان الإمام يفطر في شهر رمضان ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر زوج زينب ابنته لأجلها[1].

وكانت ليلة التاسع عشر من رمضان، حيث يتناول الإمام افطاره عند ابنته زينب، كما تشير إلى ذلك بعض روايات (بحار الأنوار)، وإن كانت بعض الروايات تقول إنه كان عند ابنته أمّ كلثوم، وحسب تحقيقات العلاّمة الشيخ جعفر النقدي فإنّه غالباً ما يطلق على زينب الكبرى أمّ كلثوم في لسان الروايات[2].

ولاحظت السيدة زينب أنّ أباها تلك الليلة كان في وضع استثنائي، وحال لم تعهده منه، تقول:

لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثم يخرج ساعة بعد ساعة، يقلّب طرفه في السماء، وينظر الكواكب، وهو يقول: «والله ما كَذبت ولا كُذبت. وإنّها الليلة التي وعدت بها.. هي والله الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله».

ثم يعود إلى مصلاّه ويقول: «اللهمّ بارك لي في الموت، اللهمّ بارك لي في لقائك» ويكثر من قول «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم... ويستغفر الله كثيراً».

تقول السيدة زينب: فلمّا رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً، كثير الذكر والاستغفار، أرقت معه ليلتي.. وقلت: يا أبتاه مالي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ يا أبا مالك تنعى نفسك؟.

قال: بنيّة قد قرب الأجل وانقطع الأمل.

قالت: فبكيت.. فقال لي: يا بنيّة لا تبكي فإنّي لم أقل لك ذلك إلاّ بما عهد إليّ النبي ﷺ.

ثم أنّه نعس وطوى ساعة، ثم استيقظ من نومه، وقال: يا بنيّة إذا قرب الأذان فأعلميني.. ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرّع إلى الله (سبحانه وتعالى).

قالت: فجعلت أرقب الأذان، فلمّا لاح الوقت أتيته، ومعي إناء فيه ماء، ثم أيقظته، فأسبغ الوضوء، وقام ولبس ثيابه، وفتح بابه، ثم نزل إلى الدار، وكان في الدار أوزّ قد أُهدين إلى أخي الحسين عليه السلام، فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن، وصحن في وجهه، ولم يحدث ذلك من قبل، فقال عليه السلام:

«لا إله إلاّ الله صوارخ تتبعها نوايح وفي غداة غد يظهر القضاء».

---

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٤١ ص٣٠٠ مصدر سابق.

(٢) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص١٧ - ١٨ - ٢٥ - ٣٨.

فقلت: يا أبتاه هكذا تتطيّر؟

قال: يا بنيّة ما منّا أهل البيت من يتطيّر ولا يتطيّر به، ولكن قول جرى على لساني، ثم قال: يا بنيّة بحقّي عليك إلاّ ما أطلقتيه، وقد حبست ما ليس له لسان، ولا يقدر على الكلام، إذا جاع أو عطش، فأطعميه واسقيه، وإلاّ خلّي سبيله يأكل من حشائش الأرض.

فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه، فتعلّق الباب بمئزره فانحلّ ميزره حتى سقط، فأخذه وشدّه وهو يقول:

اشـدد حـيازيمـك لـلـمـوت	فـإنّ الموت لاقـيـكـا
ولا تجـزع مـن الموت	إذا حـلّ بـنـاديـكـا
كـمـا أضـحـكـك الـدّهـر	كـذاك الـدهـر يـبـكـيـكـا

ثم قال: اللهمّ بارك لنا في الموت، اللهم بارك لي في لقائك.

قالت: وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك، قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة!!.

قال: يا بنيّة ما هو بنعاء ولكنها دلالات وعلامات للموت، يتبع بعضها بعضاً.. ثم فتح الباب وخرج[1].

وما هي إلاّ فترة بسيطة من الوقت، وإذا بالسيدة زينب تسمع نعي أبيها علي، حيث ضربه عبدالرحمن بن ملجم، من أتباع الخوارج، بالسيف على هامته؛ حين رفع رأسه من السّجدة الأولى، من الركعة الأولى لصلاة الصبح، ووقع الإمام عليّ في محرابه صريعاً قائلاً: «فزت وربّ الكعبة».

ونقل الإمام إلى داره، حيث فارقت روحه الحياة بعد يومين من إصابته، أي في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك.

وقُبيل وفاته عرق جبينه، فجعل يمسح العرق بيده، فقالت السيدة زينب: يا أبه أراك تمسح جبينك؟.

قال: يا بنيّة سمعت جدّك رسول الله ﷺ يقول: «إنّ المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته، عرق جبينه، كاللؤلؤ الرطب، وسكن أنينه».

فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها وقالت: يا أبه حدّثتني أمّ أيمن بحديث كربلاء، وقد أحببت أن أسمعه منك.

---

(١) القزويني: محمد كاظم/ **علي من المهد إلى اللحد** ص٥٥٩ مصدر سابق.

فقال: يا بنيّة، الحديث كما حدّثتك أم أيمن، وكأني بك وبنساء أهلك لسبايا بهذا البلد، خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس فصبراً صبراً.

وهكذا ودّعت السيدة زينب أباها علياً، ورزئت بفقده، ولك أن تتصوّر مدى الحزن والألم الذي أحاط بها بعد أن فارقت أباها، الذي كان ملء حياتها ووجودها، وكانت متعلّقة به أشدّ التعلّق كما كان يحبّها أشدّ الحبّ.

ولكن كما قال أبوها علي عند فقده أمّها الزهراء.

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة — وكلّ الذي دون الفراق قليل

وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد — دليل على أن لا يدوم خليل

امتداد لشخصية أبيها

عاصرت السيدة زينب أباها لخمس وثلاثين عاماً، كانت خلالها القريبة إلى قلبه، والعزيزة عليه، وكان هو الأقرب إلى نفسها، والأشدّ تأثيراً عليها.. لذلك تقمّصت السيدة زينب شخصية أبيها علي، في شجاعته وإقدامه، وفي فصاحته وبيانه، وفي عبادته وانقطاعه إلى الله، وفي سائر الفضائل والخصال الكريمة، التي ورثتها زينب من أبيها علي، بعد أن تربَّت في أحضانه، وتتلمذت على يديه، طوال خمس وثلاثين سنة.

ففي مجال البلاغة والفصاحة يقول العلاّمة الشيخ جعفر النقدي بعد أن يتحدث عن بلاغة علي وبيانه: فاعلم أنّ هذه الفصاحة العلوية، والبلاغة المرتضوية، قد ورثتها هذه المخدّرة الكريمة، بشهادة العرب أهل البلاغة والفصاحة أنفسهم، فقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم بن كثير، قال:

قدمت الكوفة في المحرم سنة احدى وستين، عند منصرف علي بن الحسين من كربلاء، ومعهم الأجناد، يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنّظر إليهم، فلمّا أقبل بهم على الجمال بغير وطاء، وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن، فسمعت علي بن الحسين يقول بصوت ضئيل، وقد أنهكته العلّة، وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه: إنّ هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا؟.

قال: ورأيت زينب بنت علي، ولم أرَ خفرة أنطق منها، كأنّها تفرع عن لسان أمير المؤمنين.

وهذا حذلم بن كثير من فصحاء العرب، أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها، وأخذته الدهشة من براعتها وشجاعتها الأدبية، حتّى أنّه لم يتمكّن أن يشبّهها إلاّ بأبيها سيّد البلغاء والفصحاء، فقال: كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين[1].

---

(١) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٤٨ مصدر سابق.

وفي جانب العبادة والمناجاة والتضرّع، كانت تحفظ العديد من أدعية ومناجاة أبيها علي، وتواظب على قرائتها، فقد روي عنها: أنّها كانت تدعو بعد صلاة العشاء بدعاء أبيها علي وهو: «اللهمّ إنّي أسألك يا عالم الأمور الخفيّة، ويا من الأرض بعزّته مدحية، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة...» إلى آخر الدعاء[1].

كما كانت تناجي ربّها بمناجاة أبيها علي، وهي قصيدة روحية، تفيض خشوعاً وتضرّعاً لله (سبحانه) مطلعها:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلى   تباركت تُعطي من تشاء وتمنع[2]

وكانت تلهج أيضاً بأبيات حكمية وعظية لأبيها علي جاء فيها:

وكم لله من لطف خفي   يدقّ خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر   وفرج كربة القلب الشّجي
وكم أمر تساء به صباحاً   فتأتيك المسرّة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً   فثق بالواحد الفرد العلي[3]

هكذا تتابع السيدة زينب خطى أبيها علي، وتتقمّص شخصيته وتلهج بأدعيته وكلماته.

---

(١) الهاشمي: علي بن الحسين/ عقيلة بني هاشم ص١٦ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص١٦.

(٣) المصدر السابق ص١٩.

في محنة أخيها الحسن

وبادر الناس إلى مبايعة الإمام الحسن، بعد شهادة أبيه علي عليه السلام لما تواتر في أوساطهم من أحاديث وروايات عن جدّه رسول الله ﷺ في فضله ومكانته، كقوله ﷺ:

«من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن»(١).

وما رواه البرّاء قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه يقول: «اللهمّ إنّي أحبّه فأحبه»(٢).

وفي رواية عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال للحسن: «اللهمّ إنّي أُحبّه فأحبه، وأحبب من يحبّه»(٣).

وعنه ﷺ : «الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»(٤).

وقد بادر بعض الصحابة للإدلاء بشهاداتهم، وما سمعوه عن رسول الله ﷺ في حقّ الإمام الحسن، عندما خطب الإمام الحسن مؤبّناً أباه علياً، ومستقبلاً البيعة من الناس، كما روى زهير بن الأقمر قال:

بينما الحسن بن علي يخطب، بعدما قتل علي، إذ قام إليه رجل من الأزد، آدم طوال، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته، يقول: «من أحبّني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب» ولولا عزمة من رسول الله ﷺ ما حدثتكم(٥).

---

(١) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن** ج١ ص٩٦ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م دار الكتب العلمية - قم/إيران.

(٢) البخاري: محمد بن اسماعيل/**صحيح البخاري** ج٥ ص٣٣ مصدر سابق.

(٣) القشيري: مسلم بن الحجاج/ **صحيح مسلم** ج٢ ص٣٦٧ مصدر سابق.

(٤) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن** ج١ ص٩٦ مصدر سابق.

(٥) العسقلاني: ابن حجر/ **الاصابة في تمييز الصحابة** ج١ ص٣٢٩ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وممّا دفع الناس إلى مبايعة الإمام الحسن، ما عرفوه من صفاته وكفاءاته، التي لا يدانيه فيها أحد، فهو أفضل الأمّة بعد أبيه علي.

فهذا أنس بن مالك يقول: لم يكن أشبه برسول الله من الحسن[1].

وتذاكر قوم من الصحابة يوماً، حول من أشبه النبي من أهله، فقال عبدالله بن الزبير، أنا أحدّثكم بأشبه أهله به وأحبّهم إليه الحسن بن علي[2].

وهذا عبدالله بن عمر وهو جالس في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، في حلقة، فمرَّ الحسن بن علي، فقال: «هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء»[3].

ويقول عمرو بن إسحاق: ما تكلّم أحد أحبّ إليّ أن لا يسكت، من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط[4].

وعن واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي، عليه سيماء الأنبياء، وبهاء الملوك[5].

وقال محمد بن اسحاق: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ﷺ، ما بلغ الحسن، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج جلس، انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله اجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمرَّ الناس، ولقد رأيته في طريق مكّة ماشياً فما من خلق الله رآه إلاّ نزل ومشى، وحتّى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي[6].

ولأنّ الإمام الحسن بعد ذلك، وصيّ أبيه أمير المؤمنين، فلهذه العوامل جميعاً بادر النّاس إلى مبايعته، فقد انبرى عبيدالله بن العباس، مخاطباً الجمع الحاشد، الذي اجتمع بعد مقتل الإمام علي قائلاً:

معاشر الناس هذا ابن نبيّكم - يعني الحسن - ووصيّ إمامكم، فبايعوه، فهتف الناس مستجيبين قائلين: «ما أحبّه إلينا وأوجب حقّه علينا، وأحقّه بالخلافة»[7].

وهكذا بويع الإمام الحسن بالخلافة، في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٠هـ)، بايعه النّاس في الكوفة والبصرة والمدائن، وجميع أهل العراق، وبايعته فارس، والحجازيون

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٩.

(٢) المصدر السابق ص٣٢٩.

(٣) الشوكاني: محمد بن علي/ **درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة** ص٢٨٩ دار الفكر - دمشق ١٩٨٤م.

(٤) دخيّل: علي محمد علي/ **أئمتنا** ج١ ص١٦٧ مصدر سابق.

(٥) المصدرالسابق ص١٦٨.

(٦) المصدر السابق ص١٦٨.

(٧) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن** ج٢ ص٣٤ مصدر سابق.

واليمانيّون، وجميع البلاد الإسلامية، لكن معاوية بن أبي سفيان، أصرّ على التمرّد، كما كان موقفه من خلافة الإمام علي، بل وبدأ يعدّ العدّة، ويحشد الجيوش، للزّحف على عاصمة الخلافة الشرعية الكوفة، ولم تنجح الجهود التي بذلها الإمام الحسن، من رسائل ومبعوثين إلى معاوية، من ثنيه عن موقفه المتمرّد الخارج على الشرعية.

فصمّم الإمام الحسن على مواجهة بغي معاوية، واستنهض جمهوره، وعبّأهم للقتال، بعدما بلغته أنباء تحرّك جيش معاوية باتّجاه العراق، وقوامه (٦٠ ألفاً)، وقيل أكثر من ذلك[١].

لكنّ الظروف لم تكن في صالح الإمام الحسن، فقد كان جيشه وجمهوره متعباً منهكاً، من الحروب الثلاثة التي خاضها مع الإمام علي، كماكان الجيش والجمهور موزّع الولاء والاتّجاه، للتيّارات المختلفة، ومنها الخوارج وأصحاب المطامع، وبلغ تعداد جيش الإمام الحسن (٤٠ ألفاً) على أرجح الروايات التّاريخية[٢].

واجتهد معاوية بن أبي سفيان كثيراً، لتفتيت وتخريب الجبهة الداخلية لمعسكر الإمام الحسن، فبثّ في أوساطه العملاء، الذين ينشرون الإشاعات المثبطة والتشكيكات، كما كثّف مساعيه لإغراء واستقطاب العديد من الزعماء والرؤساء والشخصيات في معسكر الإمام، بتقديم المبالغ المالية الضخمة لهم، وتطميعهم بالمناصب والمواقع.

وبالفعل فقد تخلّى عن الإمام الكثيرون من قيادات جيشه، حتى ابن عمّه عبيدالله بن العباس، والذي كان يقود مقدّمة جيش الإمام لمواجهة معاوية، حيث أغراه معاوية بمبلغ مليون درهم، فتسلّل منحازاً إلى معاوية، ومعه ثمانية آلاف جندي، من أصل اثني عشر ألفاً كان يقودهم!!.

كلّ ذلك أدّى إلى اضطراب جيش الإمام، ممّا جرأ البعض منهم على النّيل من هيبة الإمام شخصياً، ومحاولة اغتياله، وقد هجم جماعة من معسكر الإمام على مضاربه، وسرداقه وانتهبوا أمتعته، وتضيف بعض المصادر أنّهم نزعوا بساطاً كان يجلس عليه، وسلبوا رداءه، كما خاطبه أحد الخوارج وهو الجراح بن سنان قائلاً:

أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل!.

وجرت ثلاث محاولات لاغتيال الإمام في معسكره[٣].

(١) المصدر السابق ص٧١.

(٢) المصدر السابق ص٨٠.

(٣) المصدر السابق ص١٠٦.

هذه الظروف المؤلمة الحرجة، دفعت الإمام الحسن لإعادة النظر، في قرار المواجهة والقتال مع معاوية، لعدم تكافؤ المعسكرين، عدداً وعدّة وتماسكاً، ممّا يجعل مستقبل المواجهة والحرب لصالح معاوية حتماً، وذلك يعني الأخطار والمضاعفات الكبيرة، على وضع الأمة الإسلامية ككلّ، وخطّ أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص.

لذلك قرّر الإمام الحسن الاستجابة إلى دعوة الصّلح، التي كان معاوية يلحّ في طرحها، وتنازل الإمام عن الخلافة والحكم، بشروط قبلها معاوية، ومن أهمّها: العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه، وعدم الظلم والاعتداء على حقوق الناس، وخاصة أهل البيت وأتباعهم، وأن تكون الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن أو حسب اختيار المسلمين.

وتمّ الصّلح حوالي شهر ربيع الأول سنة (٤١هـ) أي بعد ستة أشهر من خلافة الإمام الحسن عليه السلام.

بالطبع كان مؤلماً للإمام الحسن ولأهل بيته وأتباعه، أن يروا معاوية متسلطاً على المسلمين، متحكماً في أمورهم، وأن يلاحظوا الانحرافات الكبيرة الخطيرة التي يقوم بها، دون رادع أو مانع، لكن ماذا يصنع الإمام الحسن وقد خانته الظروف، ولم تخلص له الأمة؟.

وانفعل العديد من المخلصين من أتباع الإمام لما حدث، ووجّهوا للإمام الحسن عتابهم الحادّ الجارح على قرار الصّلح، لكنّ الإمام بقلبه الواسع، وحلمه الكبير، كان يعذرهم على انفعالهم، ويوضح لهم حقيقة الموقف وأبعاده.

وبعد الصلح بقي الإمام في الكوفة أيّاماً، وهو مكلوم القلب، قد طافت به الهموم والآلام، يتلقى من شيعته مرارة الكلام، وقسوة النّقد، ويتلقى من معاوية وحزبه الاستهانة بمركزه الرفيع، وهو مع ذلك صابر محتسب، قد كظم غيظه، وأوكل إلى الله أمره، وقد عزم على مغادرة العراق، والشّخوص إلى مدينة جدّه[1].

وطلب منه بعض أهل الكوفة البقاء عندهم، لكنه لم يستجب لهم، وكان يوم سفره مشهوداً في الكوفة، حيث خرج الناس بمختلف طبقاتهم إلى توديعه، وهم ما بين باك وآسف.

ولم تكن العقيلة زينب بعيدة عن تلك الأحداث القاسية، بل كانت إلى جانب أخيها الحسن، تشاطره معاناته، وتعيش معه آلام الأمة المنكوبة.. وقد غادرت الكوفة مع أخيها إلى مدينة جدّها، ومسقط رأسها، بعد أن قضت في الكوفة حوالي خمس سنوات، مليئة بالحوادث والآلام، ومن أشدّها وأفجعها فقد أبيها علي.

(١) المصدر السابق ص٢٨٥.

وفي المدينة واصلت السيدة زينب تحمّل مسؤوليتها في الهداية والإرشاد، وبثّ المعارف والوعي، كما كانت تشارك أخاها الإمام الحسن، مواجهة إساءات الحكم الأموي وانحرافاته، حيث لم يلتزم معاوية بأيّ شرط من شروط الصّلح، وصار يحكم المسلمين حسب رغباته وشهواته، بعيداً عن تعاليم كتاب الله وسنّة رسوله، كما كان يوجّه سهام بغيه وحقده صوب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فسنّ شتم الإمام علي على المنابر، وقتل خيار أتباعه، وضيّق على شيعته، وصار يخطّط لتنصيب ولده يزيد خليفة وحاكماً على الأمّة من بعده.

بالطبع كان وجود الإمام الحسن يقلق معاوية، ويعرقل بعض مخطّطاته الفاسدة، لذلك فكّر في تصفية الإمام الحسن، والقضاء على حياته، فأغرى زوجته جعدة بنت الأشعث بمائة ألف درهم، ووعدها بأن يزوّجها ولده يزيداً، إن هي دسّت السمّ للإمام الحسن وقضت على حياته.

واستجابت جعدة لتلك الإغراءات، وألقت السمّ الفتّاك الذي بعثه إليها معاوية في طعام الإمام الحسن، فتقطّعت بذلك كبده وأمعاؤه، واستعدّ لمفارقة الحياة.

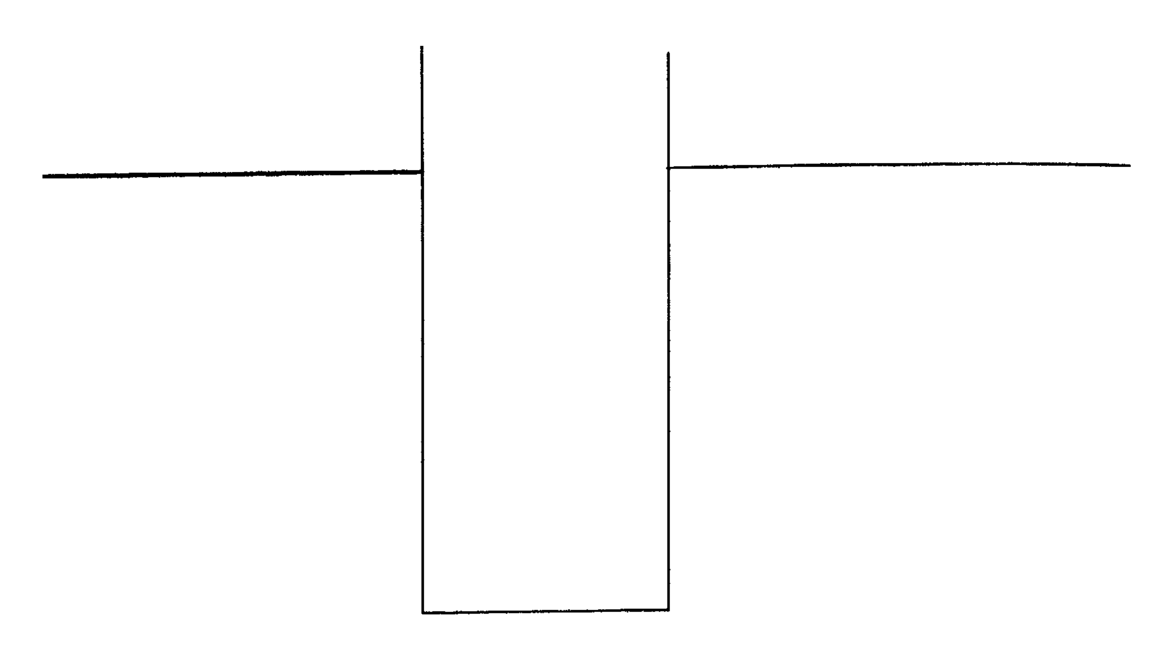
ورأته أخته زينب وهو في فراش الموت، فانفطر قلبها لمأساة أخيها وتجدّدت عليها المصائب والأحزان.

وممّا زاد في آلام السيدة زينب وأحزانها، ما تعرّضت له جنازة أخيها من إساءة وهوان، حيث كان الإمام الحسن قد أوصى بأن يدفن عند قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أو لا أقلّ أن يمرّ به على قبر جدّه، ليجدّد به عهداً، لكن الحزب الأموي اعترض جنازة الإمام، وأثاروا السيّدة عائشة لتتبنّى مواجهة الهاشميين، ومنعهم من الاقتراب بجنازة الإمام الحسن عند قبر جدّه، بحجّة أنّه يقع في بيتها وأنّها لا تسمح لهم بذلك!!.

وهكذا رافقت الظّلامة والمأساة الإمام الحسن حتى بعد وفاته، ومنعوا اقتراب جنازته من قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سبطه الحبيب وولده العزيز!.

كلّ ذلك ضاعف من أحزان السيدة زينب والهاشميين، لذلك ورد في التاريخ: أنّ نساء بني هاشم وفي طليعتهن السيدة زينب استمرّين في النّياحة على الإمام الحسن عليه السلام شهراً كاملاً، وأظهرن الحداد، ولبسن السّواد سنة كاملة[1].

(١) المصدر السابق ص٥٠٢.



بطلــة كربــلاء

يبدو أنّ كلّ ما سبق في حياة السيدة زينب كان بمثابة إعداد وتهيئة للدّور الأكبر، الذي ينتظرها في هذه الحياة.

فالسنوات الخمس الأولى من عمرها، والتي عايشت فيها جدّها المصطفى ﷺ وهو يقود معارك الجهاد لتثبيت أركان الإسلام، ويتحمّل هو وعائلته ظروف العناء والخطر.

والأشهر الثلاثة التي رافقت خلالها أمّها الزهراء، بعد وفاة رسول الله ﷺ ورأت أمّها تدافع عن مقام الخلافة الشّرعي، وتطالب بحقّها المصادر، وتعترض على ما حصل بعد الرسول من تطورات، وتصارع الحسرات والآلام التي أصابتها.

والفترة الحسّاسة الخطيرة التي عاصرت فيها حكم أبيها علي وخلافته، وما حدث فيها من مشاكل وحروب.

ثمّ مواكبتها لمحنة أخيها الحسن، وما تجرّع فيها من غصص وآلام، كلّ تلك المعايشة للأحداث، والمعاصرة للتطوّرات.. كان لإعداد السيدة زينب لتؤدّي امتحانها الصّعب، ودورها الخطير في ثورة أخيها الحسين بكربلاء.

وما كان للسيدة زينب أن تنجح في أداء ذلك الامتحان، وممارسة ذلك الدّور، لو لم تكن تمتلك ذلك الرصيد الضّخم، من تجارب المقاومة والمعاناة، ولو لم يتوفّر لها ذلك الإرث الكبير من البصيرة والوعي.

وواقعة كربلاء تعتبر من أهمّ الأحداث التي عصفت بالأمّة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ.

ففي واقعة كربلاء تجلّى تيّار الردّة إلى الجاهلية، والانقلاب على الأعقاب، ووصل إلى قمّته

وذروته، من خلال المعسكر الأموي.. كما تجسد وتبلور خطّ الرسالة والقيم الآلهية، في الموقف الحسيني العظيم.

وواقعة كربلاء شرّعت للأمّة مقاومة الظلم والطغيان، وشقّت طريق الثورة والنضال، أمام الطّامحين للعدالة والحريّة.

وكان للسيدة زينب دور أساسي رئيسي في هذه الثورة العظيمة.

فهي الشخصية الثانية على مسرح الثّورة بعد شخصية أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

ومن يقرأ أحداث كربلاء، ويقلّب صفحات كتابها، يرى السيدة زينب إلى جانب الحسين في أغلب الفصول والمواقف، بل أنّها قادت مسيرة الثورة بعد استشهاد الإمام الحسين وأكملت حلقاتها.

ولولا كربلاء لما بلغت شخصية السيدة زينب هذه القمّة من السموّ والتألّق والخلود.. ولولا السيدة زينب لما حقّقت كربلاء أهدافها ومعطياتها وآثارها في واقع الأمّة والتاريخ.

لقد أظهرت كربلاء جوهر شخصية السيدة زينب، وكشفت عن عظيم كفاءاتها وملكاتها القيادية، كما أوضحت السيدة زينب للعالم حقيقة ثورة كربلاء، وأبعاد حوادثها.

وحقاً أنّها بطلة كربلاء وشريكة الحسين.

سطور من كتاب الثورة

قبل أن نتحدّث عن دور السيّدة زينب في ثورة كربلاء، لابدّ من قراءة بعض سطور كتاب الثّورة الحسينية، لتوضيح خلفيات ذلك الدور الزّينبي.

طبيعة الحكم الأموي

في شهر (جمادى الأولى - سنة ٤١هـ) وبعد صلح الإمام الحسن، تمّ لمعاوية ما كان يريده ويسعى إليه، فقد أصبح هو الخليفة والحاكم على الأمّة الإسلامية جمعاء.

ودخلت الأمة في نفق الحكم الأموي، حيث لم تعد مبادىء الإسلام وأنظمته هي المرجع والمقياس، وإنّما هي إرادة الحاكم يعمل كيف يشاء وما يشاء، وحتّى لا تزاحمه أيّ إرادة أخرى، ولا يجرأ أحد على معارضته، فقد بدأ في تنفيذ مخطّط لتصفية كلّ رجالات المسلمين الأحرار الشرفاء، وكان من ضحايا ذلك المخطط:

الإمام الحسن بن علي حيث دسّ إليه السمّ، وحجر بن عديّ الصّحابي الجليل، وعبدالرحمن بن حسان العنزي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ربيعة، وشريك بن شدّاد الحضرمي، وكدام بن حيّان العنزي، ومحرز بن شهاب التّميمي، والصّحابي العالم رشيد الهجري، والصحابي العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي، وأوفى بن حصن، وجويرية بن مسّهر العبدي، وعبدالله بن يحيى الحضرمي[1]، وغيرهم من شخصيات الأمّة وأفاضلها المخلصين.

كما عمل الحكم الأموي على تعبئة أجواء الرأي العام ضدّ أهلّ البيت عليهم السلام، وسنّ سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر وفي خطب الجمعة، وفرض ذلك على جميع عمّاله

(١) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن** ج٢ ص٣٥٨ - ٣٨٥ مصدر سابق.

وولاته، ومن أبى منهم عزله، وبقي ذلك سنّةً إلى عهد عمر بن عبدالعزيز، حيث أمر بإلغائه حين تولّى الخلافة، سنة (٩٩هـ) أي أنّ سبّ الإمام علي، استمرّ أكثر من نصف قرن من سنة (٤١هـ إلى سنة ٩٩هـ).

وازدادت الضغوط القمعية على أهل البيت وشيعتهم، من قبل الحكم الأموي، فقد رفع معاوية مذكّرة إلى جميع عمّاله وولاته جاء فيها:

أُنظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

ثمّ شفع ذلك بنسخة أخرى جاء فيها: ومن أتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به واهدموا داره.

وتحدّث الإمام الباقر عمّا جرى على أهل البيت وشيعتهم، من الاضطهاد والأذى في زمن معاوية، فقال: «وقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والإنقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره»[١].

إضافة إلى إظهار الفساد والمخالفة للدين، كتعطيل الحدود، وممارسة الخلاعة والمجون، واستلحاق معاوية لزياد بن أبيه، والجرأة الصّريحة على مخالفة الأحكام الشّرعية من قبل معاوية، حتى في العبادات، كالأذان في صلاة العيد، والخطبة قبل صلاة العيد، وأخذ الزكاة من الأعطية، والتّطيّب في الإحرام، واستعمال أواني الذّهب والفضّة، ولبس الحرير.

وقد ساءت أوضاع الناس الاقتصادية، لأنّ معاوية كان يستأثر هو ومن حوله بأموال المسلمين، ويضعون عليهم مختلف الضّرائب، وكان معاوية يرى لنفسه الحقّ في التّصرّف كما يشاء في ثروات الأمة، بينما يتضوّر الفقراء والمستضعفون جوعاً وحرماناً، وينقل عنه قوله:

الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي[٢].

وذكر ابن حجر أنّه جاء بسند رجاله ثقات: إنّ معاوية خطب يوم جمعة فقال: إنّما المال مالنا، والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه، ومن شئنا منعناه[٣].

وفي (ربيع الأبرار) قال: خطب معاوية فقال:

---

(١) المصدر السابق ص٣٥٦.

(٢) عقيل: محمد/ **النصائح الكافية لمن يتولى معاوية** ص١٣١ - ١٣٤/ الطبعة الثانية ١٩٨١م دار الزهراء - بيروت.

(٣) عقيل: محمد/ **النصائح الكافية لمن يتولى معاوية** ص١٣١ - ١٣٤/ الطبعة الثانية ١٩٨١م دار الزهراء - بيروت.

إنّ الله (تعالى) يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] فعلام تلومنني إذا قصّرت في إعطائكم[2].

كما سلّط معاوية على الأمّة ولاةً جفاة قساة، نشروا الرّعب والبطش، وحكموا النّاس بالإرهاب والقمع، مثل سمرة بن جندب، والذي استعمله زياد على البصرة نائباً عنه، فأسرف في قتل الأبرياء، وازهاق الأنفس بغير حقّ، فقد حدّث محمد بن سليم وقال:

سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟.

فاندفع أنس بحرارة والتّأثّر بادياً عليه قائلاً: وهل يُحصى من قتل سمرة بن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس.

فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟.

فأجابه سمرة: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت[3].

ومن ولاة معاوية الظّالمين: بسر بن أرطأة، والذي وجّهه إلى اليمن، ففعل فيها الأفاعيل المنكرة، التي لم يشهد التّاريخ نظيراً لها في فظاعتها وقسوتها، وذكر الرّواة: أنّ بسر بن أرطأة قتل ثلاثين ألفاً من المسلمين، عدا من أحرقهم بالنار[4].

ومن أخطر ولاة معاوية وأكثرهم جوراً وظلماً، زياد بن أبيه، وقد ولاّه معاوية البصرة والكوفة وسجستان وفارس والسّند والهند.

هكذا عاشت الأمة الإسلامية في ظلّ الحكم الأموي، وبمراجعة بسيطة لكتب التّاريخ، يرى الإنسان صور الظّلم الفظيعة البشعة، التي سجّلها الأمويون في تاريخ حكمهم الأسود.

يزيد بن معاوية حاكماً

واستكمالاً لمشروع الردّة إلى الجاهلية، ختم معاوية بن أبي سفيان حياته باستخلاف ولده يزيد على الأمّة، ليبدأ بذلك عهد الملك العضوض، والحكم الوراثي العائلي، خلافاً لما أقره الإسلام وتعوّد عليه المسلمون.

ولم تكن لدى يزيد أدنى مؤهلات الحكم والخلافة، فقد كان كلفاً بالصيد، لاهياً به، وكان يُلبس كلاب الصّيد الأساور من الذهب، والجلال المنسوجة منه، ويهب لكلّ كلب عبداً

---

(١) سورة الحجر، الآية/٢١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسن ج٢ ص١٩٤ مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق ص١٩٩.

يخدمه، كما كان ولعاً بالقرود، وله قرد يجعله بين يديه ويكنّيه بأبي قيس، ويسقيه فضل كأسه، كما كان مدمناً على شرب الخمر.

يقول الحسن البصري ضمن تعداده لموبقات معاوية:

واستخلاف ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير[1].

وقد اعترض كبار الصّحابة على معاوية، حينما أراد مبايعة ولده يزيد بولاية العهد، وعقد مجلساً في المدينة المنورة، ضمّ نخبة من أفاضل الصحابة، ليخبرهم برغبته في تعيين ولده يزيد ولياً لعهده، فانبرى له عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، زوج السيدة زينب قائلاً بعد حمد الله والثّناء عليه:

«أمّا بعد: فإنّ هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أُخذ فيها بسنّة رسول الله فأولوا رسول الله، وإن أخذ فيها بسنّة الشيخين أبي بكر وعمر، فأيّ الناس أفضل وأكمل وأحقّ بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله لو ولّوه بعد نبيّهم، لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه، ولأُطيع الرحمن، وعُصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتّق الله يا معاوية، فإنّك قد صرت راعياً، ونحن رعيّة، فانظر لرعيّتك فإنّك مسؤول عنها غداً».

واندفع عبدالله بن عمر فقال بعد حمد الله والصّلاة على نبيّه:

«أما بعد: فإن هذه الخلافة ليست بهرقليّة ولا قيصريّة، ولا كسرويّة، يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي، فوالله ما أدخلني مع الستّة من أصحاب الشورى، إلاّ أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً، وإنّما هي في قريش خاصّة، لمن كان لها أهلاً، ممّن ارتضاه المسلمون لأنفسهم، ممّن كان أتقى وأرضى».

وبنفس المضمون تكلّم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، إلاّ أنّ معارضة هؤلاء الصّحابة وغيرهم من أعيان الأمة لم تؤثّر في عزم معاوية على فرض ولده حاكماً من بعده، بل شهر سلاح التّهديد أمام المعارضين، وقال ناطق بإسم معاوية في حضوره وهو يزيد بن المقفّع: أمير المؤمنين هذا ـ وأشار إلى معاوية ـ فإن هلك فهذا ـ وأشار إلى يزيد ـ ومن أبى فهذا ـ وأشار إلى السيف ـ[2].

---

(١) المصدر السابق ص١٨٤.

(٢) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسين ج٢ ص٢٠٣ ـ ٢٠٧.

ومات معاوية في شهر رجب سنة: (٦٠هـ) وأصبح ولده يزيد خليفة وحاكماً على المسلمين.

الحسين يرفض البيعة

وكتب يزيد إلى الوالي الأموي على المدينة، الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، يطلب إليه أخذ البيعة قسراً من كبار الصّحابة، وفي مقدّمتهم الإمام الحسين عليه السلام.

وفي منتصف الليل استُدعي الإمام الحسين إلى مجلس الوليد، وطُلب منه البيعة إلى يزيد، فأجاب الإمام: «إنّ مثلي لا يبايع سراً، ولا يجتزى بها منّي سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة، دعوتنا معهم كان الأمر واحداً».

وقبل الوليد كلام الإمام الحسين، لكنّ مروان بن الحكم والذي كان جالساً إلى جانب الوليد، رفض ما قاله الإمام، وطالب الوليد بإجبار الحسين على البيعة فوراً!!.

ورداً على هذا التّهديد، أعلن الإمام الحسين موقفه الرّافض لبيعة يزيد قائلاً: «أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»[1].

الحسين يغادر إلى مكّة:

وغادر الإمام الحسين المدينة المنوّرة في (٢٨ - رجب - ٦٠هـ) متجهاً إلى مكة المكرمة، بعد أن عهد إلى أخيه محمد بن الحنفية بوصيّة أبان فيها هدف خروجه وتحرّكه، حيث جاء فيها: «إنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»[2].

ووصل مكّة المكرمة في الثّالث من شهر شعبان، وبدأ يعلن موقفه هناك، ويوضح رأيه في الحكم الأموي لجموع المسلمين الذين يؤمّون البيت الحرام حجّاجاً ومعتمرين.

كما بعث الإمام برسائله إلى زعماء العراق في الكوفة والبصرة، يخبرهم بموقفه الرافض لحكم يزيد، ويستحثّهم على تأييده ونصرته.

---

(١) المصدر السابق ص٢٥٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٦٤.

استجابة الكوفة

أجواء الكوفة كانت مهيّأة للثورة على الحكم الأموي، لذلك تفاعل الكوفيون مع موقف الإمام الحسين، وبعثوا له الوفود، وكتبوا له آلاف الرسائل يعلنون بيعتهم له واستعدادهم لنصرته.

ويقول المؤرّخون: إنّه اجتمع عنده في نوب متفرّقة، اثنا عشر ألف كتاب، ووردت إليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم، يعربون عن نصرتهم له حال ما يصل الكوفة، كما ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب.

فبعث إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل، ليرى حقيقة الأوضاع في الكوفة، وليأخذ منهم البيعة للإمام، وليهيء الأمور لمقدم الإمام عليه السلام.

وغادر مسلم مكة المكرمة ليلة النصف من شهر رمضان المبارك، ليصل الكوفة في الخامس من شهر شوال، حيث استقبله أهلها بالبهجة والترحيب، وبادرت جماهيرها لمبايعته كممثّل وسفير للإمام الحسين، فكتب للإمام يبشّره باستجابة الناس لبيعته ويستحثّه على الإسراع في القدوم للكوفة.

إلاّ أن الحكم الأموي والذي أرعبه تمرّد الكوفة على سلطته، بادر إلى عزل والي الكوفة «النعمان بن بشير» لضعفه في مواجهة التمرّد، وعيّن يزيد بن معاوية بدلاً منه عبيدالله بن زياد، وهو معروف بقسوته وغلظته.

وبعد أن استلم ابن زياد ولاية الكوفة خطّط بمكر ودهاء، واستخدم أشدّ أساليب القمع والإرهاب، للقضاء على التمرّد الموالي للإمام الحسين، وكانت النتيجة إلقاء القبض على سفير الحسين مسلم بن عقيل، وإعدامه في الثّامن من ذي الحجة الحرام، مع زعماء آخرين، واعتقال مجموعة كبيرة من شخصيات الكوفة وزعمائها، واعلان حالة الطوارىء القصوى.

إلى العراق

كتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين، يخبره عن استجابة أهل الكوفة لطاعته، وتشوّقهم لقدومه ـ قبل التّطورات اللاحقة ـ فعزم الإمام الحسين على مغادرة مكة باتّجاه العراق، لأنّه لا يريد أن تكون مكّة ساحة لتفجير الثورة، والصّدام مع الحكم الأموي، حفاظاً على قداسة الحرم وأمنه، ولأنّ جمهور العراق أكثر تهيؤاً للثورة حسب رسائلهم وتجاوبهم مع سفير الحسين إليهم.

وقد استفاد الإمام من فترة وجوده في مكّة المكرمة، للإتّصال بجموع المسلمين القادمين للحج والعمرة.

وغادر مكّة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (سنة ٦٠هـ) وكان توقيت المغادرة مثيراً

لجموع الحجيج والمسلمين، حيث كانوا يتأهّبون لأداء مناسك الحج، فلماذا يحرمون من الحج مع الإمام؟!.

وقد رافق الإمام في سفره عدد كبير من أهل بيته رجالاً ونساءً، وجماعة من أنصاره وأتباعه، وفي احدى مراحل الطريق، وصلت إلى الإمام الحسين أنباء التّطورات الخطيرة في الكوفة، وسيطرة الأمويين عليها، ومقتل سفيره مسلم بن عقيل، ورغم تألّمه لما حدث، إلاّ أنّه صمّم على الاستمرار في حركته ومسيرته.

وحينما علمت السلطة الأموية باتّجاه الحسين إلى العراق، بعثت بعض الفرق والمفارز العسكرية، لتمنع الإمام الحسين من دخول الكوفة.

وبعدما تجاوزت قافلة الإمام الحسين موقعاً يقال له «شراف»، واجهتهم فرقة عسكرية من الجيش الأموي، تضمّ زهاء ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، وكان جنود الفرقة يعانون من الظمأ الشديد في حرّ الصحراء اللاهب، فأنقذهم الإمام من الموت المحتم، وبذل لهم ما يحتاجون من الماء، ثم بدأ يحاورهم موضحاً لهم أسباب قدومه إلى العراق، لكنّهم أصرّوا على أن يستسلم لهم، ليقدموا به على ابن زياد والي الأمويين على الكوفة، كما لم يسمحوا له بالرجوع من حيث أتى، وحصل الاتفاق في أن تسير قافلة الإمام في طريق لا يدخله الكوفة كما يريدون هم، ولا يرجعه إلى الحجاز كما يريده الإمام.

في كربلاء

ووصلت إلى قائد الفرقة الأموية رسالة من عبيدالله بن زياد، تأمره بإبقاء الحسين في فيافي الصحراء، وعدم اجباره على الدخول إلى الكوفة، خلافاً لقراره السابق، ولعلّه فكّر في أنّ دخول الحسين إلى الكوفة، قد يؤدّي إلى تطوّرات غير محسوبة، فمواجهته في الصحراء وبعيداً عن الجمهور أفضل.

وعلى إثر الأمر الجديد أرادت الفرقة العسكرية أن تعرقل سير الإمام وتمنعه، بينما كان الإمام يريد مواصلة السّير، ومع المشادّة وتوتّر الأجواء وصلوا إلى منطقة على شاطىء الفرات، وسأل الإمام عن اسم تلك المنطقة، فأجيب أنّها كربلاء، فأمر بالنزول فيها، فهي الأرض التي اختارها الله لتكون مسرح ثورته، وميدان شهادته، وموضع قبره.

وإذا كانت كربلاء في الجغرافيا مجرّد بقعة محدودة من الأرض.

وإذا كانت في التّاريخ قد سجّلت باعتبارها مسرحاً لأهمّ حدث ديني سياسي في الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وإذا كانت قد أصبحت قبلة للمؤمنين يؤمّونها ويقصدونها بقلوبهم وعواطفهم وأبدانهم.

وإذا كانت كربلاء قد أضحت وتراً حزيناً تعزف عليه قرائح الشعراء والأدباء، وملحمة بطولية يستلهم منها الثوّار والمصلحون.

فإنّها عند أهل البيت عليهم السلام أعمق من كلّ ذلك وأكبر.

فليست هناك قضيّة أو حادثة نالت من الاهتمام والتّركيز لدى أهل البيت، ما نالته قضية كربلاء.

فقبل وقوع الحادثة كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدّث عنها، ويشرح بعض تفاصيلها، ويبيّن أهمّيتها وأبعادها.. وكذلك الإمام علي، والسيدة الزهراء، والإمام الحسن.. وبعد الحادثة كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يجدّدون ذكراها، ويحيّون وقائعها، ويأمرون النّاس بتخليدها وتعظيمها.

روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله أعطى أمّ سلمة تراباً من تربة الحسين، حمله إليه جبرئيل، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة:

إذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين.

فحفظت أم سلمة ذلك التراب في قارورة عندها، فلما قتل الحسين صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً[(١)].

وأخرج ابن سعد عن أمّ سلمة أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أخبرني جبريل أنّ الحسين يقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل فيها، فجاء، فهذه تربتها»[(٢)].

وأخرج ابن سعد أيضاً والطبراني في (الكبير) عن عائشة عنه أنّه قال صلى الله عليه وآله: «أخبرني جبريل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أنّ فيها مضجعه»[(٣)].

وأخرج البغوي، وابن السّكن، والباوردي، وابن منده، وابن عساكر، والطبراني في (الكبير) باسناد رجاله ثقات عن أم سلمة:

«إنّ ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض من أرض العراق يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره»[(٤)].

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والبزاز، والطبراني في (الكبير) باسناد رجاله ثقات، عن نجيّ

---

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٩٣ مصدر سابق.

(٢) الشوكاني: محمد بن علي/ **درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة** ص٢٩٤ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

الحضرمي أنّه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين، فنادى عليٌّ: اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله بشطّ الفرات.

قلت: وما ذاك؟.

قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وإذا عيناه تذرفان، قلت: يا نبيّ الله أأغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟

قال: بل قام من عندي جبريل، فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشطّ الفرات، قال: فهل لك أن أشممك من تربته؟ قلت: نعم! فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني إن فاضتا[1].

وفي (تذكرة الخواص) (ص٢٦٠) أنه لما قيل للحسين هذه أرض كربلاء أخذ ترابه فشمّه: وقال: والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أنّني أقتل فيها.

وجاء في (حياة الحيوان) للدميري (ج١ ص٦٠) أنّ الحسين سأل عن اسم المكان: فقيل له: كربلاء.

فقال: ذات كرب وبلاء، لقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين وأنا معه، فوقف وسأل عنه فأخبروه باسمه، فقال: ها هنا محطّ رحالهم، وها هنا مهراق دمائهم!.. فسئل عن ذلك: فقال: نفر من آل محمد ينزلون هاهنا.. ثم أمر بأثقاله فحطّت في ذلك المكان.

وكذلك جاء في (مختصر صفة الصفوة)[2].

وكان وصول الإمام الحسين إلى كربلاء في اليوم الثاني من شهر المحرم (سنة ٦١هـ).

عاشوراء

زحفت القوّات العسكرية الأموية لتحاصر الحسين وأصحابه في كربلاء، واختلف المؤرخون في عدد أفراد القوات الزاحفة نحو كربلاء، ولعلّ القول الأقرب والأصحّ هو ثلاثون ألف مقاتل[3]، بينما كان عدد أفراد معسكر الحسين لا يزيد على ثمانين رجلاً.

بينما فرضت السلطات الحصار على الكوفة، وحالة الطوارىء في داخلها، حتّى لا يتسلّل منها أحد للالتحاق بالإمام الحسين.

وكانت قيادة الجيش الأموي بعهدة عمر بن سعد.

---

(١) المصدر السابق ص٢٩٧.

(٢) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٩١ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق ص١٢٢.

وتحدّث الإمام الحسين للجيش الأموي الزّاحف لقتاله مراراً، ليعرّفهم بنفسه، وليشرح لهم مبررات وأهداف موقفه المعارض للسلطة الأموية، وليوضح لهم سوء الواقع المعاش في ظلّ الأمويين، ومسؤولية الثورة والرفض لظلمهم وطغيانهم.

لكن خطابات الإمام لم تؤثر إلاّ في عدد قليل محدود من أفراد الجيش، كالحرّ بن يزيد الرياحي، قائد الفرقة العسكرية التي واجهت الإمام في الطريق، فقد تأثّر بموقف الإمام وخطاباته، وتمرّد على معسكره، والتحق بمعسكر الإمام الحسين.

وتشديداً للحصار على الإمام الحسين وأصحابه، فقد احتلّ الجيش الأموي شاطيء الفرات، ومنعوا الحسين وأصحابه وعياله من الوصول إلى الماء، منذ اليوم السابع من المحرم.

وفي صبيحة اليوم العاشر من المحرم، بدأ الجيش الأموي هجومه على معسكر الإمام الحسين، فتبادر أصحاب الإمام، ورجالات أسرته الهاشمية، للدفاع عن وجود الإمام وعياله وعن أنفسهم، وسطّروا من خلال معركة دفاعهم المقدس، ملحمة خالدة من البطولة والفداء، لم يعرف التّاريخ لها نظيراً، وبعد ظهر اليوم العاشر من المحرم، كان جميع الأصحاب والأنصار قد عانقوا الشهادة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، بينما بقي الإمام الحسين يواجه القوم بمفرده، وخلفه نساؤه وعياله، قد أقضّهم العطش والظمأ، وآلمهم الحزن والمصاب، وأصبحوا ينتظرون مستقبلاً مأساوياً، بعد فقد رجالاتهم وحماتهم.

وتصدّى الإمام لمواجهة القوم وقتالهم، غير آبه بكثرة جموعهم، ولا نالت المصائب والآلام من عزيمته وشجاعته، حتى أذن الله له بلقائه، فوقع صريعاً شهيداً على بوغاء كربلاء، مضمّخاً بدمائه الشّريفة، شاهداً على انحراف الأمّة عن رسالة جدّه، راسماً لأجيال البشرية طريق الثورة والنضال، دفاعاً عن المبدأ والكرامة.

ولم يكتف الجيش الأموي الظّالم بقتل الإمام وأصحابه جميعاً، بل قتلوا حتى الأطفال الرضّع، كعبدالله الرضيع ابن الإمام الحسين، وهو دون العام من عمره، حيث ذبحوه على صدر أبيه الحسين، ولم يسلم من رجالات معسكر الحسين إلاّ ولده علي بن الحسين زين العابدين لأنّه كان عليلاً مريضاً.

وأجهزوا على الجثث الطّاهرة للإمام الحسين وأصحابه، يحتزّون رؤوسهم، ثم وطأوا جسد الإمام بخيولهم، وأغاروا على خيم نساء الحسين وأطفاله، وأحرقوها بالنار، وسلبوا ما فيها من متاع، وما على النساء والأطفال من حلي وحلل!!.

لقد ارتكب الجيش الأموي الباغي في كربلاء جرائم فظيعة، لا يصحّ ارتكابها حتى مع الأعداء الكافرين، فضلاً عن عترة رسول الله ﷺ.

لذلك أصبحت كربلاء تمثّل أفظع مأساة في تاريخ البشر، وفي ذات الوقت فهي أروع ملحمة في سجلّ البطولة والفداء والصمود.

قافلة السبايا

وفي اليوم الحادي عشر من المحرم، قام الجيش الأموي بمواراة جثث قتلاهم، بينما تركوا الأجساد الطاهرة للإمام الحسين وأصحابه، على صعيد كربلاء، تسفي عليهم الرياح دون مواراة.

وساروا بنساء الحسين وأطفاله سبايا، كأسارى إلى الكوفة، تتقدمهم رؤوس الحسين وأصحابه، معلّقة على رؤوس الرماح.

وكان عدد السبايا عشرين امرأة عدا الصّبية، وقد سيّروهنّ على الجمال بغير وطاء، وساقوهنّ بكلّ عنف وشدّة.

وأدخلوا السبايا إلى الكوفة في اليوم الثاني عشر، وسط مظاهر الفرح والبهجة بانتصار الظالمين على أهل البيت.

وبعد أن بقيت السبايا أياماً في الكوفة، يعانين الإذلال والآلام، سيّروهنّ إلى الشام، مع رؤوس الشهداء، فكانت رحلة مضنية مرهقة، لتلك النساء المفجوعات، والصّبايا اليتيمات.. ولقين في الشام ضروب الشماتة والإهانة، وخاصّة في مجلس يزيد بن معاوية.

ومع أنّ دمشق كانت عاصمة الأمويين، وأجواؤها كانت معبّأة ضدّ أهل البيت عليهم السلام، إلاّ أنّ مأساة السبايا، وأخبار كربلاء، وخطابات الإمام زين العابدين، والسيدة زينب وأمّ كلثوم، كلّ ذلك ترك أثراً في جمهور الشام، وخلّف تيّاراً من الإنكار والرفض لسياسات يزيد بن معاوية، وخوفاً من تنامي ذلك التيّار، أمر يزيد بإعادة السبايا إلى المدينة المنوّرة حسب طلبهم.

وهكذا عادت قافلة السبايا إلى المدينة تشكو إلى رسول الله ﷺ ما أصابهم، من ظلم وضيم واضطهاد لا شبيه له في التاريخ.

وبعد قراءة هذه السّطور المقتضبة السريعة من كتاب الثورة الحسينية، الذي لم تستوف الأجيال قراءته، يمكننا الآن التّحدّث عن دور السيدة زينب عليها السلام في تلك الثورة العظيمة.

الدّور المنتظر

قضيّة كربلاء بأحداثها المروّعة، لم تكن مفاجئة للسيدة زينب، ودورها في تلك الواقعة لم يكن عفوياً، ولا من وحي الصّدفة. فقد كانت مهيّأة نفسياً وذهنياً لتلك الواقعة، وكانت تعلم منذ طفولتها الباكرة، بأنّ تلك الحادثة ستقع وأنّها ستلعب فيها دوراً رئيسياً بارزاً.

صحيح أنّ أحداث كربلاء قبل وقوعها كانت في رحم الغيب، ولا يعلم الغيب إلاّ الله، ولكن من الصحيح أيضاً أنّ الله (تعالى) قد كشف لنبيّه الأعظم أستار الغيب، وأظهره عليه، يقول تعالى: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾**[1].

وثابت عند المسلمين أنّ رسول الله ﷺ قد أخبر أصحابه بالعديد من المغيبات، وأنبأهم بأنّها ستقع، وأدركوا وقوعها بالفعل، وذلك ممّا لا نقاش في ثبوته بين المسلمين.

ومن المغيبات التي تحدّث عنها رسول الله ﷺ واقعة كربلاء، كما أشار إلى ذلك العديد من المصادر الموثوقة عند المسلمين من كتب الحديث.

وأهل البيت المعنيّون بتلك الواقعة، كانوا في طليعة من أحاطهم الرسول بها علماً، كما تؤكّد ذلك مختلف المصادر الحديثيّة والتاريخيّة.

فطبيعي إذاً أن تكون السيدة زينب في أجواء تلك النبوءة، وعلى معرفة بالخطوط العامة للحادثة، بل وببعض تفاصيلها وجزئياتها.

وقد صرّحت العقيلة زينب، بمعرفتها المسبقة بواقعة كربلاء، في الحديث الذي نقله الشيخ الأقدم، أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمّي (المتوفي سنة: ٣٦٧هـ أو ٣٦٨هـ) في كتابه (كامل الزيارة) وهو كتاب اعتمد كبار العلماء على رواياته وأسانيده.

---

(١) سورة الجن، الآيات (٢٦ - ٢٧).

والحديث مروي بسند متصل إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال:

«إنّه لمّا أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام، وقتل من كان معه من ولده وأخوته وساير أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتدُّ لمّا ارى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك منّي عمتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وأخوتي؟.

فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع، وقد ارى سيّدي وأخوتي وعمومتي، وولد عمّي وأهلي، مصرّعين بدمائهم، مرملين بالعراء، مسلبين لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرّج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، وكأنهم أهل بيت من الديلم والخزر؟.

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى. فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك.. ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معرفون في أهل السماوات، إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر، أشياع الضّلالة، في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علواً.

فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟

فقالت: حدّثتني أمّ أيمن ـ مولاة رسول الله ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة في يوم من الأيام... وتستمرّ السيّدة زينب في حديثها الطويل، لابن أخيها زين العابدين، نقلاً عن أم أيمن، وهي تعدّد ما يجري على أهل البيت من حوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حسب ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بين تلك الحوادث واقعة كربلاء.

ثم تعقّب السيدة زينب على ما نقلته عن أمّ أيمن بقولها:

«فلما ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه.

قلت: يا أبة حدثتني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك.

فقال: يا بنية الحديث كما حدّثتك أم أيمن، وكأني بك وبنات أهلك سبايا بهذا البلد ـ أي الكوفة ـ أذلاء خاشعين»[1].

---

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٢٨ ص٥٥ ـ ٦٠ مصدر سابق.

المبادرة والاختيار

قد يجد الإنسان نفسه في معمعة معركة لم يكن مختاراً للدخول فيها، وقد يصبح متورّطاً في مشكلة فرضت عليه دون قصد منه.

ويحصل هذا غالباً بالنسبة للمرأة، فبحكم تبعيّتها للرجل، أباً كان أو زوجاً أو ولداً، قد تجد نفسها محشورة في معركته دون سابق وعي أو اختيار من قبلها.

فهل كان حضور السيدة زينب ودورها في ثورة كربلاء شيئاً من هذا القبيل؟.

بقراءة واعية لدور السيدة زينب، ولمواقفها وكلماتها، خلال أحداث الواقعة، يتجلّى للباحث أنّ السيدة زينب قد اختارت دورها في هذه الثورة العظيمة، بوعي سابق وإدراك عميق، وأنّها كانت المبادرة للمشاركة، كما احتفظت بزمام المبادرة في مختلف المواقف والوقائع الثّورية.

ويحدّثنا التّاريخ: أنّ السيدة زينب هي التي قرّرت وأرادت الخروج مع أخيها الحسين في ثورته، مع أنّها من النّاحية الدينية والاجتماعية، في عهدة زوجها عبدالله بن جعفر، والذي كان مكفوف البصر، كما كانت ربّة منزلها، والقائمة بشؤون أبنائها، وكلّ ذلك كان يمنع التحاقها بركب أخيها الحسين... لكنّها قرّرت تجاوز كلّ تلك العوائق، واستأذنت زوجها في الخروج مع أخيها، فأذن لها بذلك، بل وأمر ولديه عوناً ومحمداً بالالتحاق بقافلة الثورة.

ولأنّ سفر الإمام الحسين كان محفوفاً بالمخاطر، فقد اقترح عليه شيوخ بني هاشم: أن لايصطحب معه أحداً من النساء والعيال، ولكن السيدة زينب كانت بالمرصاد لمثل هذه المقترحات، التي تحول بينها وبين المشاركة في المسيرة المقدسة.

فهذا عبدالله بن عباس، وبعد أن عجز عن اقناع الإمام الحسين بالعودة عن قرار الخروج إلى الثورة، يناقشه في حمل النساء والعيال معه قائلاً:

إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإنّي لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه[1].

ومحمد بن الحنفية أخو الإمام الحسين طرح على الإمام نفس التساؤل، بعدما أخبره الإمام الحسين بعزمه على الخروج، قائلاً: «أتاني رسول الله وقال لي: يا حسين أخرج فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً».

فتساءل محمد بن الحنفية: فما معنى حمل هؤلاء النسوة والأطفال وأنت خارج على مثل هذا الحال؟.

وكان جواب الإمام على تساؤل هؤلاء المشفقين على مستقبل نسائه وعائلته، أشدّ اثارة وغرابة، حيث قال عليه السلام: «قد شاء الله أن يراهنّ سبايا»[2].

ويروي الشيخ النّقدي: أنّ السيدة زينب اعترضت على نصيحة ابن عباس للإمام، بأن لا يحمل معه النساء: فسمع ابن عباس بكاءاً من ورائه وقائلة تقول: يابن عباس تشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ها هنا ويمضي وحده؟ لا والله بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟ فالتفت ابن عباس وإذا المتكلّمة هي زينب[3].

وكما أنّ أصل اشتراكها في الثورة كان بقرارها الواعي، فإنّ أغلب مواقفها في ميادين الثورة، كانت تنبثق من مبادراتها الوثّابة الشجاعة، فهي التي تهرع نحو أخيها الحسين حينما تدلّهم المصائب والخطوب، لتشاركه المواجهة.

وهي في يوم عاشوراء تتحدّى الآلام والظروف العصيبة، لتمارس دورها البطولي العظيم، مع أنّ بعض ما أصابها يكفيها عذراً للانشغال بأحزانها، والإبتعاد عن ساحة المعركة.

ثم وما الذي دفعها للخطابة أمام جمهور الكوفة؟

ومن كان يتوقّع من مثلها خطابها النّاري في مجلس يزيد بن معاوية؟ لقد كانت ظروف السّبي والأسر، وطبيعة الخفارة والخدر لدى السيدة زينب، وأجواء الشّماتة والعداء المحيطة بها في الكوفة والشام.. لقد كان كلّ ذلك، أو بعض ذلك، يكفي دافعاً نحو الانكفاء على الذات، ومعالجة الهموم والحزن.. لكنّ العقيلة زينب تسامت على كلّ ذلك، وامتلكت زمام المبادرة، مسيطرة على كلّ ما حولها من ظروف وأوضاع.

---

(١) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٢٧ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص٣٢.

(٣) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٩٤ مصدر سابق.

ولأنّها كانت مختارة ومبادرة عن سابق وعي وتصميم، فإنّها كانت تنظر إلى ما واجهته من آلام ومآس قاسية، تتصدّع لهولها الجبال الرواسي، تنظر إليها بإيجابية واطمئنان، وتعتبرها ابتلاءاً وامتحاناً آلهياً لابدّ لها من النجاح فيه.

بل أنّها وفي أشدّ المواقف وأفظعها، تضرع إلى الله شاكرة حامدة آلاء نعمه، معلنة تقبّلها لقضاء الله، واستعدادها لتحمّل الأكثر من ذلك في سبيله.

فحينما حدثت الفاجعة الكبرى بمقتل أخيها الحسين، بعد قتل كلّ رجالات بيتها وأنصارهم، خرجت السيدة زينب تعدو نحو ساحة المعركة، تبحث عن جسد أخيها الحسين، غير عابئة بصفوف الجيش الأموي المدجّج بالسّلاح، فلما وقفت على جثمان أخيها العزيز الذي مزّقته السيوف، جعلت تطيل النظر إليه، ثم رفعت بصرها نحو السماء، وهي تدعو بحرارة ولهفة: «اللهم تقبّل منّا هذا القربان»[1].

إنّ ذروة المأساة وقمّة المصيبة، هو مورد للتقرب إلى الله (تعالى) عند السيدة زينب.. وذلك هو قمّة الوعي وأعلى مستويات الإرادة والاختيار.

وحينما يسألها عبيدالله بن زياد، أمير الكوفة، وواجهة السلطة الأموية، في مجلسه سؤال الشّامت المغرور بالنّصر الزّائف، قائلاً: كيف رأيت فعل الله بأخيك؟.

فإنها تجيبه فوراً، ومن أعماق قلبها، بجرأة وصمود قائلة: «ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ؟ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»[2].

وتختم خطابها في مجلس يزيد بن معاوية، بتأكيد رؤيتها الإيجابية، لما حصل لها ولأهل بيتها، من مصائب وآلام، حيث تقول: «والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأوّلنا بالسّعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثّواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[3].

فزينب لم تكن مستدرجة، ولم تجد نفسها متورّطة في معركة فرضت عليها، بل اقتحمت ساحة الثورة بملء إرادتها، وكامل اختيارها، وهنا تتجلّى عظمة السّيدة زينب.

---

(١) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسين ج٣ ص٣٠٤ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٤.

(٣) المصدر السابق ص٣٨٠.

سلاح المظلومية

في المعركة بين الحق والباطل، يستخدم كل من طرفي الصراع جميع ما يتاح له من أسلحة، وما بحوزته من امكانيات، ليقضي على خصمه، أو ليوقع به أكبر قدر ممكن من الخسائر.

وإذا كانت الأسلحة المادية المستخدمة في القتال على أرض المعركة متشابهة، كالسيوف والرماح، فإنّ الأسلحة المعنوية، ووسائل الاستقطاب للمؤيّدين، وأساليب التّأثير والتّعامل مع الناس، تكون متفاوتة مختلفة بين الطرفين، نتيجة لاختلافهما في الأهداف الدافعة، والقيم الحاكمة.

حيث تسعى كل جبهة لتعبئة أفرادها، ورفع معنوياتهم، كما تجتهد في استقطاب الجمهور، والتّأثير في الرأي العام، لصالح موقفها.

ولتحقيق ذلك تستخدم جبهة الباطل أساليب الإغراء والمكر والخداع، لإثارة الأهواء والرّغبات في نفوس أتباعها، فتمنّيهم بالأموال والمناصب والامتيازات، وتغريهم بانتصاراتها الزّائفة، وقوّتها الزّائلة، بينما تشهر جبهة الحقّ سلاح الصدق والخلاص، وتستثير في نفوس أتباعها قيم الحقّ والعدل، وروح التضحية والفداء.

ومن أمضى أسلحة جبهة الحق، التي تجلّت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام هو سلاح المظلومية، بإبراز عدوانية الطّرف الآخر وبشاعة جرائمه، وإظهار عمق المأساة، وشدّة الآلام والمصائب التي تحمّلها معسكر الإمام الحسين.

والمظلومية تستصرخ ضمائر الناس، وتوقظ وجدانهم، وتدفعهم إلى الوقوف إلى جانب أهل الحق المظلومين، كما تستثير نقمتهم وغضبهم ضدّ المعتدين الظّالمين.

والمظلومية تعبّىء الأتباع المناصرين، وتدفعهم للالتفاف أكثر حول معسكرهم وقضيتهم، كما تؤثّر في نفوس الجمهور، ليتعاطف ويؤيّد المظلومين ضدّ الظالمين، بل وتمتدّ آثارها حتى إلى

معسكر العدو، لتحرّك فيه ضمائر بعض جنوده المخدوعين، فيتمرّدون على معسكرهم الظالم، ويلتحقون بصفوف الثوّار المخلصين، وأكثر من ذلك فإنّ تأثير المظلومية يتخطّى الأزمنة والأعصار، ليحشد أجيال البشرية على مرّ التاريخ إلى جانب معسكر الحقّ.

وقد تحقّق كلّ ذلك وبأروع صورة في واقعة كربلاء، فبينما كانت السلطة الأموية تستعرض قوّتها العسكرية أمام النّاس، لترهبهم حتى يقفوا إلى جانبها، وتمارس عليهم أشدّ ضغوط القمع.

وبينما كان الوالي الأموي على الكوفة عبيدالله بن زياد، يغدق الأموال والرشوات على الزّعماء والوجهاء، ويزيد في عطاء الجنود، ويعد القيادات كعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، بالمناصب والولايات.

في مقابل كلّ ذلك كان الإمام الحسين وأصحابه، يبشّرون بالقيم السّامية، ويخاطبون الضمائر الحرّة، ويبصّرون الناس بواقعهم ومسؤولياتهم، ويلفتون الأنظار إلى جرائم السلطة الظالمة، وعدوانيتها وجورها الذي تجاوز كلّ الحدود.

وكان سلاح المظلومية مؤثراً جداً، فكلّما شاهد أصحاب الحسين ما يصيب إمامهم، وعيالاته من الآلام والمصائب، استماتوا أكثر في الدفاع والتضحية والفداء، وازدادوا قناعة ويقيناً بعدالة قضيتهم.

ويحدّثنا التاريخ: كيف أنّ أفراداً بل قيادات من الجيش الأموي، قد تأثّرت لمظلومية الإمام الحسين، وغيّرت موقفها، وتحوّلت إلى جانب المعسكر الحسيني.. كالحر بن يزيد الرياحي، وكان من قادة الجيش الأموي، ومن أشجع أبطالهم، وهو الذي قاد أوّل فرقة عسكرية حاصرت الإمام في الطريق ـ كما سبق ـ .

هذا الرجل حرّكت مظلومية الإمام وجدانه ومشاعره، وأيقظت ضميره، فألوى بعنان فرسه صوب الإمام وهو مطرق برأسه إلى الأرض حياءاً وندماً، فلمّا دنا من الإمام رفع صوته قائلاً:

«اللهمّ إليك أنيب فقد أرعبت قلوب أوليائك، وأولاد نبيّك، يا أبا عبدالله إنّي تائب فهل لي من توبة؟».

ونزل عن فرسه، فوقف قبال الإمام، ودموعه تتبلور على وجهه، وجعل يخاطب الإمام ويتوسّل إليه بقوله:

«جعلني الله فداك يابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وجعجعت بك في هذا المكان. والله الذي لا إله إلاّ هو، ما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبداً».

لقد هزّه وأثاره ما بلغه القوم من الإمام، يعني ما أصاب الإمام منهم من المآسي والآلام.

ولم يكن الحرّ وحده قد تأثرّ بمظلومية الإمام، بل أنّ حوالي ثلاثين فارساً آخر من الجيش الأموي قد اتّخذوا ذات المواقف والتحقوا بمعسكر الإمام[1].

أمّا انعكاس مظلومية الإمام الحسين وأصحابه وعيالاته على جماهير الأمة آنذاك، فهذا ما تحدّثنا عنه الانتفاضات والثّورات التي انطلقت في مختلف أرجاء الأمّة، كردّ فعل على مقتل الإمام الحسين بتلك الصورة الفظيعة، كثورة التّوابين والتي كان شعارها: «يا لثارات الحسين» وثورة المختار الثقفي، وثورة أهل المدينة.

ولا تزال مظلومية الإمام الحسين حيّة مؤثرة في القلوب والنّفوس، على مرّ العصور والأجيال، إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وأبرع وأكثر من شهر سلاح المظلومية واستخدمه في واقعة كربلاء، هي السيدة زينب.. حيث كانت تسلّط الأضواء، وتلفت الأنظار، إلى مواقع الظلامة، وقامت بدور تأجيج العواطف، والهاب المشاعر، أثناء الواقعة، وبعد الواقعة، في الكوفة والشام، وحينما عادت إلى المدينة، بل كرّست باقي أيّام حياتها للقيام بهذا الدور العظيم..

إنّ المواقف العاطفية الوجدانية التي قامت بها السيدة زينب، حيث كانت تبكي وتتألّم، وتنعي وتندب، وتستغيث وتستصرخ، لم تكن مجرّد ردود أفعال عاطفية/ على ما واجهته من مآسي وآلام، بل كانت تلك المواقف فوق ذلك سلاحاً مشرعاً/ تصوّبه نحو الظلم والعدوان، وتدافع به عن معسكر الحقّ والرسالة..

ولنقتطف الآن بعض العيّنات والنماذج من تلك المواقف الزينبية:

ترى الإمام ينعى نفسه:

الحسين في نظر السيدة زينب ليس مجرّد أخ عزيز، ومكانته في نفسها لا تتحدّد في كونه الإمام القائد والمفترض الطاعة فقط، بل فوق ذلك كله أنّه يجسّد ويمثّل شخصية جدّها رسول الله، وأبيها الإمام علي، وأمّها فاطمة الزهراء، وأخيها الإمام الحسن، إنّه البقيّة والامتداد للبيت النبوي العظيم..

لذلك حينما رأته ينعى نفسه وينتظر الشّهادة، أدركت مدى الخسارة التي تحلّ بها وبالوجود عند فقده..

فقد رأت الحسين ليلة العاشر من المحرم، وهو يعالج سيفه ويصلحه في خيمته ويقول:

---

(١) المصدر السابق ص١٩٦ - ١٩٨.

يــا دهــر أفٍ لــك مــن خــلــيــل كــم لــك بــالإشــراق والأصــيــل
مــن صــاحــب وطــالــب قــتــيــل والــدهــر لا يــقــنــع بــالــبــديــل
وإنّمــا الأمــر إلــى الجلــيــل وكــلّ حــي ســالــك ســبــيــل

فلما سمعت السيدة زينب هذه الأبيات، أحسّت أنّ شقيقها عازم على الموت، ومصمّم على الشهادة، فأعولت قائلة:

«واثكلاه! واحزناه! ليت الموت أعدمني الحياة، يا حسيناه، يا سيداه، يا بقيّة أهل بيتاه، استسلمت، ويئست من الحياة، اليوم مات جدّي رسول الله، وأمّي فاطمة الزهراء، وأبي علي، وأخي الحسن، يا بقيّة الماضين، وثمال الباقين».

فقال لها الإمام: «يا أخيّة لا يذهبن بحلمك الشيطان»..

فأجابته بأسىً وإلتياع: «أتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أطول لحزني، وأشجى لقلبي»[1].

وقد أرادت السيدة زينب في هذا الموقف، أن تبيّن خطورة الجريمة التي عزم الجيش الأموي على ارتكابها، إنّها تستهدف رسول اللهﷺ وابنته الزهراء، وأخاه علياً، وسبطه الحسن، عبر قتل من يمثّلهم ويجسّدهم جميعاً آنذاك، وهو الإمام الحسينعليه السلام.

عند مصرع العباس:

لم يكن العباس بن علي جندياً عادياً في معسكر الإمام الحسين، بل كان قائد القوات العسكرية الحسينية، وصاحب اللواء، وكان ذا شخصية عظيمة، وللسيدة زينب به علاقة حميمة، وقد احتفظ به الإمام الحسين إلى جانبه، فلم يأذن له بالنزول إلى ساحة المعركة إلاّ بعد قتل كلّ رجاله وأنصاره، فكان آخر بطل يقاتل بين يدي الحسين، لذلك كان مقتله إيذاناً بانهيار المعسكر الحسيني، كما صرّح بذلك الإمام الحسين حيث وقف على مصرع أخيه العباس قائلاً: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي».

وحينما علمت السيدة زينب بمقتل أخيها العباس، أظلمت الدنيا في عينها، فاندفعت صارخة: «وأخاه، واعبّاساه، واضيعتنا بعدك»[2].

أمام الفاجعة الكبرى:

لا يمكن أن تمرّ على إنسان لحظة أقسى وأصعب من تلك اللحظات الأليمة، التي مرّت على السيدة زينب، حينما وقع أخوها الحسين شهيداً، ووقفت على مصرعه..

---

(١) المصدر السابق ص١٧٢.

(٢) المصدر السابق ص٢٦٩.

إنّها تعرف قيمة الحسين ومكانته عند الله (سبحانه) وعند جدّه رسول الله ﷺ وفي البيت العلوي.. وهي تدرك عظمة الحسين من خلال صفاته الفريدة، ومميّزاته الخاصّة.. وهي تعي موقعية الحسين كامتداد للنبوة، ومجسّد للإمامة، وحجّة لله على الخلق..

وتعلم السيدة زينب أنّ قتل الحسين يمثّل انتهاك أعظم حرمة، وارتكاب أكبر جريمة، وإنّ ذلك يعني الوصول إلى قمّة الارتداد عن الدين، والتّنكر للرسالة.

ثم إنّ قتل الحسين يعني اغتيال أعزّ شيء على قلبها، وأقرب شيء إلى نفسها في هذه الحياة.. والحسين هو الولي لها المحامي لخدرها، وبقتله تصبح تحت رحمة الأعداء الظلمة الجفاة.. فمن سيحمي خدرها، ويصون عزّها، ويدافع عمّن معها من نساء وأطفال؟.

والحسين لم يقتل بالشّكل المتداول في معارك القتال، بل أمعن القوم في تمزيق جسمه بمختلف أدوات الحرب..

فقد أصاب سهم فمه الطّاهر فتفجّر دمه الشريف.. وأصاب سهم جبهته الشريفة المشرقة بنور الإمامة.. ورماه رجس بسهم محدّد، له ثلاث شعب، فاستقرّ في قلبه الشريف، وأخرج الإمام السهم من قفاه، فانبعث دمه كالميزاب، فأخذ الإمام من دمه الطاهر ولّطخ به وجهه ولحيته، وهو يقول: «هكذا أكون حتى ألقى الله وجدّي رسول الله وأنا مخضب بدمي».

وهجمت على ريحانة رسول الله تلك العصابة المجرمة، من كلّ جانب، وهم يوسعونه ضرباً بالسّيوف، وطعناً بالرماح، فضربه أحدهم بالسيف على كفّه اليسرى، وضربه آخر على عاتقه، وكان من أحقد أعدائه عليه الخبيث سنان بن أنس، فقد أخذ يضربه تارة بالسيف وأخرى طعنة بالرمح!!.

يقول بعض المؤرّخين: إنّه لم يضرب أحد في الإسلام كما ضرب الحسين، فقد وجد به مائة وعشرون جراحة، ما بين ضربة سيف، وطعنة رمح، ورمية سهم.

أمّا كيف ومتى علمت السيدة زينب بمقتل أخيها الحسين؟ فإنّ المصادر التّاريخية تشير إلى أنّ فرس الحسين بعد أن وقع الحسين من على ظهره إلى الأرض، ومزّقته سيوف القوم ورماحهم، صبغ ناصيّته بدم الإمام الشهيد، وركض مسرعاً نحو خيمة الحسين، كأنّه يريد إعلام النساء بمقتل الإمام.. وبالفعل كان رجوع فرس الإمام، من دون الإمام نذير سوء لمن في الخيام بأنّهم قد فقدوا عزّهم وزعيمهم..

وهنا خرجت العقيلة زينب مهرولة نحو مصرع أخيها الحسين.. فمن يا ترى يستطيع وصف تلك اللحظات القاسية والموقف الصّعب؟.

لقد وجدت العقيلة نفسها أمام لحظة تاريخية حسّاسة خطيرة، وأمام موقف عظيم، لابدّ وأن تسجّل شهادتها عليه للتاريخ..

فصاحت هاتفة من أعماق قلبها:

«وامحمداه! وأبتاه! واعلياه! واجعفراه! واحمزتاه!.

هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء!.

ليت السماء أطبقت على الأرض! وليت الجبال تدكدكت على السهل!!».

وانتهت نحو الحسين، وقد دنا منه عمر بن سعد قائد الجيش الأموي، في جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه!.

فصاحت السيدة زينب: أي عمر أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟.

فصرف وجهه عنها، ودموعه تسيل على لحيته!!.

والتفتت السيدة زينب إلى حشود الجيش الأموي صارخة بهم: ويحكم أما فيكم مسلم؟.. فلم يجبها أحد[1].

إنّ هول المصيبة، وعظم الفاجعة، وقسوة الحدث، لم يشغل كل ذلك العقيلة زينب عن أداء دورها الرسالي الخطير، في إعلان الظّلامة، وتأجيج العواطف، والهاب المشاعر حتّى في نفوس الأعداء الظالمين..

نظرة وداع:

بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم، عزم الجيش الأموي على مغادرة أرض كربلاء، وقد حملوا معهم نساء الحسين، وأهل بيته وصبيتهم، ومرّوا بقافلة الأرامل الثكولات، والأيتام المفجوعين، على أرض المعركة، وحيث تشرق على ساحتها جثث الشهداء، وأجسام القتلى، من أهل البيت.

وكان منظراً مذهلاً للنساء والأطفال: فالأجساد بلا رؤوس.. والأشلاء موزّعة.. والدماء تصبغ البسيطة..

ويبدو أنّ قيادة الجيش الأموي أرادت أن تدخل الرّعب والفزع إلى نفوس العائلة الحسينية، وأن تحدث الهزيمة والانهيار التامّ في نفوس أفرادها، حتى يدخلوا الكوفة وهم في منتهى الاذلال والهوان..

---

(١) المقرّم: السيد عبدالرزاق/ مقتل الحسين ص٢٨٤ الطبعة الخامسة ١٩٧٩م دار الكتاب الإسلامي - بيروت.

وتأمّلت العقيلة زينب ذلك الموقف الرهيب: حيث ترى أرض الشهادة ترتسم على ربوعها أفظع مأساة، وتنظر إلى النساء والأطفال وقد علتهنّ الكآبة والدهشة.. ومن جانب آخر ترى الجيش الأموي يبالغ في إظهار نشوة انتصاره الزّائف، ويستعرض قوّته وقدرته الغاشمة..

فمزّقت العقيلة زينب أجواء الرّهبة والألم، واندفعت تشهر سلاح المظلّومية، لتصوّبه تجاه المتغطرسين المغرورين، ولتثبت لهم أنّهم ضعفاء مهزومون وإن توهّموا النصر.. فأطلقت صوتها الشجاع المدوّي قائلة: «يا محمّداه هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتّلة».

يقول الرواة: فأبكت كلّ عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها[1].

في مجلس يزيد:

لقد فضح الأمويون أنفسهم، حينما دفعهم حقدهم على أهل البيت وحماقتهم إلى تسيير نساء الحسين وعيالاته، سبايا بتلك الحالة الفظيعة.. فموكب السبايا كان تظاهرة إعلامية، تؤجّج المشاعر، وتلهب العواطف، ضدّ السلطة الظالمة، والعقيلة زينب لم تترك فرصة ولا مناسبة أثناء رحلتها الشّاقة المؤلمة، إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، مروراً بسائر البلدان والمناطق.. إلاّ واستثمرتها في اعلان مظلوميتهم، وتبيين عمق المأساة التي حلّت بهم.

وحتّى في مجلس يزيد بن معاوية، والذي قد خطّط ليكون دخول السبايا إلى مجلسه مهرجاناً، يحتفل فيه بانتصاره على الحسين، فأحضر كبار قادة جيشه، وزعماء الشام، وأحاط نفسه بأجواء من الهيبة المصطنعة.

لكن العقيلة زينب أفسدت عليه كل ما صنع، وأفشلت مهرجانه الضخم، حين نظرت إلى رأس أخيها الحسين، بين يدي يزيد، فانتصبت قائمة، وأجهشت بالبكاء، وأهوت إلى جيبها فشقّته، ونادت بصوت حزين يقرح القلوب: «يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكّة ومنى، يا ابنَ فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا ابن بنت المصطفى».

قال الراوي: فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد ساكت[2]

وجميل ما قالته الأديبة بنت الشاطيء حول هذا الدور الزينبي حيث كتبت تقول: لم تمض زينب إلاّ بعد أن أفسدت على ابن زياد، ويزيد، وبني اميّة، لذّة النصر، وسكبت قطرات من السم الزّعاف في كؤوس الظافرين!.

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٧.

(٢) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص١١٤ مصدر سابق.

فكانت فرحة لم تطل، وكان نصراً مؤقتاً، لم يلبث أن أفضى إلى هزيمة قضت آخر الأمر على دولة بني أمية.

فلم تكد زينب تخرج من عند يزيد، حتى أحسّ أنّ سروره بمقتل الحسين قد شابه كدر خفي، ظلّ يزداد حتى استحال إلى ندم، كدّر صفو الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته[1].

أشعلت ثورة المدينة:

وانتهت بها رحلة الألم والعناء إلى المدينة المنورة، مسقط رأسها، وربوع صباها، ودار أهلها.. بعد فراق وغياب جاوز السبعة أشهر، حيث خرجت من المدينة مع أخيها الحسين، أواخر شهر رجب، وعادت بعد انتهاء شهر صفر.

وفرق كبير بين موكب خروجها المهيب من المدينة، يحيط بها أخوتها وأبناؤها وأبناء اخوتها، ورجالات عشيرتها.. وبين قافلة الأسر التي عادت ضمنها، تلوذ بها الأرملات المثكولات، والصّبايا اليتيمات المفجوعات.

لقد هرعت عند دخولها المدينة، إلى مسجد جدّها رسول الله، حيث مثواه الأقدس، وأخذت بعضادتي باب المسجد، منادية:

«يا جدّاه إنّي ناعية إليك أخي الحسين»[2].

وأصبح برنامجها اليومي والدائم في المدينة المنورة تذكير جماهير الأمة بمظلومية الحسين وأهل بيته، وتخليد المأساة العظيمة في كربلاء، لتؤجّج بذلك العواطف، وتلهب المشاعر، وتحرّض الناس على الحكم الفاسد الظالم.

ويذكر السيد الشريف يحيى بن الحسن، من أحفاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين، وهو المعروف بالعبيدلي النّسابه (٢١٤هـ - ٢٧٧هـ) (٨٢٩م - ٨٩٠م) في رسالته المشهورة (أخبار الزينبات) يذكر فيها: أنّ السيدة زينب وهي بالمدينة، كانت تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين، فكتب والي المدينة، عمرو بن سعيد الأشدق، إلى يزيد يعلمه بالخبر... فكتب إليه يزيد: أن فرّق بينها وبين الناس.. فأمرها الوالي بالخروج من المدينة[3].

لقد أشعلت السيدة زينب الثورة، وفجّرتها في المدينة، ضدّ الحكم الأموي، فكان لها دور المحرّك للثورة، التي عمّت المدينة المنورة سنة (٦٣هـ) حيث تمرّد أهل المدينة على الحكم الأموي/

---

(١) بنت الشاطيء: عائشة عبدالرحمن/**السيدة زينب** ص١٥٨ مصدر سابق.

(٢) المقرّم: عبدالرزاق **مقتل الحسين** ص٣٧٦ مصدر سابق.

(٣) العبيدلي: يحيى بن الحسن/ أخبار الزينبات/ **مجلة الموسم**/ العدد الرابع ص١١٤٢ المجلد الأول ١٩٨٩م.

وطردوا واليه وجميع بني أميّة، وبايعوا عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، فبعث يزيد إلى المدينة جيشاً ضخماً، يبلغ (١٢ ألفاً) بقيادة مسلم بن عقبة، فقضى على التمرّد، وسيطر على المدينة، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً لجيشه، يقتلون الناس، ويأخذون المتاع والأموال.. ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول - أي عبيد - له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم من شاء، فمن امتنع من ذلك قتله.

وعرفت الواقعة باسم «واقعة الحرّة» والتي حصلت لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وعرف مسلم بن عقبة بعد الواقعة بإسم مسرف[1].

واستشهد ولدها عون

شاء الله (سبحانه وتعالى) أن تجتمع على قلب السيدة زينب يوم كربلاء، ألوان المصائب والفجائع، وأن تكون المثل والقدوة في تقديم الضحايا والقرابين، على مذبح العدل والحرية في سبيل الله.

فقد رزئت بقتل ستة من أخوتها، في طليعتهم عماد عزّها الحسين بن علي، وقمر بني هاشم العباس بن علي، وتشير بعض المصادر إلى أنّ من استشهد من أخوة زينب يوم كربلاء عشرة، أمّا الستة الذين تتّفق أغلب المصادر على شهادتهم في كربلاء فهم ما يلي:

١ - الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب.

٢ - العباس بن علي بن أبي طالب.

٣ - جعفر بن علي بن أبي طالب.

٤ - عبدالله بن علي بن أبي طالب.

٥ - عثمان بن علي بن أبي طالب.

٦ - محمد الأصغر بن علي بن أبي طالب.

وهناك أسماء أخرى، تضيفها بعض المصادر كإخوة للسيدة زينب، نالوا شرف الشهادة أيضاً في كربلاء، هي كما يلي:

٧ - أبو بكر بن علي بن أبي طالب.

٨ - عبدالله بن علي بن أبي طالب - غير المذكور سابقاً -.

٩ - عمر بن علي بن أبي طالب.

---

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص١٢٠ مصدر سابق.

١٠ - إبراهيم بن علي بن أبي طالب[١].

كما فجعت بمقتل مجموعة من أبناء اخوتها تجمع المصادر على خمسة منهم ثلاثة من أولاد أخيها الحسن، وهم:

١ - أبو بكر بن الحسن بن علي.

٢ - عبدالله بن الحسن بن علي.

٣ - القاسم بن الحسن بن علي.

واثنان من أولاد أخيها الحسين هم:

٤ - علي بن الحسين الأكبر.

٥ - عبدالله بن الحسين[٢].

إضافة إلى سائر رجالات أسرتها من الهاشميين، والذين يتراوح عددهم جميعاً بين السبعة عشر، والسبعة والعشرين بطلاً، حسب اختلاف المصادر والروايات التاريخية[٣].

ومع ما لمصرع هؤلاء الأعزّة من تأثير فظيع على النفس، إلاّ أنّ لفقد الولد لوعة خاصّة، لم يسلم منها قلب السيدة زينب، فقد فجعت بمقتل ولدها، وفلذة كبدها، عون بن عبدالله بن جعفر، حيث قدّمته شهيداً بين يدي خاله الإمام الحسين.

وبرز عون إلى ساحة المعركة يقاتل الأعداء، وهو يرتجز:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر ... شهيد صدق في الجنان أزهر

يطير فيها بجناح أخضر ... كفى بهذا شرفاً من معشر

فحمل عليه عبدالله بن قطنة الطّائي فقتله، وقد رثاه سليمان بن قتّة بقوله:

واندبي إن بكيت عوناً أخاه ... ليس فيما ينوبهم بخذول

فلعمري لقد أصبت ذوي القربى فبكي على المصاب الطويل[٤]

ونقل أبو الفرج الأصفهاني أنّ قاتل عون هو عبدالله بن قطنة التيهاني[٥].

---

(١) شمس الدين: محمد مهدي/ **أنصار الحسين الرجال والدلالات** ص١٣١ - ١٣٧ الطبعة الثانية ١٩٨١م الدار الإسلامية - بيروت.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٢٥٨ مصدر سابق.

(٥) الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين/ **مقاتل الطالبيين** ص٩١ تحقيق أحمد صقر/ دار المعرفة - بيروت.

وفي بعض المصادر: جاءت الفقرة الأخيرة من رجز عون:

كفى بهذا شرفاً في المحشر

وأنّه قتل من الأعداء ثلاثة فوارس، وثمانية عشر راجلاً، وعن الاسفرائيني أنّه قتل ستّة وعشرين فارساً[1].

ولم تقل كتب السير والمقاتل عن العقيلة زينب، أنّها أعولت على مقتل ولدها، أو أشارت إليه في ندبتها ومأتمها.

قال السيد عبدالعزيز سيد الأهل: لم يسمع لها بكاء حين قتل ولدها عون، بمثل ما بكت به أخاها، وأولاد أخيها[2].

ويبدو أنّ لعبد الله بن جعفر ولداً آخر، اسمه عون الأصغر، وأمّه جمانة بنت المسيّب بن نجبة الفزاري، من هنا حصل خلط في كلام الرواة والمؤرخين، بين عون الذي أمّه زينب، وهو الشهيد في كربلاء، وبين أخيه عون الذي أمه جمانة، ولم يتأكد استشهاده في كربلاء[3] كما استشهد لعبدالله بن جعفر ولد آخر في كربلاء، هو محمد بن عبدالله بن جعفر، لكنّ أمّه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف من بكر بن وائل، وليست السيدة زينب كما توهّم بعض الكتّاب، وأيضاً ذكرت بعض المصادر شهيداً آخر، من ولد عبدالله بن جعفر في كربلاء، وهو عبيدالله بن عبدالله بن جعفر إلاّ أنّ ذلك غير مؤكّد، وأمّه ليست زينب أيضاً بل الخوصاء السابق ذكرها[4].

---

(١) الزنجاني: السيد إبراهيم/ **وسيلة الدارين في أنصار الحسين** ص٢٤١ الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

(٢) سيد الأهل: عبدالعزيز/ **زينب عقيلة بني هاشم** ص٨ مصدر سابق.

(٣) القمي: الشيخ عباس/ **نفس المهموم في مقتل الحسين المظلوم** ص٣١٧/ مكتبة بصيرتي - قم - إيران ١٤٠٥هـ.

(٤) شمس الدين: محمد مهدي/ **أنصار الحسين** ص١٣٣ - ١٣٥ مصدر سابق.

رعاية القافلة

كان لا بدّ وأن يفكّر الإمام الحسين في مصير عائلته، ومستقبلهم بعد شهادته، فهو كأب غيور عطوف، يهمّه أن تتوفّر لعائلته بعده أنسب الظروف الممكنة، كما أنّه يعرف طبيعة أعدائه القساة الظالمين، والذين سوف يصبّون جام غضبهم وحقدهم على عائلته المنكوبة، والأهمّ من كلّ ذلك، فهو يريد من هذه العائلة، أن تؤدّي دوراً جهادياً في خدمة نهضته المقدّسة، ولذلك اصطحبهم معه، وقال لمن أشار عليه بتركهم في المدينة: «قد شاء الله أن يراهنّ سبايا».

كلّ ذلك يستلزم وجود رعاية لهذه القافلة، من الأرامل والأيتام، وقيادة تواصل إدارة المعركة مع الأعداء الظالمين.

وتشير بعض المصادر إلى أنّ عدد النساء اللواتي كنّ مع الإمام الحسين في كربلاء، يتجاوز الأربعين امرأة، كما ذكر أسماءهنّ وتفاصيل حالاتهنّ الشيخ المازندراني[1] عدا الصبايا الصغيرات في السنّ، والأطفال الذكور.

بالطبع فإنّ الإمام زين العابدين هو الوارث الشرعي، والوصي لأبيه، لكن ما يعانيه من المرض، يحول بينه وبين التصدّي لرعاية القافلة، إضافة إلى تربّص العسكر بحياته، وطلبهم أدنى مبرر للقضاء عليه.

فبقيت السيدة زينب هي المرشّح الوحيد، والكفؤ للقيام بهذا الدور، لذلك أوصاها الإمام برعاية القافلة، ونهضت بهذه المسؤولية على أفضل وجه.

فكانت مرجع النساء والأطفال، يلوذون بها في حوائجهم وشؤونهم، وتتحمّل هي مسؤولية رعايتهم والدفاع عنهم.

---

(١) المازندراني: محمد مهدي/ **معالي السبطين** ج٢ ص١٤١ مكتبة القرشي - تبريز - إيران.

وفيما يلي نلتقط بعض الصّور لدور الرعاية الزينبية:

تمنع عبدالله بن الحسن

وهو غلام في الحادية عشر من عمره، وابن للإمام الحسن بن علي، لمّا رأى عمّه الحسين وحيداً وسط المعركة، وقد أحاط به الأعداء، لم تسمح له نفسه بالتّفرج على ما يجري في ساحة المعركة، ودفعته أريحيّته وشهامته، ليركض نحو المعركة، ويفدي عمّه الحسين بنفسه.

ولمّا لمحه الحسين مهرولاً باتّجاهه، نادى بأخته زينب، أن تمارس دورها في حماية ورعاية الأطفال، وأن تمنعه من الخروج إلى المعركة قائلاً:

أحبسيه.

فسارعت العقيلة زينب للحيلولة بينه وبين التوجّه إلى المعركة، لكنّ الغلام امتنع عليها، وأفلت منها، واشتدّ نحو عمّه الحسين، حيث لقي مصرعه في حجر عمّه الحسين[1].

ليلة الحادي عشر

لا شكّ أنها كانت ليلة موحشة عصيبة، على عيالات الحسين، حيث وطأة الفاجعة شديدة على نفوسهم، وقد فقدوا كلّ الولاة الحماة، وحرقت خيامهم وأخبيتهم، وأصبحت النساء والأطفال يلوذون ببعضهم البعض، في تلك الفلاة الموحشة، التي خيّم عليها ظلام الليل، مع ما نالهم من اعتداءات العسكر ضرباً وسلباً وشتماً.

ورائع وصف الدكتور الشيخ أحمد الوائلي لأجواء تلك الليلة حيث يقول:

وسجى الليل والرجال ضحايا والنساء المخدرات ذهول
واليتامى تشرُّدٌ وضياع والثكالى مدامع وعويل
وبقايا مخيم من رماد وقيود يئنُّ منها عليل
وزنود قست عليها سياط وجسوم يضري بها التنكيل[2]

ومن تلك الليلة بدأت العقيلة زينب ممارسة دورها الشاقّ العظيم، في رعاية الركب الحسيني.

يقول الشيخ القرشي: أما حفيدة الرسولﷺ وشقيقة الحسين، العقيلة زينب، فإنها ما وهنت، ولا استكانت، أمام تلك الأهوال القاصمة، فقد أسرعت تلتقط الأطفال الذين هاموا على وجوههم في البيداء، وتجمع العيال في تلك البيداء الموحشة، وهي تسلّيهم وتصبّرهم على تلك

(١) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٥٩ الطبعة الأولى ـ المطبعة الحسينية المصرية.

(٢) السيد حسن: داخل/ **من لا يحضره الخطيب** ج١ ص٢١٦ الطبعة الأولى ١٩٩١م مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

الرزايا، وقد أنفقت تلك الليلة ساهرة على حراستهم[1].

تسلّي الإمام زين العابدين

حينما غادرت قافلة السبايا أرض كربلاء، مرّوا بالنساء والأطفال على ساحة المعركة، فكان المنظر مهيباً مفزعاً، حيث شاهدت العائلة أجسام الأحبّة، مضرّجة بالدماء، مقطّعة الأشلاء، فانفجر الركب عويلاً وبكاءً، وأخذ الجزع والألم من نفس الإمام زين العابدين مأخذاً شديداً، لما يراه من حال جثث أبيه وأعمامه واخوته، ورجال وأشبال أسرته، وأنصارهم الكرام، ولما يلاحظه من افتجاع النساء والعيال والأطفال.

وهنا كان دور زينب القائدة، التي تتسامى على الآلام، وتسيطر على مشاعرها بصورة مذهلة: حيث احتفظت برباطة جأشها، وكظمت كل ما يعتمل في نفسها من الحزن والألم، واتجهت نحو ابن أخيها الإمام زين العابدين تسلّيه وتصبّره، وتطمّنه بالمستقبل المشرق لثورة أبيه الحسين، وحدّثته بحديث طويل جاء فيه:

«مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي واخوتي؟ فوالله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة، والجسوم المضرجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطفّ علماً، لقبر أبيك سيّد الشهداء، لايُدرس أثره، ولا يُمحى رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضّلال في محوه وطمسه، فلا يزداد أثره إلاّ علواً»[2].

تمنع الأطفال من تناول الصّدقة:

حينما دخلت قافلة السبايا إلى الكوفة، كان أثر الاجهاد والعناء والإرهاق واضحاً على الأطفال والصبية في القافلة، كما كانوا يعانون من الجوع... ولاحظت ذلك بعض نساء أهل الكوفة، فصرن يقدّمن التّمر والخبز إلى الأطفال والصبايا، فتناول منه بعضهم، لكن السيدة زينب رفضت ذلك، ومنعت الأطفال عن تناول صدقات الناس، قائلة:

«إنّ الصّدقة حرام علينا أهل البيت».

ولما سمعت الصّبية مقالة العقيلة، رمى كل واحد منهم ما في يده أو في فمه من الطعام. وراح يقول لصاحبه: إن عمّتي تقول: «إنّ الصدقة حرام علينا أهل البيت»[3].

---

(١) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٠٨ مصدر سابق.

(٢) المقرّم: عبدالرزاق/ **مقتل الحسين** ص٣٠٨ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق ص٣١٠.

ترفض استقبال الشّامتات:

في الكوفة أمر ابن زياد بحبس السبايا في دار إلى جنب المسجد الأعظم، وازدحمت نساء أهل الكوفة للدخول على السيدة زينب، والسبايا في سجنهنّ، فرفضت السيدة زينب أن تدخل عليهنّ غير المملوكات، ومن كنّ مسبيّات في الماضي، لتمنع بذلك دخول النساء الشامتات والمتفرّجات علىمأساة أهل البيت، حيث صاحت السيدة زينب بالناس: «لا تدخل علينا إلاّ مملوكة أو أمّ ولد فإنّهنّ سبين كما سبينا»[1].

ملاذ العيال:

حينما يواجه أحد من عيالات الحسين أيّ مشكلة، فإنّ الملجأ والملاذ هي العقيلة زينب، ففاطمة بنت الحسين لمّا سمعت الرجل الشامي يطلبها من يزيد، قائلاً:

هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي.

فإنّها لاذت بعمّتها زينب، محتمية بها، لاجئة إليها، فتصدّت العقيلة زينب للموقف، متحدّية سلطان يزيد وبطشه.

مكافأة الحرس:

بعدما لاحظ يزيد أنّ الحالة المأساوية لسبايا أهل البيت، أثارت عليه النّقمة والغضب، وردّات الفعل العنيفة، من قبل الناس، عمد أخيراً إلى تحسين أوضاع العائلة الحسينية، واستجاب لرغبتهم في الرجوع إلى المدينة، وأمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم، ويسيّر معهم رجلاً أميناً من الشام، ومعه خيل يسير بهم إلى المدينة.

وخلافاً للمعاملة الخشنة التي عانت منها قافلة السبايا في مسيرهم إلى الشام، فقد كان هذا المكلف بركبهم في عودتهم إلى المدينة، لبقاً في التعامل، ليناً في أخلاقه معهم، فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه، بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم فلما وصلوا إلى المدينة أرادت العقيلة زينب مكافأته على حسن تعامله، وجميل صنعه، ولم يكن لديها مال تقدّمه إليه، لكنّها عمدت إلى بعض ما تبقى لديها من حليّ، ولدى أختها فاطمة، وقدمته إليه معتذرة قائلة:

«هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحسن من الفعل».

فتأثّر الرجل من مبادرة السيدة زينب، واعتذر عن قبولها قائلاً:

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٦.

لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا، كان في حليكنّ هذا ما يرضيني دونه، ولكن والله ما فعلته إلاّ لله، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ[1].

تجدر الإشارة إلى أنّ النعمان بن بشير هو الذي رافق موكب العائلة إلى المدينة، وهو أنصاري مدني، يكنّ مشاعر الإحترام لأهل البيت، وهو كان والياً على الكوفة حينما دخلها سفير الحسين، مسلم بن عقيل، ولم يتّخذ ضدّ مسلم اجراءات قمعية، كما كان يرغب الأمويون، فعزله يزيد عن ولاية الكوفة، وولّي عبيدالله بن زياد مكانه، وحينما سمع النعمان مقالة الأمويين عنه أنّه ضعيف أو متضعف، قال: لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله، أحبّ إليّ من أن أكون قوياً في معصيته[2].

(١) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٦ مصدر سابق.

(٢) سيد الأهل: عبدالعزيز/ **زينب عقيلة بني هاشم** ص١٠٠ مصدر سابق.

حماية الإمام

مع أنّ الإمام علي بن الحسين زين العابدين، كان حاضراً في واقعة كربلاء، وكان في عزّ عمره وشبابه في الثانية والعشرين من العمر، ومع أنّ الشباب الهاشميين حتى الأصغر منه سناً، كانوا يتسابقون إلى المعركة، وكان الجيش الأموي لا يتوقّف عن اطلاق النّار على أيّ هاشمي، مهما كان عمره وسنّه، ولو كان طفلاً رضيعاً.. مع كلّ ذلك فقد شاءت حكمة الله (سبحانه) حفظ حياة الإمام زين العابدين، عبر اصابته بالعلّة والمرض، فأصبح ملازماً للخيمة على فراش المرض، حيث أقعده المرض عن حمل السلاح، والنزول إلى ساحة المعركة، ليكون هو الخلف والبقيّة، ولتستمرّ به الإمامة والزّعامة الدينية في ذرية الحسين.

وحينما استشهد الإمام الحسين، وهجم الجيش الأموي على خيامه وعياله، وأصبحوا أسارى في أيدي الظالمين، كانت حياة الإمام زين العابدين معرّضة للخطر، في كلّ لحظة من اللحظات لكن السيدة زينب قامت بدور الحماية والدفاع عن الإمام، في تلك الظروف القاسية الصعبة، وأنقذ الله (تعالى) حياة الإمام بمبادراتها ومواقفها الشجاعة أكثر من مرة.

عند استغاثة الحسين

تلك كانت ساعة حرجة حسّاسة، حيث بقي الحسين وحيداً فريداً في ساحة المعركة، بعد أن تهاوى كلّ أصحابه وأهل بيته شهداء مضرّجين بدمائهم، ويرى خلفه النساء والأطفال تتعالى صيحاتهم وبكاؤهم، وأمامه الأعداء يشرعون سيوفهم للإنقضاض عليه.

وهنا رفع الحسين صوته مستغيثاً، يطلب من ينصره ويعينه في ذلك الموقف الصعب الأليم، قائلاً: «هل من ذابٍ يذبّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا؟».

واخترق نداء الحسين أستار خيام عيالاته ونسائه، فاستشعروا المصيبة والفاجعة، وارتفع بكاؤهم ونحيبهم، وكان لنداء الاستغاثة وقع كبير على قلب الإمام زين العابدين، فقد آلمه وأحزنه أن يكون مريضاً مقعداً، لا يقدر على حمل السيف وقتال الأعداء، لكنّه مع ذلك تحامل على مرضه، ووثب من فراشه، ومشى خطوات يتوكأ على عصا، ويجرّ سيفه، فرمقه الحسين، وتأثّر لمنظره وهيئته، ونادى بأخته أم كلثوم: خذيه واحبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد.

وأرجعته إلى الخيمة، وهو يقول: يا عمّتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله[1].

ويؤكّد السيد المقرّم: أنّ أم كلثوم هذه هي السيدة زينب[2].

عند هجوم العسكر على الخيام

هل كان متوقعاً أن يحصل لأهل البيت ما حصل لهم في كربلاء من المآسي؟ وعلى أيدي أناس يدّعون الإسلام؟ ويمثّلون السلطة الرسمية لحكم المسلمين؟ ولمّا يمض على وفاة الرسول أكثر من نصف قرن من الزمن، وهو الذي طالما أوصى الأمّة بذريّته وعترته، بل اعتبرها الذكر الحكيم أجراً للرسالة ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[3].

لكن عسكر بني أمية قد جاوز كلّ الحدود والأعراف، وتقاليد الحروب، في تعامله مع أهل البيت.. حيث لم يكتفوا بقتل الحسين وأصحابه، وإنّما هجموا بعد ذلك على خيام النساء والأطفال، والتي كانت تضمّ حرائر الرسالة ومخدّرات النبّوة.

ويسجّل السيد المقرّم وصفاً لهذا الهجوم اعتماداً على مصادر عديدة أشار إليها، ننقل منه ما يلي:

لمّا قتل أبو عبدالله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه، وانتهبوا ما في الخيام، وأضرموا النّار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول، فعزت بنات الزهراء حواسر مسلّبات باكيات، وإنّ المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها، وخاتمها من اصبعها، وقرطها من أذنها، والخلخال من رجلها.

أخذ رجل قرطين لأمّ كلثوم وخرم أذنها، وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي.

---

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٤٥ ص٤٦ مصدر سابق.

(٢) المقرّم: عبدالرزاق/ مقتل الحسين ص٣١٦ مصدر سابق.

(٣) سورة الشورى، الآية/٢٣.

قالت له: مالك تبكي؟!.

فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟.

قالت له: دعني إذاً.

قال: أخاف أن يأخذه غيري[1].

بهذه الرّوح العدوانية هجموا على الخيمة التي كان فيها الإمام زين العابدين، وجرّوه من على فراش مرضه، وجرّد شمر بن ذي الجوشن سيفه يريد قتله! فنهره حميد بن مسلم قائلاً:

يا سبحان الله! أتقتل الصّبيان؟ إنّما هو صبي مريض!.

فأجابه شمر بدناءة: إنّ ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين. وكاد السيف أن يقع على رقبة الإمام، وينهي حياته، لولا تدخّل العقيلة زينب، حيث تعلّقت به لتحميه، وتدفع عنه القتل، صارخة بالظالمين القساة: «لا يقتل حتى أقتل دونه»[2].

ولما رأوا السيف لا يصل إلى زين العابدين، إلاّ عبر جسد السيدة زينب، اضطّروا للتّراجع عن قتله وكفّوا عنه.

انقاذ الإمام من بطش ابن زياد:

أدار عبدالله بن زياد بصره يتصفّح وجوه السبايا، وبقيّة أهل البيت، حينما أوقفوا أمامه في قصره بالكوفة.

فرأى الإمام زين العابدين وقد أنهكته العلّة فسأله: من أنت؟.

قال: أنا علي بن الحسين.

فقال ابن زياد: أولم يقتل الله عليّ بن الحسين؟.

أجابه الإمام بهدوء وأناة: كان لي أخ أكبر مني يسمّى علياً، قتله النّاس، فردّ ابن زياد غاضباً: الله قتله.

أجابه الإمام بشجاعة وثبات:

﴿الله يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾[3] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بِإذْنِ الله﴾[4].

---

(١) المقرّم: عبدالرزاق/ **مقتل الحسين** ص٣٠٠ مصدر سابق.

(٢) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٠٢ مصدر سابق.

(٣) سورة الزمر، الآية/٤٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية/١٤٥.

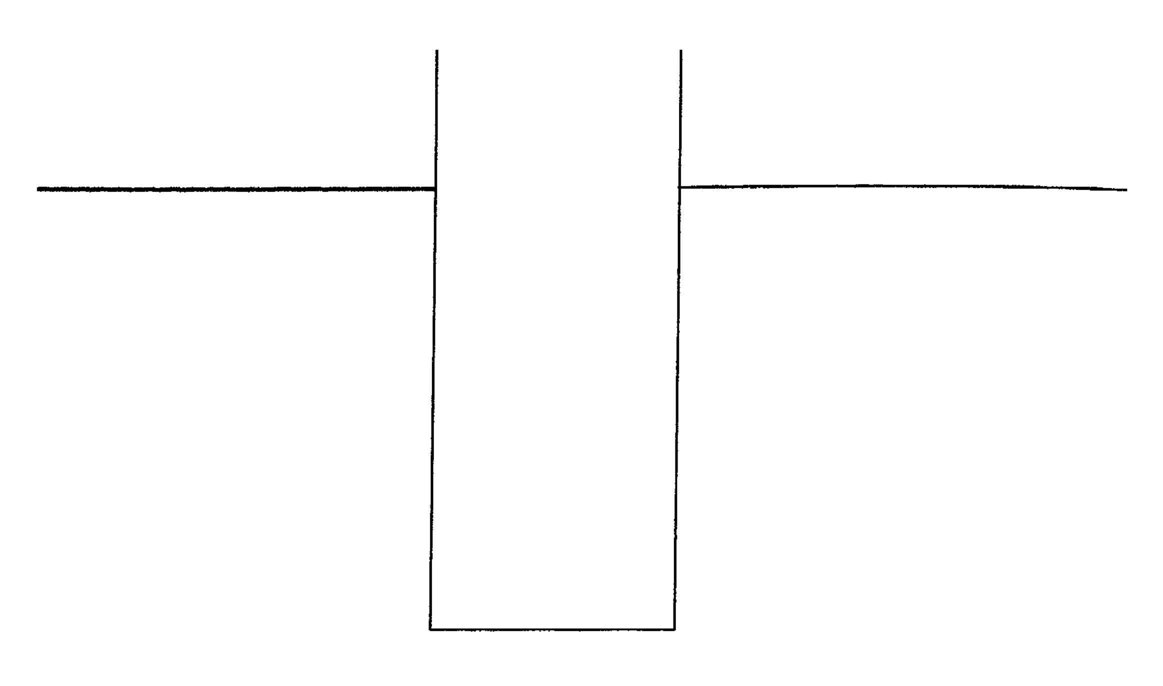
ولم يتحمّل ابن زياد أن يردّ عليه الإمام رداً قرآنياً منطقياً، يفحمه ويكشف جهله، فصاح منفعلاً: وبك جرأة على رد جوابي؟! وفيك بقية للرد علي!؟

ونادى بأحد جلاديه: خذ هذا الغلام واضرب عنقه.

فتسابق الجلاوزة لأخذ الإمام للقتل، وأصبحت حياة الإمام في خطر حقيقي، وهنا تدخلت السيدة زينب لتمارس دورها في حماية الإمام وإنقاذ حياته، حيث أخذت الإمام واعتنقته لتمنع الجلاوزة من أخذه، ثم التفتت إلىابن زياد قائلة: حسبك يا بن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟ فإن أردت قتله فاقتلني معه.

وأحبطت محاولة ابن زياد، حيث اضطر للتراجع عن قرار قتل الإمام، وقال متعجباً: دعوه لها، يا للرحم ودت أنها تقتل معه[1].

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٨٢ مصدر سابق.



الاعلام للثورة

لقد واكب الإمام الحسين معركة أبيه الإمام عليّ ضدّ التّسلّط الأموي، الذي كان يتمثّل في معاوية بن أبي سفيان... ورأى الإمام الحسين كيف بالغ معاوية واجتهد، في استخدام أساليب التّضليل الإعلامي والفكري، ليربح المعركة على الإمام علي.. ومع أنّ الإمام علي يمثّل الخلافة الشرعية للمسلمين، ومع ما لشخصيته من مميّزات، وتاريخ عظيم لا يمكن انكاره، ومع أنّ معاوية كان في موقع المتمرّد والمنشقّ على جماعة المسلمين.. مع كلّ ذلك إلاّ أنّه استطاع التأثير على قطاع واسع من أبناء الأمّة، ليقفوا إلى جانبه، ويدعموه في صراعه ضدّ الشرعية.. واستمراره في الولاية على الشام، رغم عزله من قبل الخليفة الشرعي، بل وتمكّنه من تحشيد الجيوش لمحاربة الإمام عليّ في صفين، وبعد ذلك اتّساع رقعة سيطرته ونفوذه، في العديد من الأقطار، وحسمه الموقف مع الإمام الحسن لصالح استئثاره بالسلطة، وتخلّي الإمام الحسن عنها عبر مسألة الصّلح المعروف.

كلّ ذلك دليل على نجاح وتأثير الأساليب والخطط والممارسات، التي قام بها معاوية بن أبي سفيان، ومن أبرزها محاولات الخداع والتّضليل الديني والإعلامي، فقد شجّع طبقة من الوضّاعين، وصنّاع الأحاديث الملفّقة الكاذبة، في مدح معاوية وبني أمية وسلطتهم، وذمّ الإمام علي وأهل البيت، وبذل لهم الأموال على ذلك.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: وذكر شيخنا أبو جعفر الأسكافي (توفي: ٢٤٠هـ) (رحمه الله تعالى): أنّ معاوية وضع قوماً من الصّحابة، وقوماً من التّابعين، على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطّعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التّابعين عروة بن الزبير[1].

---

(١) ابن أبي الحديد: عبدالحميد/ **شرح نهج البلاغة** ج٤ ص٦٣ الطبعة الثانية ١٩٦٥م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

قال: وقد صحّ أنّ بني أمية منعوا من اظهار فضائل علي ﷺ، وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى إنّ الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله، بل بشرائع الدين، لا يتجاسر عن ذكر اسمه ـ أي اسم علي ـ فيقول: عن أبي زينب[1].

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس، عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة، إلاّ كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصّحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ـ يعني الإمام علي ـ إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصّحابة، مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله[2].

وإلى جانب الأحاديث الملفّقة الموضوعة، فقد استخدم معاوية وسيلة اعلامية أخرى، هي توظيف القصّاصين، الذين يحدّثون الناس بالقضايا والوقائع التي تريد السلطة الترّويج لها.

قال الأستاذ أحمد أمين: وأمّا قصص الخاصّة فهو الذي جعله معاوية، ولّى رجلاً على القصص، فإذا سلّم من صلاة الصبح جلس وذكر الله (عزّ وجلّ) وحمّده ومجّده، وصلّى على

---

(١) المصدر السابق (ص٧٣).

(٢) المصدر السابق (ج١١ ص٤٤ ـ ٤٥).

النبي ﷺ، ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة[1].

ولابدّ أنّ هذا الدعاء كان استهلالاً يبتدىء به القاص ثم يأخذ بعده في قصصه[2].

كما أحاط معاوية سلطته بمجموعة من الشعراء المرتزقة، كالأخطل، ومسكين الدارمي، يقول «بروكلمان»: وكان ـ معاوية ـ أبداً قادراً على أن يفيد مما كان لشعراء عصره من تأثير عظيم في الرأي العام، بسبيل مصالحه العائلية[3].

ولمعرفة الإمام الحسين بهذه السياسة الأموية، في تضليل الناس وخداعهم، كان لابدّ له من التفكير في مستقبل ثورته المقدّسة، وكيفيّة حمايتها وصيانتها من تأثير الاعلام الأموي الحاكم..

فالأمويون لن يكتفوا بقتل الإمام الحسين، وهم يعلمون بمكانته لدى الأمة، بل سيلجأون لتشويه ثورته، واسقاط شخصيته، بمختلف وسائلهم وأساليبهم الماكرة، كما صنعوا مع أبيه الإمام علي من قبل..

فكيف يفشل الإمام الحسين مخطّطهم الإعلامي المضاد؟.

وكيف يجهض محاولاتهم في تشويه صورة الثّائرين؟.

وكيف تصل أهداف ثورته ومنطلقاتها إلى أسماع الجمهور المسلم؟.

وكانت إجابة الإمام الحسين على هذه التساؤلات، إجابة حكيمة قويّة، هي استعانته باخته السيدة زينب، لتقوم بذلك الدور العظيم..

فالحسين بنفسه كان يوضح للأمة أسباب ثورته، وأهداف حركته، وكان يكشف للناس انحرافات الحكم الأموي وفساده، ويؤكّد على المسؤولية الملقاة على كاهل المسلمين، للتصّدي لهذا الجور والظلم.. لقد تصدّى الإمام بنفسه للقيام بالمهمّة الإعلامية، يوم كان في المدينة المنورة وحين انتقل إلى مكة المكرمة، والتقى بجموع الحجيج، وأثناء سيره إلى العراق، وفي أرض كربلاء، وحتى قبيل شهادته بلحظات، كان يخاطب الجيش الأموي محرّضاً وموجهاً..

لكن حاجة الثورة إلى الإعلام بعد شهادته، ستكون أشدّ وأكبر، لأنّ الأمويين ستأخذهم

---

(١) أمين: أحمد/ فجر الإسلام ص١٥٩ مصدر سابق.

(٢) شمس الدين: محمد مهدي/ ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية ص١١٩ الطبعة السادسة ١٩٨١م - بيروت.

(٣) بروكلمان: كارل /تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٢٤ الطبعة التاسعة ١٩٨١م دار العلم للملايين - بيروت.

نشوة الانتصار الظاهري، وسيجعلون من سحق المعسكر الحسيني مثلاً وعبرة، لإرهاب من يفكّر في معارضتهم، والوقوف أمام بغيهم وفسادهم..

فالإعلام بعد الشهادة أكثر أهمية منه قبلها..

ومن غير السيدة زينب تُسند إليه هذه المهمّة الخطيرة؟.

ومن سواها يجيد القيام بهذا الدور العظيم.؟

خطابها في الكوفة

وغادرت السيدة زينب كربلاء بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم، مثقلة بما لا تتحمّله الجبال الرواسي من الهموم والأحزان، فلأول مرّة في حياتها تسافر دون أن يحيط بها رجالات أسرتها، وحماة خدرها، وهي قد رزئت بأفجع مصيبة يمكن أن تحلّ بإنسان، حيث فقدت أكثر من سبعة عشر بطلاً من أهلها، ماعلى وجه الأرض لهم شبيه، إضافة إلى حوالي السبعين من أنصارهم والمدافعين عنهم، وشاهدت السيدة زينب مصارعهم على بوغاء كربلاء، بتلك الصورة الفظيعة..

وكانت الأربع والعشرون ساعة التي سبقت سفرها إلى الكوفة، من أصعب وأشدّ الساعات التي مرّت عليها في حياتها، حيث أحرق الظالمون خيامها، وهجموا عليها مع باقي نساء ويتامى عشيرتها، وسلبوا كلّ ما لديهنّ من الحلي والحلل..

ودخلت السيدة زينب الكوفة صباح اليوم الثاني عشر من المحرم، تحيط بها كلّ تلك الهموم والآلام، وتثقل كاهلها تلك المصائب والأحزان..

من جهة أخرى فقد خطّط حاكم الكوفة عبيدالله بن زياد، للاستفادة من وصول سبايا الحسين، في اظهار قوة السلطة، وتصميمها على سحق أيّ محاولة تمرّد أو معارضة، وأن يجعل من قدوم السبايا تظاهرة لإدانة تحرّك الإمام الحسين وثورته، وللإحتفاء بانتصاره الزّائف على ثورة الحقّ والعدل...

في غمرة هذه الأجواء، دخلت السيدة زينب الكوفة، مع السبايا، على جمال غير مهيّأة لإراحة راكبيها، وفي حال مأساوي فظيع...

وللسيدة زينب في الكوفة تاريخ وذكريات، فقد كانت سيّدة الكوفة، أيّام خلافة أبيها أمير المؤمنين علي، قبل عشرين سنة من دخولها الآن.. فلابدّ وأن تستعيد في نفسها صور تلك

الأيّام، وأن تثور في قلبها ومخيلتها الذكريات.. ففي تلك المحلّة كانت تقيم، وذاك محراب أبيها علي، ومنبره في مسجد الكوفة.. وهذه الأزقّة التي كان يسلكها أبوها علي.. وهذا باب دارها الذي كان يقصده السّائلون والمحتاجون..

وتتوالى الصور والذكريات في مخيّلة السيدة زينب، ولعلّها تتمنّى وترغب في أن تسرح بفكرها، وتسترسل بمشاعرها، مع تلك الصور والذكريات العزيزة، لكنّ سياط الواقع الأليم تنتزعها من تلك الذكريات انتزاعاً...

عن حذلم بن كثير قال: قدمت الكوفة سنة ٦١هـ، عند مجيء علي بن الحسين من كربلاء إلى الكوفة، ومعه النسوة، وقد أحاط بهم الجنود، وقد خرج الناس للنّظر إليهم، وكانوا على جمال بغير وطاء، فجعلن نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن..

ورأيت علي بن الحسين قد أنهكته العلّة، وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه، وهو يقول بصوت ضعيف: إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا؟!.

قال حذلم بن كثير: ورأيت زينب بنت علي، ولم أر خفرة أنطق منها، كأنّها تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين، وقد أومأت إلى الناس أن أسكتوا، فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأصوات، فقالت:

ـ «الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار....

أما بعد: يا أهل الكوفة يا أهل الختل[1] والغدر.

أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة..

إنّما مَثلكم كمثل التي نقضت غزلها[2] من بعد قوّة أنكاثا[3].

تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم..

الا وهل فيكم إلاّ الصّلَفَ والنّطف[4]، والكذب والشّنف[5]، وملق الأماء وغمز الأعداء..

---

(١) الختَل: الخداع.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا﴾ (سورة النحل آية/٩٢) وهي امرأة حمقاء من قريش، اسمها ريطة بنت عمر، كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن، ولا يزال ذلك دأبها.

(٣) انكاثا: جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية.

(٤) النطف: التلطخ بالعيب.

(٥) الشّنَف. البغض والتنكر.

أو كمرعى على دمنة[١]، أو كقصة على ملحودة..

ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون..

أتبكون وتنتحبون؟!

إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً..

فلقد ذهبتم بعارها وشنارها[٢]، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً..

وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ألا ساء ما تزرون!.

وبُعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السّعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة..

ويلكم يا أهل الكوفة!.

أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم[٣]؟.

وأيّ كريمة له أبرزتم؟.

وأيّ دم له سفكتم؟.

وأيّ حرمة له انتهكتم؟.

لقد جئتم شيئاً إدّا! تكاد السماوات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّا!!.

ولقد جئتم بها خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون..

فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربّكم لبالمرصاد..

قال الراوي: فوالله لقد رأيت الناس حيارى يبكون، قد ردّوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي، حتى اخضلّت لحيته بالدموع، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير النسل، لا يبور ولا يخزي أبداً..

---

(١) دِمنة: الدمنة ما تدمنه الابل والغنم بأبوالها وأبعارها أي تلبده في مرابضها، فربما نبت فيه النبات، شبهتهم بذلك النبات في دناءة أصلهم، مع حسن ظاهرهم وخبث باطنهم.

(٢) الشنار: العيب.

(٣) فريتم: قطعتم.

فقال لها الإمام علي بن الحسين: «أسكتي يا عمّة فأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، وفهمة غير مفهّمة»[1].

مصادر الخطبة ورواتها:

لقد أوردت خطاب السيدة زينب في الكوفة مصادر عديدة، هي من أمّهات المراجع، ومن أبرز تلك المصادر:

١ ـ الشيخ الطوسي في: (أماليه)..

٢ ـ أبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي في الجزء الثاني من كتابه: مقتل الحسين.

٣ ـ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في: (بلاغات النساء)..

٤ ـ أبو عثمان الجاحظ في: (البيان والتبيين).

٥ ـ الشيخ أحمد بن علي الطبرسي ـ من علماء القرن السادس ـ في كتابه: (الاحتجاج).

لكن اسم الراوي الذي نقل عنه الخطاب يختلف من مصدر إلى آخر، فالشيخ الطبرسي ينقله عن حذيم بن شريك الأسدي، ويكرّر اسمه ثلاث مرات بين فقرات الرواية، كما ينقل عنه أيضاً خطاب الإمام زين العابدين في الكوفة[2].

وحذيم بن شريك ألأسدي ذكره الشيخ الطوسي في (رجاله) في أصحاب الحسين عليه السلام [3].

أمّا الشيخ النقدي فقد قال: أنّ الخطبة قد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث، بأسانيدهم عن حذلم بن كثير.

وذكر أنّ حذلم بن كثير من فصحاء العرب.. وقال: إنّ الجاحظ رواها في كتابه (البيان والتبيين) عن خزيمة الأسدي[4] أمّا الشيخ القرشي فقد أثبت الرواية عن «جذلم بن بشير»[5].

---

(١) اعتمدنا في نقل النص على المصادر التالية:

آ ـ الطبرسي: أحمد بن علي/ **الاحتجاج** ج١ ص٣٠٣ مطبعة سعيد/ مشهد ـ إيران ١٤٠٣هـ.

ب ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٣٤ مصدر سابق.

ح ـ المقرّم: عبدالرزاق/ **مقتل الحسين** ص٣١١ مصدر سابق.

د ـ النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٤٨ مصدر سابق.

(٢) الطبرسي: أحمد بن علي/ **الاحتجاج** ج١ ص٣٠٣ ـ ٣٠٥ مصدر سابق.

(٣) الأمين: السيد محسن/ **أعيان الشيعة** ج٤ ص٦٠٦ مصدر سابق.

(٤) النقدي: جعفر/**زينب الكبرى** ص٤٩ ـ ٥٠ مصدر سابق.

(٥) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٣٤ مصدر سابق.

ولم يثبت السيد المقرّم اسماً للراوي واكتفى بعبارة «يقول الراوي»[1].

وذكر أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في كتابه (بلاغات النساء) سند الخطبة كما يلي: «عن سعيد بن محمد الحميري - أبو معاذ - عن عبدالله بن عبد الرحمن - رجل من أهل الشام - عن شعبة، عن حذام الأسدي، وقال مرة أخرى حذيم قال: قدمت الكوفة»[2].

(١) المقرم: عبدالرزاق، **مقتل الحسين** ص٣٣٤ مصدر سابق.

(٢) طيفور: أحمد بن أبي طاهر، **بلاغات النساء** ص٢٣ تقديم وطبع أحمد الألفي - مصر/ منشورات مكتبة بصيرتي - قم/ إيران.

آفاق الخطاب

يمثّل خطاب السيدة زينب في الكوفة أوّل تصريح وتعليق على واقعة كربلاء، بعد حدوثها يصدر من أهل البيت عليهم السلام، وتكمن أهمية الخطاب في أنّه موجّه للمجتمع المسؤول عن ما حدث بصورة مباشرة وهو المجتمع الكوفي.. والخطاب أيضاً يعتبر الجولة الأولى في معارك السيدة زينب، ضدّ الإجرام والظلم الأموي..

من هنا لابدّ من قراءة الخطاب قراءة متأنّية واعية، ونسلّط هنا الأضواء على بعض آفاق ذلك الخطاب الهام:

أولاً: تحميل المجتمع الكوفي المسؤولية المباشرة، عمّا حدث للإمام الحسين وأهل البيت، وعن مصير الثّورة المقدّسة، فالكوفيون هم الذين كاتبوا الحسين، وألحّوا عليه بالقدوم إليهم، وبايعوا سفيره مسلم بن عقيل، فكيف خذلوا الإمام، وتخلّوا عنه، واستسلموا لترهيب ابن زياد وترغيبه؟.

ثمّ إنّ الجيش الذي زحف لقتال الإمام، وصنع تلك الجريمة الكبرى، كان في أغلب قياداته وجنوده من أبناء المجتمع الكوفي..

وبعد كلّ ما حدث لماذا يتفرّج الكوفيون علىنتائج الأحداث؟ وهم يرون رأس الإمام الحسين، ورؤوس أهل بيته، مرفوعة على أطراف الرماح، تخترق شوارع بلدتهم، ويشاهدون نساء الحسين وعيالاته، أسارى سبايا بين ظهرانيهم، فلماذا السكوت والخنوع والصّمت على كلّ ما يجري؟ وماذا ينتظرون لكي تتحرّك غيرتهم الدينية وشيمتهم العربية؟.

لذلك تنقل الرواية التي تضمّنت الخطاب، قول الإمام زين العابدين عليه السلام معلّقاً على بكاء نساء أهل الكوفة: «إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا»؟.

وهذا ما ركّزت عليه السيدة زينب في خطابها، إذ اعتبرت أهل الكوفة مسؤولين بشكل مباشر عن الفاجعة، ووجّهت إليهم أشدّ التوبيخ والذمّ..

فقالت عنهم: «أهل الختل والغدر» والختل هو الخداع، والغدر هو الخيانة ونقض العهد، فأهل الكوفة بدعوتهم الإمام للقدوم إليهم، وبمبايعتهم له، والتزامهم بنصرته، ثم التّخلّي عنه، بل والمشاركة في قتاله، قد مارسوا أسوأ أنواع الخداع والخيانة ونقض العهد.. واعتبرتهم السيدةزينب نموذجاً وتطبيقاً للمثل المعروف عن المرأة الحمقاء، التي كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهنّ أن ينقضن ما غزلن، وهذا دأبها كلّ يوم.. وهو مثل ذكره القرآن الحكيم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾[1]. وكأنّ السيدة زينب بقولها: «إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً» تشير إلى أنّ أهل الكوفة قد تكرّر في تاريخهم وواقعهم، أنّهم يقفون إلى جانب الحق، ويقدّمون التضحيات، لكنهم وفي ذروة الصراع مع أهل الباطل يتراجعون، وينسحبون، ويضيعون بذلك جهودهم وتضحياتهم ومستقبلهم، حصل ذلك في موقفهم مع الإمام علي، حيث خاضوا معه معركة الجمل، ومعركة صفين، وحينما لاح فجر النّصر لهم، بعد تضحياتهم الكبيرة، استجابوا لخدعة معاوية، برفع المصاحف، وطلب التحكيم، فاغتالوا بذلك انتصارهم، وأعطوا الفرصة لعدوّهم.. وكرّروا ذات الموقف مع الإمام الحسن، حيث بايعوه، والتفّوا حوله، وزحفوا معه، لمواجهة تمرّد معاوية، لكنّهم لما حانت ساعة المواجهة، تخاذلوا، وهدموا بذلك صرح الشرعيّة والقيادة الذي بنوه ببيعتهم للإمام الحسن.. ومع الإمام الحسين مارسوا نفس الطريقة والحالة، فهم قد بايعوا الإمام، وأقدموه إليهم، وكادت الكوفة أن تستعيد دورها القيادي، بخضوعها لسفير الإمام مسلم بن عقيل، لكنهم في اللحظات الأخيرة والحسّاسة، بدّدوا كلّ تلك الآمال، واغتالوا مستقبلهم ومستقبل الأمة.. إذاً فهم كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا، وزينب بهذا التمثيل تحاكي ما قاله أبوها من قبل لذات المجتمع، حين قال: ـ «أما بعد: يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت، فلمّا أتمّت أملصت، ومات قيّمها، وطال تأيّمها، وورثها أبعدها»[2]. أوليست زينب تفرغ عن لسان أبيها؟ كما قال الراوي.. وتوجّه زينب لهم التّهمة بصراحة ووضوح، في فقرات عديدة من خطابها: «فلقد ذهبتم بعارها وشنارها».. «ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم»... «لقد جئتم شيئاً إدّاً»، و«لقد جئتم بها حرقاء شوهاء»..

---

(١) سورة النحل آية/٩٢.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي/ نهج البلاغة خطبة رقم ٧١.

ثانياً: التّركيز على نقاط ضعف المجتمع الكوفي ومساوىء أخلاقه: فالجريمة لم تنطلق من فراغ، وإنّما هي نتيجة طبيعية لتلك الأخلاقيات المنحرفة...

وتنبّههم إلى أبرز مساوىء أخلاقهم بقولها: «وهل فيكم إلاّ الصّلَفَ والنّطف، والكذب والشّنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصة على ملحودة».

و«الصلف»: هو التمدّح بما ليس في الذات أو فوق ما في الذات اعجاباً وتكبراً[1].

ومن يقرأ رسائل الكوفيين للإمام الحسين، وكلماتهم أثناء مبايعتهم والتفافهم حول سفيره مسلم بن عقيل، والتي ادّعوا فيها اخلاصهم وتفانيهم، واستعدادهم للتضحية فداءاً للإمام الحسين، وأكّدوا فيها تصميمهم علىمقاتلة الأعداء، وإلحاق الهزيمة بهم.. ومن يلاحظ حقيقة موقفهم وواقعهم فيما بعد تجاه الإمام الحسين، يرى بوضوح أنّهم يتّصفون بالصّلف كما قالت عنهم السيدةزينب، وقد سبقها أبوها الإمام علي، في اكتشاف هذه الصّفة السلبية للمجتمع الكوفي في قوله لهم:

ـ «كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء! تقولون في المجالس كيتَ وكيتَ، فإذا جاء القتال قلتم: حِيدي حَيَادِ»[2].

ولا غرو فإنّها تفرغ عن لسان أبيها.. أمّا «النَطف» فهو التّلطّخ بالعيب، أو القذف بالفجور.. و«الشّنفَ» بالتحريك البغض والتنكر..

وتشير السيدة زينب إلى ابتلائهم بمرض التملّق المفرط «ملق الإماء» فالأمة التي لا حول لها ولا قوة، تجد نفسها مضطرّة إلى إبداء أعلى درجة من الخضوع والطّاعة والانقياد لسيّدها، وتبالغ في جلب ودّه ورضاه، والمجتمع الكوفي كان كذلك في تعامله مع السلطة المهيمنة عليه آنذاك..

و«الغمز» الطعن بالشر..

«كمرعى على دمنة أو كقصة على ملحودة» تشير بذلك إلى حالة الازدواجية التي كان يعاني منها المجتمع الكوفي، فظاهره حسن يغري بينما ما تنطوي عليه النّفوس سيءٌ خبيث، وتشبّههم بالزرع الأخضر في مكان أوساخ الحيوانات وفضلاتها «مرعى على دمنة»، وبالقبر المجصص ظاهره بالجصّ الجميل المنظر، ولكن ماذا في حفرة القبر غير الرّفاة المتفسّخة لجسد الميّت «كقصة على ملحودة»..

---

(١) معلوف: لويس **المنجد في اللغة**/ الطبعة السادسة والعشرون/ انتشارات اسماعيليان ـ إيران.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي/ **نهج البلاغة خطبة رقم ٢٩**.

ويعلّق السيد المقرّم على هذه الفقرة بقوله:

والذي أراه أنّ النكتة في هذه الاستعارة: أنّ القصة بلغة الحجاز الجصّ، والملحودَة القبر أي لكونه ذا لحد، فكأنّ القبر يتزيّن ببياض الجصّ، ولكن داخله جيفة قذرة، وأهل الكوفة وإن تزيّن ظاهرهم بالإسلام، إلاّ أنّ قلوبهم كجيف الموتى، بسبب قيامهم بأعمال الجاهلية الوخيمة العاقبة، من الغدر وعدم الثّبات على المبادىء الصحيحة، وقد انفردت «متمّمة الدعوة الحسينية» بهذه النّكات البديعة التي لم يسبقها مهرة البلغاء إليها، لأنّها ارتضعت درّ «الصدّيقة الكبرى» التي أخرست الفصحاء بخطابها المرتجل[1].

ثالثاً: توضيح أبعادالفاجعة: فما حدث في كربلاء لم يكن أمراً سهلاً، وليس شيئاً عادياً بسيطاً، إنّه كارثة مروّعة، وفجيعة عظمى، وجريمة نكراء.

والسلطة الحاكمة قد تحاول تبسيط ما حدث، فهو تمرّد على النظام اضطر الجيش إلى قمعه ليس إلاّ!!.

لكن السيدة زينب في خطابها أوضحت للناس الأبعاد الحقيقية لما حدث، حين قالت: «فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً».

فالفظائع التي ارتكبت في كربلاء بحقّ أهل البيت، تمثّل جريمة نكراء، تسّود وجوه وتاريخ أصحابها بالعار والشنار، وهو أقبح العيب، ولا يمكن ازالة وتطهير آثار تلك الجريمة أبداً.

ثم تخاطبهم قائلة:

«ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم».

فبالمقياس الديني أنّهم قد اعتدوا على رسول الله ﷺ فالحسين سبطه وحبيبه والعزيز على قلبه، وعيال الحسين وثقله، هم حرمة رسول الله... فكيف يسمحون لأنفسهم كمسلمين أن يقترفوا ذلك؟.

إنّها جريمة في مستوى الشرك بالله (سبحانه) لذلك تصفها السيدة زينب بما وصف به القرآن شرك الكافرين وادّعاءهم أنّ لله ولداً: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً، لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً**﴾[2]

كما تشير السيدة زينب إلى أنّهم مارسوا الجريمة بأكبر قدر من الحقد والبشاعة: «ولقد جئتم بها خرقاء شوهاء».

---

(١) المقرّم: عبدالرزاق/ مقتل الحسين ص٣١٢ مصدر سابق.

(٢) سورة مريم (آية/٨٨ ـ ٨٩).

وتثبت السيدة زينب في خطابها قضية تداولت نقلها بعض المصادر، من أنّ السماء أمطرت دماً يوم مقتل الحسين، وحينما تقول ذلك السيدة زينب يصبح إخباراً حقيقياً صادقاً، وهي بذلك تذكّر من قد يكون غافلاً عن الربط بين القضيتين، أي قتل الحسين، وإمطار السماء دماً، كما تخلّد هذا الحادث للتاريخ والأجيال.

رابعاً: منزلة الحسين ومقامه: لابدّ وأنّ الإعلام الأموي سيسعى جاهداً للتقليل من شأن الحسين، والافتراء على شخصيته، كما حصل لأبيهِ الإمام علي، لذلك ركّزت السيدة زينب في خطابها، على التأكيد على منزلة الحسين ومقامه فهو: «سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيّد شباب أهل الجنة».

خامساً: الإنذار بالإنتقام: فعدالة الله (تعالى) تأبى أن تمرّ تلك الجريمة النكراء دون عقاب يتناسب مع خطورتها، لكن العقاب قد لا يأتي فورياً «فلا يستخفنّكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثّأر، وإنّ ربّكم لبالمرصاد».

وكان الإنتقام الإلهي من قتلة الحسين ومن المجتمع المتواطىء معهم شديداً وقوياً، حيث لم يعرف ذلك المجتمع بعدها أمناً ولا استقراراً.

في مواجهة ابن زياد

إمعاناً منه في اذلال سبايا أهل البيت، واستجابة لأحقاده الكامنة ضدّ آل الرسول، ولاستعراض القوّة، وتمكين الرعب في قلوب الناس.. فقد عقد في قصره ومجلس حكمه مهرجاناً ضخماً، أحضر فيه رجالات جيشه، وقادة عسكره، وزعماء الكوفة الملتفّين حوله، وأمر بإحضار رأس الحسين بين يديه، وادخال السبايا عليه.

وجلس ابن زياد على أريكة حكمه الجائر، منتشياً بانتصاره الزّائف، وبيده عصاة يعبث بها في رأس الحسين، وينكت بين شفتيه.

فلمّا رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له:

اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبّلهما!! ثم انفجر الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد:

أبكى الله عينيك فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك!!.

قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله!.

قال: فقلت: ما قال؟.

قالوا: مرّ بنا وهو يقول: «ملك عبدٌ عُبُدا، فاتّخذهم تُلدا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذّل، فبُعداً لمن رضي بالذلّ»[1].

---

(١) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٢ مصدر سابق.

وأدخلت السبايا عليه، وكنّ في حالة يرثي لها من الإرهاق والعناء والألم، وكانت في الطليعة زينب وهي تلبس أرذل الثياب، وقد تنكرت وانحازت إلى ناحية من المجلس، تحفّ بها النساء المسبيّات.

وابن زياد يعلم مكانة السيدة زينب في البيت العلوي، لذلك أراد ن يصوّب إليها بسهام الشماتة، وأن يتلذّذ بإذلالها في مجلسه وأمام الملأ.

فالتفت نحوها قائلاً: من هذه الجالسة؟

فلم تكلّمه استهانة به، واحتقاراً لشأنه.

وأعاد السؤال مرة ثانية وثالثة دون أن يظفر منها بجواب، إلاّ أنّ احدى السيدات المسبيّات انبرت إليه مجيبة.

هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله.

وانفعل ابن زياد من ترفّع السيدة زينب عن إجابته، واندفع يخاطبها غاضباً متشمّتاً: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم!!.

ومع أنّ السيدة زينب كانت تحبّذ التسامي والتّعالي على حقارة ابن زياد، وأن لا تدخل معه في حديث استهانة به.. إلاّ أن الموقف كان يتطلّب من السيدة زينب، ممارسة دورها الرسالي في الدفاع عن ثورة أخيها الحسين، وتأكيد موقعيّة أهل بيتها العظيمة في الأمّة، وتمزيق هالة السلطة والقوّة التي أحاط بها ابن زياد نفسه، لذلك بادرت إلى الردّ عليه قائلة:

«الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد، وطهّرنا من الرّجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا ابن مرجانة».

وما كان ابن زياد يتوقّع هذا الردّ الشجاع القوي، من امرأة تعيش أفظع مأساة، وأسوأ حال، فأراد أن يلفتها إلى مأساتها ومصيبتها، حتى تفقد جرأتها، وتنهار معنوياتها، فقال لها متشفياً:

فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟.

لكنّ العقيلة أفشلت محاولته وانطلقت تجيبه بكلّ بسالة وصمود:

«ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ؟ ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة!!».

إنّه لموقف إيماني بطولي عظيم، يندر أن يحتفظ تاريخ البشرية بمثيل له: لقد تجاوزت السيدة زينب بإرادتها وبصيرتها النّافذة، كلّ ما أحاط بها من آلام المأساة، ومظاهر قوّة العدو الظالم، ولم تُبال بجبروته وعساكره، بل جابهته بالتّحدّي وجهاً لوجه، أمام أعوانه وجمهوره، معلنة أنّها

لا يساورها أيّ شعور بالهزيمة والهوان، فما حدث لأسرتها شيء جميل بمنطق الرسالة التي يحملونها، والمسألة لا تعدو أن تكون استجابة لأمر الله (تعالى)، الذي فرض الجهاد ضدّ الظلم والعدوان، وهي واثقة أنّ المعركة بدأت ولم تنته، ونهايتها الحاسمة يوم القيامة، بين يدي الله، وهناك سيكون النصر الحقيقي حليفاً لها ولأسرتها الكريمة.

ثم تختم كلامها بالدعاء بالهلاك للطاغية المتجبّر أمامها، مخاطبة له «ثكلتك أمّك يابن مرجانة».

وكان ردّها عليه قاسياً شديداً، أسقط هيبته الزائفة، في أعين الحاضرين جميعاً، بل حطّم كبرياءه وغروره، واستبدّ به الغضب، متوعداً السيدة زينب بالعقوبة والتنكيل.. فتدارك الموقف عمرو بن حريث، ليخفّف من غلواء غضب ابن زياد قائلاً:

أصلح الله الأمير إنّما هي امرأة! وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها؟ إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطل!.

فتراجع ابن زياد عن تهديده بالعقوبة والتنكيل الجسدي، مستبدلاً به العقاب النفسي، حيث توجّه إلى السيدة زينب ليلذع قلبها بعبارات الشّماتة والتّشفّي قائلاً:

«لقد شفى الله قلبي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك»، فأثار بهذا الكلام شجون السيدة زينب، وأشعل الحزن والألم في قلبها، ولعلّها أرادت حينئذٍ استخدام سلاح العاطفة، وإعلان المظلومية فأجابته بلوعة وأسى:

«لعمري لقد قتلت كهلي، وأبدت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت».

وشعر ابن زياد بالضعف والصغار، أمام منطق العقيلة زينب، فغيّر دفّة الحديث قائلاً: هذه سجّاعة، لعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فردته السيدة زينب بقولها:

«إنّ لي عن السّجاعة لشغلاً ما للمرأة والسّجاعة»[1].

ونقل السيد المقرّم عن (الكامل في التاريخ) **للمبرّد** (ج٣ ص١٤٥) طبع سنة: ١٣٤٧هـ

---

(١) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٢ - ٢٦٣ مصدر سابق.

- ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٨١ مصدر سابق.

- القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٤٣ مصدر سابق.

قوله: لقد أفصحت زينب بنت علي وهي أسنّ من حمل إلى ابن زياد، وأبلغت، وأخذت من الحجّة حاجتها.

فقال ابن زياد لها: إن تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً.

فقالت: ما للنساء والشعر!.

وكان ابن زياد ألكناً يرتضخ الفارسية[1].

---

(١) المقرّم: عبدالرزاق/ مقتل الحسين ص٣٢٥ مصدر سابق.

تأثير زينب والسبايا في الكوفة

كان هدف السلطة الأموية من التّشهير بسبايا أهل البيت، ارعاب الناس، حتى لا يفكّر أحد في معارضة السلطة أولاً، وتعبئة الجمهور ضدّ الإمام الحسين وثورته ثانياً، باظهاره خارجياً متمرداً، قد شقّ عصا المسلمين، طمعاً في السلطة والحكم.

لكن وجود العارفين بفضل أهل البيت في الأمة، والحالة المأساوية للسبايا، والتي كانت تثير مشاعر التعاطف معهم، والدور الرسالي الذي قامت به السيدة زينب في الإعلام الصادق للثورة الحسينية، وكذلك الإمام زين العابدين، وبعض نساء العائلة الحسينية، كأمّ كلثوم وفاطمة بنت الحسين.. كلّ ذلك أفشل مخطّط السلطة بل وجعل آثاره ونتائجه معكوسة، حيث تأجّجت روح الثورة والرفض، في أوساط الجماهير المسلمة ضدّ السلطة، وتعاطف الناس مع أهل البيت عليهم السلام.

ففي الكوفة ينقل لنا التاريخ بعض الأحداث والمشاهد، الرافضة لسياسات السلطة الأموية، والمتعاطفة مع أهل البيت على إثر دخول السبايا.

وقد تحدّث راوي خطاب السيدة زينب عن تأثير خطابها على الناس ـ كما سبق ـ .

وحينما خطبت السيدة فاطمة بنت الحسين، على صغر سنّها، فقد أثار خطابها مشاعر الناس فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا: «حسبك يا ابنة الطاهرين فقد حرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا»[1].

وعلى أثر خطاب السيدة أمّ كلثوم أيضاً: «ضجّ الناس بالبكاء، ونشرن الشعور، وخمشن

(١) المصدر السابق (ص٣١٥).

الوجوه، ولطمن الخدود، ودعون بالويل والثّبور، ولم ير أكثر باك ولا باكية من ذلك اليوم»[1].

ولما سمع الناس خطاب الإمام علي بن الحسين قالوا بأجمعهم: «نحن يا ابن رسول الله سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، نبرأ ممّن ظلمك وظلمنا»[2].

وزيد بن أرقم، وهو صحابي معروف، أعلن احتجاجه واعتراضه على ابن زياد، لما رأى عبثه برأس الحسين عليه السلام - كما سبق - .

وكان في مجلس ابن زياد رجل من بكر بن وائل يقال له جابر، آلمه ما حصل لأهل البيت، وأذهلته التصرّفات الطائشة لابن زياد، فانتفض معلناً معارضته، وهو يقول مخاطباً ابن زياد: «لله عليّ أن لا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك إلاّ خرجت معهم»[3].

ومن أهمّ مواقف الرفض والمعارضة، التي برزت في الكوفة ذلك اليوم، انتفاضة عبدالله بن عفيف الأزدي الغامدي، وكان ضريراً ذهبت احدى عينيه يوم الجمل، والأخرى بصفّين، مع الإمام أمير المؤمنين، وكان لا يفارق المسجد يتعبّد فيه.

وعند دخول السبايا إلى الكوفة، اعتلى عبيدالله بن زياد منبر مسجد الكوفة، ليعلن فرحته وانتصاره بمقتل الحسين قائلاً:

«الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته!».

وحينما طرقت هذه الكلمات الفاجرة مسامع عبدالله بن عفيف، انفتل من عبادته وصاح بابن زياد من وسط المسجد غاضباً:

يا ابن مرجانة، الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاّك وأبوه. يا ابن مرجانة: أتقتلون أولاد النّبيين، وتتكلّمون بكلام الصّدّيقين؟!.

وطاش لبّ الطّاغية، فقد كانت هذه الكلمات كالصّاعقة على رأسه، فصاح بأعلى صوته: من هذا المتكلّم؟

فأجابه ابن عفيف بكلّ شجاعة وبسالة: أنا المتكلّم يا عدو الله، أتقتلون الذّرية الطّاهرة، التي

(١) المصدر السابق (ص٣١٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٧).

(٣) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٤٣ مصدر سابق.

أذهب الله عنهم الرجس، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ واغوثاه، أين أولاد المهاجرين والأنصار؟ لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول ربّ العالمين.

فصاح ابن زياد وقد امتلأ غضباً: عليّ به.

فبادرت الجلاوزة لإلقاء القبض عليه، فنادى بشعار أسرته «يا مبرور» وكان في المجلس سبعمائة رجل من الأزد، وثبوا إليه، وأنقذوه من أيدي الجلاوزة، ثم حصلت مناوشات بين جنود ابن زياد وأسرة عبدالله بن عفيف انتهت بإلقاء القبض عليه، وأمر ابن زياد بقتله وصلبه[1].

وأشار الطبري إلى مواقف مشابهة لموقف ابن عفيف، قال: وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي، ثم الغامدي، ثم أحد بني والبة[2].

وحتى عائلة ابن زياد وأسرته، ظهرت في أوساطهم أصوات ومواقف رافضة لقتل أهل البيت، حيث ينقل عن أمّ عبيدالله بن زياد، وهي مرجانة أنّها سخطت عليه ووبّخته قائلة: يا خبيث قتلت ابن رسول الله لا رأيت وجه الله أبداً[3].

وأخوه عثمان بن زياد أيضاً، أعلن رفضه وانكاره لما حصل، وخاطب أخاه عبيدالله بن زياد معنفاً.

والله لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلاّ وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأنّ الحسين لم يقتل[4].

---

(١) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٣ مصدر سابق.
ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٤٨ مصدر سابق.

(٢) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٣ مصدر سابق.

(٣) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٥٨ مصدر سابق.

(٤) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٨ مصدر سابق.

في مجلس يزيد

وكان موقف السيدة زينب في مجلس يزيد بن معاوية، من أروع مواقف الدفاع عن الحقّ، وتحدّي جبروت الطغيان والظلم.

فيزيد بن معاوية كان أمهامها متربّعاً على كرسي ملكه، وفي أوج قوته، وزهو انتصاره، تحفّ به قيادات جيشه، ورجالات حكمه، وزعماء الشام، وتشير الروايات التاريخية إلى حضور بعض الدبلوماسيين الأجانب، كرسول قيصر ملك الروم، وبالتالي فقد كان يزيد حريصاً على التمتّع بكامل هيبته، والظّهور بأعلى درجات القوّة والسّيطرة.

وتعرف السيدة زينب فظاظة يزيد وغلظته، وتهوّره، في القمع والإرهاب، وأنّ أيّ استفزاز له يمكن أن يدفعه إلى أسوأ الإجراءات، فليس له رادع من دين أو عقل.

كما أنّ أجواء المجلس كانت مهيّاة ومعدّة، ليكون الإجتماع مهرجاناً للاحتفال بانتصار الحاكم، على ثورة أهل البيت.

من ناحية أخرى فقد كانت السيدة زينب في ظروف بالغة القسوة والشّدّة، جسدياً ونفسياً، فهي لا تزال تعيش تحت وطأة الفاجعة، وتأثيرها الهائل على أحاسيسها ومشاعرها، ولأجواء الشماتة والإذلال التي استقبلتها في الشام وقع كبير على نفسها، ومجرّد حضورها سبية أسيرة، في مجلس عدو ظالم حاقد، قد ارتضع وتوارث عداء أسرتها، منذ عهود وعقود، وهي من هي في خدرها وصونها وعزّها، إنّ ذلك وحده كفيل بتحطيم المعنويات وهزيمة الروح.

وجسدياً فإنّ السفر كان مرهقاً وشاقاً، حيث كان السّير حثيثاً، تنفيذاً لرغبة السلطة في الوصول بأسرع وقت إلى الشام، ومراكب السفر وهي الجمال، لم تتوفّر لها أدنى وسائل الراحة، التي اعتادها المسافرون في ذلك الزمن.

والمرافقون العسكريون لقافلة السبايا، كانوا جفاة صلفين، في تعاملهم مع النساء والأطفال، كزجر بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن، حيث يقذفون السبايا بالشتم والسبّ، ويضربونهم بالسّياط لأدنى مناسبة.

وعامل الجوع والعطش كان له دور في انهاك السيدة زينب وإرهاقها، حيث كان الجنود يقتّرون على السبايا في الطعام والشراب، ممّا يدفع السيدة زينب للتّنازل عن حصّتها، لسدّ جوع وعطش الأطفال، متحمّلة مضاضة الجوع والعطش.

ويصف الأستاذ عبدالباسط الفاخوري حالة قافلة السبايا إلى الشام بقوله: «ثم إنّ عبيدالله جهّز الرأس الشريف، وعلي بن الحسين، ومن معه من حرمه، بحالة تقشعرّ منها ومن ذكرها الأبدان، وترتعد منها مفاصل الإنسان، بل فرائص الحيوان»[1].

إضافة إلى كلّ ذلك فقد أحيط دخول السبايا إلى الشام، وحضورهم في مجلس يزيد، بإجراءات بالغة الصّعوبة، قصد منها إيقاع أكبر قدر من الإذلال والهوان بنفوس السبايا.

فقبل ادخالهم على يزيد، أوقفوهم فترة على درج باب المسجد، حيث مكان ايقاف سبي الكفّار، ثم أتوا إليهم بحبل أوثقوهم به كتافاً، وقد كانت بداية الحبل في عنق علي بن الحسين، ونهايته في عنق السيدة زينب، كما تربق الأغنام، وساقوهم بإذلال، وكلّما قصروا عن المشي ضربوهم بالسّياط، والسبايا يكبّرون ويهلّلون، حتى أوقفوهم بين يدي يزيد في مجلسه، وهو متربّع على سريره، فالتفت إليه علي بن الحسين قائلاً: «ما ظنّك بجدّنا رسول الله لو يرانا على مثل هذه الحالة»؟.

فتأثّر يزيد، ولم يبق أحد في مجلسه إلاّ وبكى، وأمر يزيد بالحبال فقطّعت[2].

ودعا يزيد برأس الحسين ووضعه أمامه في طست من ذهب[3] ومع يزيد قضيب، فهوى ينكت به في ثغره ثم قال: إن هذا وإيّانا كما قال الحصين بن الحمام المرّى:

يفلقن هاماً من رجال أحبّة — إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقام رجال من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له «أبو برزة الأسلمي» فقال: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه! أما أنّك

---

(١) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسين ج٣ ص٣٦٧ مصدر سابق.

(٢) المقرّم: عبدالرزاق/ مقتل الحسين ص٣٥٠ مصدر سابق.

ـ القرشي: باقر شريف/حياة الامام الحسن ج٣ ص٣٧٦ مصدر سابق.

(٣) المقرم: عبدالرزاق/ مقتل الحسين ص٣٥٤ مصدر سابق.

يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد ﷺ شفيعه.

ثمّ قام فولّى[1].

وتمادى يزيد في اظهار شماتته وفرحه، وصرّح بما في مكنون نفسه، من أنّه ينتقم من رسول الله ﷺ ومن أهل بيته حيث يتمثّل بأبيات شعر لعبد الله بن الزبعرى جاء فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً — ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم — وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا — خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم — من بني أحمد ما كان فعل[2]

وسمعت العقيلة زينب ترنّم يزيد بهذه الأبيات، التي يعلن فيها كفره بالرسالة والوحي، وأنّ دافعه إلى قتل أهل البيت هو الانتقام، وأخذ ثأر قتلى المشركين في بدر، ورأته كذلك يعبث برأس أخيها الحسين.. هنا قرّرت السيدة زينب أن تتحمّل مسؤوليتها، في مواجهة هذا الكفر الصريح، وأن تمارس دورها الرسالي في اعلان الحق، فتفجّر بركان إرادتها الإيمانية، ووقفت خطيبة قائلة:

«الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين[3]، صدق الله (سبحانه) حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُاْ السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ الله وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهزِؤنَ﴾[4].

أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى. أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟

وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقه، والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله (تعالى) ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[5].

(١) الطبري: ابن جرير/ تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٢٦٧ مصدر سابق.
ـ ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ الكامل في التاريخ ج٤ ص٨٥ مصدر سابق.

(٢) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسين ج٣ ص٣٧٧ مصدر سابق.

(٣) في رواية أخرى: «والصلاة على جدي سيد المرسلين».

(٤) سورة الروم آية/١٠.

(٥) سورة آل عمران آية/١٧٨.

أمن العدل يابن الطلقاء!.

تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدوبهنّ[1] الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ[2] أهل المناهل والمعاقل[3]، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدّني والشريف، ليس معهنّ من حماتهنّ حمي، ولا من رجالهنّ ولي؟.

وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟.

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف[4] والشنآن، والإحن[5] والأظغان؟.

ثم تقول غير مستأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة[6]، بإراقتك دماء ذريّة محمد، ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب.

وتهتف بأشياخك، زعمت أنّك تناديهم، فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنّك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقّنا،وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفكَ دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلاّ جلدك، ولا حززت إلاّ لحمك، ولتردنّ على رسول الله، بما تحمّلت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في ذريته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقّهم: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[7].

---

(١) تحدو: تسوق بهن سوقاً شديداً.

(٢) يستشرف الشيء: يرفع بصره للنظر إليه.

(٣) المناهل: جمع منهل وهو موضع الشرب من العيون.
والمعاقل: الحصون.

(٤) الشَنَف: البغض والعداء.

(٥) الإحن: جمع إحنة وهي الحقد.

(٦) الشّافة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب وإذا قطعت مات صاحبها.

(٧) سورة آل عمران آية/١٦٩.

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً وبجبرئيل ظهيراً.

وسيعلم من سوّل لك، ومكّنك من رقاب المسلمين ﴿**بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾[1] أيّكم ﴿**شَرٌّ مَكاناً وأَضْعَفُ جُنداً**﴾[2]؟.

ولئن جرّت عليَّ الدّواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكنّ العيون عبرى، والصّدور حرّى! ألا فالعجب كلّ العجب، لقتل حزب الله النّجباء بحزب الشيطان الطلقاء!! فهذه الأيدي تنطف[3] من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطّواهر الزواكي، تنتابها العواسل[4]، وتعفّرها أمهات الفراعل[5]!! ولئن اتّخذتنا مغنماً، لتجدنّا وشيكاً مغرما، حين لا تجد إلاّ ما قدّمت يداك، وما ربّك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها.

وهل رأيك إلاّ فند[6]؟ وأيّامك إلاّ عدد؟ وجمعك إلاّ بدد؟.

يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[7].

---

(١) سورة الكهف آية/٥٠.

(٢) سورة مريم آية/٧٥.

(٣) تنطف: تقطر.

(٤) العواسل: جمع عاسل وهو الذئب السريع العدو.

(٥) الفراعل: جمع فرعل وهو ولد الضبع.

(٦) فَنَد: ضعف الرأي.

(٧) ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٧٨ ـ ٣٨٠ مصدر سابق.

ـ المقرّم: عبدالرزاق/ **مقتل الحسين** ص٣٥٧ ـ ٣٥٩ مصدر سابق.

تأملات في الخطاب

إنّ خطاب السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد، يعتبر وثيقة فكرية سياسية، تسلّط الضوء على خلفيات المعركة، بين أهل البيت والأمويين، كما تناقش بعض التفاصيل والقضايا الهامة في تلك المعركة، وتقدّم استشرافاً وتصوّراً مستقبلياً، لآثار المعركة ونتائجها.

ونشير فيما يلي إلى أبرز وأهمّ آفاق هذا الخطاب الرائع العظيم:

أولاً: المعركة في منظار القيم والمبادىء

فالأمويون وإن كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويحكمون باسمه، إلاّ أنّهم يتعاملون مع الحياة، وينظرون للأمور حسب المعادلات الماديّة، وضمن دائرة المصالح الدنيوية العاجلة، بعيداً عن القيم والمبادىء.

ويريدون لجمهور الأمة، أن ينظر إلى واقعة كربلاء من منظارهم المادّي الجاهلي، حيث يصرّح يزيد بأنّه قد قام بأخذ ثارات بدر، ومعارك الإسلام الأولى ضدّ أسلافه المشركين، والمسألة في نظر الأمويين، لا تعدو أن تكون دفاعاً عن عرش السلطة وكرسي الحكم، وهو أمر مشروع بالعقلية المصلحية.

ويرى الأمويون أن القوة التي بأيديهم، والانتصارات التي أحرزوها، تكفي دليلاً على أحقيّتهم وشرعيّتهم، كواقع يفرض نفسه.

وفي مواجهة هذا المنطق الأموي المادي الانتهازي، كانت السيدة زينب في خطابها، تؤكد على الرجوع إلى القيم والمبادىء الدينية، والاحتكام إليها، في تقويم الواقع، وتفسير أحداثه، فلابدّ من محاكمة ما يجري على ضوء كتاب الله، والنظر إلى المعركة من خلال الرؤية الدينية، التي يريد الأمويون تغييبها، والغاءها في واقع حياة المسلمين.

لذلك تذكّر يزيد بن معاوية، بأن لا ينظر إلى نفسه من خلال ما يملك من قوة وسلطة: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء». فليس في ذلك دلالة على الأحقيّة والمشروعية، والرضا الآلهي، فقد يفسح الله المجال واسعاً أمام الكافرين، لتتضاعف قوّتهم وامكانياتهم، دون أن يعني ذلك أحقيّتهم، أو رضا الله عنهم، بل يكون ذلك سبباً لزيادة انحطاطهم وعذابهم عند الله.

والحسين وأهل بيته ليسوا مهزومين مغلوبين، قد خسروا الحياة، وابتلعهم الموت، بل هم وفق مقياس المبادىء الآلهية، شهداء خالدون، وأحياء عند ربّهم، لأنّهم قتلوا في سبيل الله.

وإذا كانت المآسي قد حلّت بأهل البيت، فإنهم يحتسبونها عند الله، حيث لم تحدث لهم في سياق صراع دنيوي مصلحي، وإنّما لأنّهم يحملون رسالة الله، ويدافعون عن دينه، وحسب المبادىء والقيم، فهناك عدالة آلهية، وهناك دار أخرى تكون فيها النتائج الحاسمة: «وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبجبرئيل ظهيرا، ولتردن على رسول الله».

والصراع بين أهل البيت والأمويين في نظر السيدة زينب، ليس صراعاً قبلياً على الزعامة، بل هو مظهر وامتداد للصّراع الأبدي الدائم بين الخير والشر، بين حزب الله وحزب الشيطان.

ثانياً: ادانة الجرائم الأموية

ففي مجلس يزيد، وأمامه وبحضور أتباعه ومؤيّديه، أعلنت السيدة زينب الإدانة والاستنكار، لما ارتكبه من جرائم بحقّ أهل البيت، وأوضحت مظلومية أهل البيت، وعمق مأساتهم، بقتل رجالات أهل البيت، وسوق نسائهم سبايا، بتلك الحالة المفجعة، وترك جثث أهل البيت دون مواراة. كما توبّخه بشدّة، على أقواله التي تنضح كفراً وتشكيكاً في الدين، وتعنّفه على ما فعله برأس أخيها الحسين.

ومن يعرف مدى غرور يزيد وتجبّره، يدرك وقع هذا التّوبيخ والإدانة علىنفسه.

يقول المرحوم الأستاذ توفيق الفكيكي: وكان الوثوب على أنياب الأفاعي، وركوب أطراف الرماح، أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصّارخ[1].

ثالثاً: الجذور العائلية الفاسدة

فسياسات يزيد المنحرفة، ومواقفه الفاسدة، لم تنطلق من فراغ، وإنّما هي امتداد واستمرار

(١) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٨١ مصدر سابق.

لسلوكيات أسلافه المشركين والمنافقين، لذلك تذكّره السيدة زينب بجدّته «هند» أم معاوية وزوج أبي سفيان، والتي قادت حملة التأليب والتحريض على قتال رسول الله والمسلمين، وأغرت «وحشي» بقتل الحمزة بن عبدالمطلب عمّ رسول الله، ثمّ مثّلت بجسمه، وانتزعت كبده، وحاولت مضغها بأسنانها، اظهاراً لحقدها البشع، وبغضها المتوحّش لرسول الله وذويه، ويزيد في اعتداءاته الأليمة على أهل البيت، لم يأت بشيء غريب، وإنّما هو شرّ خلف لشرّ سلف، تقول عليها السلام «وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء».

وتتوعّده السيدة زينب بأنّ مصيره هو مصير أسلافه، عتبة وشيبة والوليد، وأنّه لاحق بهم في نار جهنم: «وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم فلتردّن وشيكاً موردهم».

رابعاً: الإشادة بأهل البيت:

في مجتمع تربّى على بغض أهل البيت، وفي أجواء معبّأة ضدّ الأسرة العلوية، ووسط مجلس انعقد للشماتة بمقتل الحسين، تقف السيدة زينب صادحة بالحق، مشيدة بفضائل أسرتها الكريمة.

فهي تخاطب يزيد معلنةً للأمّة: أنّ هذه الدولة والكيان الإسلامي، إنّما أشادته سيوف بني هاشم، وتضحيات آل الرسول بالدرجة الأولى «وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا» فأهل البيت هم القادة الحقيقيون لهذه الأمّة، وهم الأولى بالسلطة والحكم.

ولأهل البيت فضل عظيم على يزيد بالذات، فأبوه وجدّه وأسرته، هم طلقاء عفو رسول الله، عند فتح مكة لذلك تخاطبه العقيلة: «أمن العدل يا ابن الطلقاء».

أمّا شهداء كربلاء فتصفهم السيدة زينب بأنّهم: «ذريّة محمد ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب»، وتذكر أخاها الحسين باعتباره: «سيد شباب أهل الجنّة».

وتعتزّ السيدة زينب بفضل أسرتها، وأمجادها العظيمة، قائلة: «والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة».

خامساً: المستقبل لمن؟

يتبختر يزيد بانتصاره على أهل البيت، ويظنّ أنّه كسب المعركة لصالحه، ووسائل اعلامه تكرّر وتجتر هذا الوهم، على مسامع الناس، لكن العقيلة زينب تنسف أوهامه، وتسفّه أحلامه، وتقرّر أمام مجلسه الحاشد، أنّه قد تلطّخ بأوحال الهزيمة، وسقط في حضيض الهوان، وإن تظاهر بالنصر وتراءى له الظفر.

إنّها تتحدّى يزيد، في أن يتمكّن من تحقيق هدفه بطمس خطّ أهل البيت، مهما جنّد من

قواه، واستخدم من قدراته: «فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا». فخطّ أهل البيت يمثّل الحقّ والعدل، ويجسّد الوحي الآلهي، وسوف تبقى البشرية متطلّعة للحق والعدل، وسوف يظهر الله دينه على الدين كلّه.

كما تظهر العقيلة سخريتها واحتقارها، لمظاهر القوة التي أحاط بها يزيد نفسه: «وهل رأيك إلاّ فند، وأيّامك إلاّ عدد، وجمعك إلاّ بدد».

ورهان السيدة زينب على النصر، وثقتها بالظّفر، ليس محجماً بحدود الدنيا الفانية، بل تتطلّع للآخرة، هناك حيث عدالة الله، وحيث تكون العاقبة للمتّقين، والنار والخزي للظالمين.

سادساً: العزّة الإيمانية

تلك المرأة السّبيّة الأسيرة، التي سيقت إلى مجلس يزيد مكتّفة بالحبال، تقف أمام الحاكم المتغطرس المتجبّر، صارخة به: «يا ابن الطلقاء» ومنذرةً له: «ولتودنّ أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت» وداعية عليه: «اللهم خذ لنا بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا».

وتتحدّاه قائلة: «فوالله ما فريت إلاّ جلدك، ولا حززت إلاّ لحمك» وتكرر تحدّيها له هاتفة: «فكد كيدك، واسع سعيك».

وبصراحة أوضح تبدي احتقارها له، وأنها أكبر وأسمى من أن تكلّمه أو تخاطبه، لولا ما فرضته عليها الظروف فتقول: «ولئن جرّت عليّ الدّواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك».

فمن يداني ابنة علي في شجاعتها وعزّتها وبطولتها؟.

إنّها ابنة أبيها وهي تفرغ عن لسانه وروحه.

لذلك تحطّمت كبرياء يزيد أمامها، وانهار غروره، وأصابته الحيرة والارتباك، فلم يزد أن تمثّل بعد خطابها بقول الشاعر:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون النّوح على النوائح

وكأنّه يفسّر خطاب السيدة زينب بأنّه نوع من الانفعال الطبيعي لما تعانيه من مصيبة!!

مواجهة حادّة

بعكس ما كان يقصده ويهدفه يزيد من دخول السبايا إلى مجلسه، بأن يستعرض قوته، ويؤكّد انتصاره، ويوجّه لأهل البيت ضربات جديدة من الإذلال والهوان.

فقد انعكس الأمر، وتحوّل المجلس إلى ساحة محاكمة لجرائمه، وميدان معركة تكبّد فيها هزيمة نكراء.. وفوجىء يزيد بحصول ما لم يكن يتوقّع، وفقد السيطرة على نفسه، ولم يعد يدري كيف يواجه الموقف، بينما استمرّت العقيلة زينب توجّه له ضربات التّحدّي، وسهام التبكيت والاحتقار.

ونظر رجل من أهل الشام، ومن القريبين من يزيد، إلى السيدة فاطمة بنت الإمام علي ـ وحسب روايات أخرى بنت الإمام الحسين ـ فقال مخاطباً يزيد: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي!!.

فاسودّت الدنيا في عين السيدة فاطمة، وانتابها الرعب والقلق، فلاذت بزعيمة الركب العقيلة زينب، فطمأنتها زينب وهدّأت من روعها، حيث رفعت صوتها لتُسمع يزيد قائلة للرجل:

ـ كذبت ولؤمت ماذلك لك ولا لأميرك.

واستشاط يزيد غضباً، لهذه الضّربة القاصمة لصرح هيبته الزائفة، ومقامه الباطل، فردّ بانفعال: كذبت والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

فعاجلته السيدة زينب بضربة أكثر وقعاً وصرامة حين قالت:

ـ «كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلاّ أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا».

وطفح الكيل في نفس يزيد، وما عاد يتحمّل ما يسمع من كلمات التّحدّي والتّحقير، وفي مقر حكمه، وبين أنصاره وجمهوره، فصاح غاضباً:

- إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين أخوك وأبوك!.

وإذا كان يزيد منفعلاً قد فقد السيطرة على نفسه، فإنّ السيدة زينب كانت في قمّة الاطمئنان والثّبات، لذلك أجابته واثقة:

- بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديت، أنت وأبوك وجدّك إن كنت مسلماً!!.

وما عسى أن يكون جواب يزيد أو موقفه، تجاه هذا التّحدّي الصارخ، فهو يتربّع على عرش خلافة المسلمين، لكن السيدة زينب تجعل إسلامه موضع شك، وتعلن على رؤوس الأشهاد، فضل اسرتها عليه وعلى أسرته، بهديهم للإسلام.. لذلك لم يحر يزيد جواباً، ولم يجد رداً، فلجأ إلى الشتم، بحنق وغيظ، حيث خاطب زينب قائلاً: كذبت يا عدوة الله!!.

لكن غضب يزيد وانفعاله وشتمه لم يسكت العقيلة زينب، ولم يضع حداً لهجومها عليه، وتحدّيها له، بل أوضحت أمام الجمع: أنّ دافع يزيد إلى الشتم، هو سوء استخدامه لموقعه، باعتباره حاكماً يمارس الظلم والقهر، قالت عليها السلام:

- أنت أمير مسلّط، تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك.

فسكت يزيد وأفحم، واعترف بخسارته المعركة، حيث إنّ الرجل الشامي كرّر عليه الطلب، وكأنّه يريد أن يعرف النتيجة، وينتزع من يزيد الاعتراف بالهزيمة، أمام تحدّي السيدة زينب له، فقال الشامي:

- يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية!.

فصبّ يزيد عليه جام غضبه قائلاً له:

- اعزب وهب الله لك حتفاً قاضيا[1].

---

(١) القرشي: باقر شريف/ حياة الإمام الحسين ج٣ ص٣٨١ مصدر سابق.

ردود الفعل

خلافاً لما كان يقصده يزيد من مجيء السبايا ورؤوس الشهداء إلى الشام، بأن يصنع من خلال ذلك جواً مضاداً لثورة الحسين، ويدعم عرش حكمه وسلطته، فقد حصل العكس من ذلك تماماً، حيث سادت النقمة، وانتشر الاستياء، في مختلف أوساط العاصمة الأموية، استنكاراً لما فعله يزيد.

وممّا رصده لنا التاريخ من مظاهر الاستنكار ما يلي:

ممثل ملك الروم:

وكان في مجلس يزيد ممثّل ملك الروم، فلما رأى رأس الإمام بين يدي يزيد، تأثّر من ذلك وسأل يزيد: رأس من هذا؟.

أجابه يزيد: رأس الحسين.

فسأل: من الحسين؟

قال يزيد: ابن فاطمة.

وسأله: من فاطمة؟.

قال يزيد: ابنة رسول الله.

فانذهل وقال: نبيّكم؟

أجابه يزيد: نعم.

ففزع ممثّل ملك الروم، وأبدى انزعاجه قائلاً: تباً لكم ولدينكم، وحقّ المسيح إنّكم على باطل، إنّ عندنا في بعض الجزائر ديراً، فيه حافر فرس ركبه المسيح، فنحن نحجّ إليه في كل

عام، من مسيرة شهور وسنين، ونحمل إليه النّذور والأموال، ونعظّمه أكثر ممّا تعظّمون كعبتكم، أفٍ لكم.

ثم قام وخرج غضبان من مجلس يزيد[1].

حبر يهودي:

وحضر حبر يهودي مجلس يزيد، أثناء دخول السبايا، وسمع خطاب الإمام زين العابدين، فتأثّر الحبر، والتفت إلى يزيد سائلاً: من هذا الغلام؟.

أجابه: علي بن الحسين.

فسأل: من الحسين؟.

قال: ابن علي بن أبي طالب.

وسأله الحبر: من أُمّه؟.

أجابه يزيد: بنت محمد.

فاندهش الحبر، وأعلن استنكاره أمام يزيد، قائلاً: يا سبحان الله!! ابن بنت نبيّكم قتلتموه، بئسما خلّفتموه في ذريّته، فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً، لظننت أنّا كنّا نعبده من دون ربّنا، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابنه وقتلتموه سوأة لكم من أمّة!!.

وغضب يزيد من قوله، وأمر بتنكيله، فقام الحبر وقد رفع عقيرته قائلاً: إن شئتم فاقتلوني، إنّي وجدت في التوراة: من قتل ذريّة نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه الله نار جهنم[2].

قيصر ملك الروم:

فقد وصلته أخبار قتل الحسين، وأخبار السبايا، فكتب إلى يزيد مستنكراً:

ـ «قتلتم نبياً أو ابن نبي»[3].

---

(١) ـ الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٥٦ مصدر سابق.

ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٨٩ مصدر سابق.

ـ ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٨٦ مصدر سابق.

(٢) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٣٩٤ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق (ص٣٩٥).

رأس الجالوت:

وممّن أظهر استنكاره وإدانته لما حدث، الزعيم الديني لليهود، رأس الجالوت، فقد قال لمحمد بن عبدالرحمن: إنّ بيني وبين داود سبعين أباً، وإنّ اليهود تعظّمني وتحترمني، وأنتم قتلتم ابن بنت نبيكم؟[1].

شيخ من أهل الشام:

أخرج ابن جرير عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين (رضي الله تعالى عنهما) أسيراً، فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم!.

فقال له علي (رضي الله تعالى عنه): أقرأت القرآن؟.

قال: نعم.

قال: أقرأت الـ ﴿حم﴾[2]؟.

قال: نعم.

قال: أما قرأت: **﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّة في القُربى﴾**[3].

قال: فانكم لأنتم هم؟.

قال: نعم[4].

وفي نص آخر: دنا شيخ من الإمام زين العابدين، وقال له:

ـ الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم!.

فقال (عليه السلام) له: يا شيخ أقرأت القرآن؟.

قال: بلى.

قال: أقرأت: **﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّة في القُربى﴾**[5].

---

(١) المصدر السابق (ص٣٩٦).

(٢) سورة الشورى آية/١.

(٣) سورة لاشورى آية/٢٣.

(٤) الألوسي البغدادي: السيد محمود/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٢٥ ص٣١/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٥) سورة الشورى آية/٢٣.

وقرأت قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذا القُربَى حَقَّهُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَاعلَمُوا أَنَّما غَنِمتُم مِن شَيءٍ فأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسولِ وَلِذي القُربى﴾[2]؟.

قال الشيخ: نعم قرأت ذلك.

فقال الإمام: نحن والله القربى في هذه الآيات.

ثم قال له الإمام: أقرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّما يُريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تَطهيراً﴾[3]؟.

قال: بلى..

فقال الإمام: نحن أهل البيت الذي خصّهم الله بالتطهير.

قال الشيخ: بالله عليك أنتم هم؟.

قال الإمام: وحقّ جدّنا رسول الله إنّا لنحن هم من غير شك.

فوقع الشيخ على قدمي الإمام يقبّلهما، ويقول: أبرأ إلى الله ممّن قتلكم. وتاب على يد الإمام، ممّا فرط في القول معه، وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله، فأمر بقتله[4].

الصحابي أبو برزة الأسلمي:

وكان هذا الصحابي حاضراً في مجلس يزيد، فلمّا رأى أحوال السبايا، وعبث يزيد برأس الحسين، أعلن استياءه واستنكاره.

قال الطبري: فقام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: أبو برزة الأسلمي، وقال: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك، من ثغره مأخذاً لربّما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه! أما أنّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد ﷺ شفيعه.

ثم قام فولّى[5].

وفي رواية أخرى: قال أبو برزة الأسلمي: أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه

---

(١) سورة الإسراء آية/٢٦.

(٢) سورة الأنفال آية/٤١.

(٣) سورة الأحزاب آية/٣٣.

(٤) المقرّم: عبدالرزاق/ **مقتل الحسين** ص٣٤٩ مصدر سابق.

(٥) الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك** ج٦ ص٢٦٧ مصدر سابق.

الحسن، ويقول: أنتما سيدا شباب أهل الجنة، قتل الله قاتلكما، ولعنه وأعدّ له جهنّم وساءت مصيرا.

فغضب يزيد منه وأمر به فأخرج سحباً[1].

من داخل الأسرة الأموية:

وهكذا كانت أمواج السخط والاستنكار تتلاطم، بتأثير قافلة السبايا، حتى ضربت أطناب البيت الأموي الحاكم، وتعالت أصوات المعارضة لما حصل في أوساط عائلة يزيد، فيحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم، اعترض على يزيد في مجلسه، وشتم ابن زياد أمامه، متعاطفاً مع آل الرسول، حيث أنشد البيتين التاليين:

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابه — من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى — وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم، وقال: اسكت[2].

وابنة يزيد عاتكة، بادرت إلى رأس الإمام فطيّبته، وقالت نادبة: رأس عمّي[3].

أما معاوية بن يزيد، فموقفه واضح، إذ رفض حتى تولّي الخلافة بعد أبيه يزيد، وأعلن تنديده بسياسات أبيه وجدّه.

وزوجته هند، لم تستطع كتمان ألمها واعتراضها، يقول ابن الأثير: ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدّثوه، فسمعت الحديث هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز، وكانت تحت يزيد، فتقنّعت بثوبها وخرجت، فقالت:

يا أمير المؤمنين أراس الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله؟.

قال: نعم، فاعولي عليه، وحدّي على ابن رسول الله، وصريخة قريش، عجلّ عليه ابن زياد فقتله قتله الله[4].

هذا الاستياء الشامل، والاستنكار من مختلف الأوساط، أظهر ليزيد فشل سياسته وتخطيطه، وجعله يتمنّى لو لم يقدم على قتل الحسين، أو على الأقل لو تستّر على جريمته، ولم ينشرها على رؤوس الملأ، عبر قافلة السبايا والرؤوس.. وصدرت عن يزيد كلمات وتصريحات

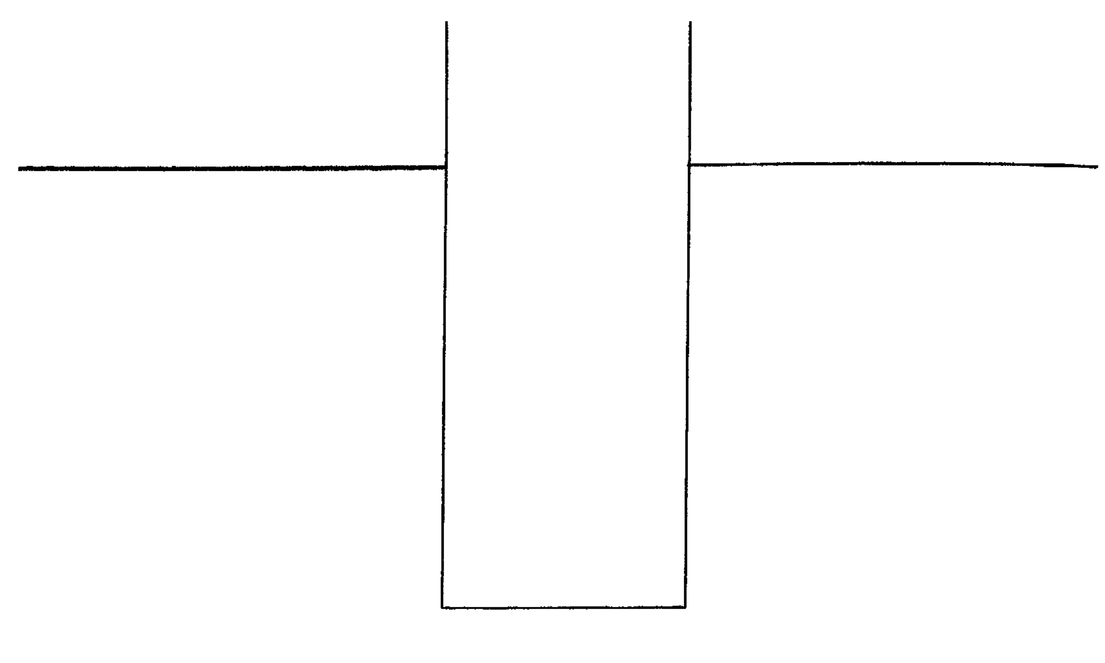
---

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٨٥ مصدر سابق.

(٢) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٨٥.

(٣) القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين** ج٣ ص٤٠٠ مصدر سابق.

(٤) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ** ج٤ ص٨٤ مصدر سابق.



خلق عظيم

لقد تكاملت نواحي العظمة في شخصية السيدة زينب، فتجسّدت فيها معالي الصّفات، ومكارم الأخلاق، وذلك هو سر تفرّدها وخلودها.

وإنّما تتحدّد قيمة الإنسان ومكانته حسب ما يتمتّع به من مواهب وكفاءات، ويترشّح عنه من فضائل وأخلاق.

وشخصية السيدة زينب زاخرة بالمواهب العالية، وسيرتها طافحة بالمكارم الرفيعة.

لقد رافقنا حياة السيدة زينب عبر الفصول السابقة، وهي وليدة ناشئة، وفتاة يافعة، وزوجة ناضجة، وأمّ مربّية، ورأيناها تقف إلى جانب أمها في آلامها وأحزانها، وتواكب مسيرة أبيها في منعطفات الزمن وأحداثه، وتواسي أخاها الحسن في محنته وابتلائه، ثم تشارك أخاها الحسين في ثورته العظيمة الخالدة، وتقود بعده ركب النّهضة المقدّسة.

ومن خلال تلك المواقف والأحداث، تجلّت لنا كفاءات السيدة زينب، وعظمة شخصيتها، وتبدّى لنا من نورها المضيء، وأفقها الرحيب، بقدر ما كانت أبصارنا تستوعب الرؤية والنظر.

ونشير في هذا الفصل إلى بعض مكارم أخلاقها وعظيم صفاتها.

بالعلم ميّز الله الإنسان على سائر المخلوقات حتى الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وبالعلم يتمايز بنو آدم فيما بينهم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آوتوا العلم درجات﴾[3].

و«العلم رأس الخير كلّه» و«أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً»، و«أقل الناس قيمة أقلّهم علماً»، كما يقول الرسول الأعظم ﷺ[4].

أو كما يقول الإمام علي عليه السلام: «قيمة كل امرىء ما يحسنه»[5].

فالعلم ساحة سباق وتنافس بين أبناء البشر، يتقدم فيها من حاز منه بنصيب أوفر.

والمرأة كإنسانة معنية بهذا السباق في ميدان العلم، ولها حضورها في ساحته، وقيمتها كالرجل، تتحدّد بما تحسنه من العلم والمعرفة.

لذلك روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[6].

---

(١) سورة البقرة آية/٣١.

(٢) سورة الزمر (آية/٩).

(٣) سورة المجادلة آية/١١.

(٤) الري شهري: محمدي/ **ميزان الحكمة** ج٦ ص٤٥١ ـ ٤٥٥ مصدر سابق.

(٥) الموسوي: الشريف الرضي/**نهج البلاغة**/ قصار الحكم ـ رقم٨١.

(٦) المجلسي: محمد باقر/ **بحار الأنوار** ج١ ص١٧٧.

وإذا ما رأينا الجهل معشعشاً أكثر في أوساط نسائنا، فذلك دليل على تخلّفنا وانحرافنا عن هدي الرسالة.

لقد أثبتت المرأة في الماضي والحاضر، أنّها لا تقلّ عن الرجل استعداداً للمعرفة، وكفاءة في طلب العلم.. فحتى العلوم التخصصية الهامة، أحرزت فيها المرأة تفوّقاً وتقدّماً.. وكذلك المجالات العلمية التي تحفّها المخاطر والصعوبات، فحادثة «تشالنجر» لازالت ماثلة أمام الأذهان، حينما تحطّمت المركبة الفضائية الأمريكية المتطوّرة، بعد (٧٣) ثانية من انطلاقها في الجو، بسبب شرخ في خزّان الوقود، بتاريخ (١٩٨٦/١/٢٨م) وكان ضمن طاقمها المكوّن من ستة أفراد، فتاتان تعملان في أبحاث الفضاء هما «كريستا مكوليف» و«جودث رثنك».

وقبل سنتين نشرت وسائل الإعلام تحقيقاً عن امرأة عربية متخصّصة في فيزياء «البلازما» وهي الحال الرابعة للمادة، التي يقال أنّ كتلة الكون تتألف منها.

تلك المرأة هي «مها عاشور عبدالله» أستاذة الفيزياء في «لوس أنجلس» في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تجاوزت هذه المرأة كلّ المستحيلات، فاختارتها وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» مستشارة رئيسية، في وضع خطّة الأبحاث الأساسية في فيزياء الفضاء، وقد منحت جائزة نساء العلم الأميركية.

وذكرت «مها» المعروفة بأبحاثها المشتركة، مع أبرز علماء فيزياء الفضاء، من فرنسا واليابان والصين والاتحاد السوفيتي (سابقاً) وألمانيا، أنّها غالباً ما تجد نفسها المراة الوحيدة في المؤتمرات العلمية الدولية، وتعتقد أنّ النساء العربيات أكثر إقداماً على العلوم من الغربيات، وأنّ نسبتهنّ في الكليات العلمية العربية لا تقلّ كثيراً عن الرجال، وأنّهنّ لو أعطين الفرصة فسيحققن الكثير.

وتعدّ «مها» العالمة المصرية التي أصدرت إلى الآن (٢١٠) أبحاث، من أبرز المتخصّصين في ظاهرة «الشفق القطبي» الجوية، المحاطة بالغموض والأساطير.

وإضافة إلى اللجنة الاستشارية في «ناسا» تشغل عضوية «هيئة علوم الكمبيوتر المتقدّمة» وهي مسؤولة التنسيق عن الإفادة من علوم فيزياء الفضاء، في «المؤسسة القومية للعلوم» التي تعتبر من أهمّ مراكز إعداد القرار العلمي في الولايات المتحدة.

و«مها» حفيدة فلاح من قرية «مطوبس» غير البعيدة عن الاسكندرية في مصر(١).

فساحة العلم مفتوحة أمام المرأة، وميدان المعرفة متّسع لمشاركتها، واهتمامها بطلب العلم،

---

(١) الحياة: جريدة يومية ـ لندن ١٤١١/١٢/٢٢هـ.

وتلقّي المعرفة، واجب شرعي عليها، أكثر ممّا هو حقّ لها، كما ينصّ الحديث الشريف: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

لكنّ ظروف التخلّف والانحطاط، هي التي جعلت المرأة عندنا أسيرة الجهل، محرومة من نعمة المعرفة والعلم (غالباً).

وقراءة شخصية السيدة زينب، تعطي لأمّتنا دفعة انطلاق، لتجاوز هذا الواقع الخاطىء.

فقد اهتمّت السيدة زينب بتلقّي العلم والمعرفة، منذ نعومة أظفارها، وفي وقت مبكّر من حياتها، فإنّها روت عن أمها فاطمة الزهراء[١].

وقال الطبرسي: أنّها روت أخباراً كثيرة عن أمها الزهراء[٢].

بالطبع كان عمرها عند وفاة أمّها ست سنوات.

وفي طليعة ما روت عن أمّها الزهراء، خطبتها العظيمة في الاحتجاج على الخليفة الأول أبي بكر، حول منطقة فدك، التي كانت تحت يد الزهراء، فصادرها الخليفة، وضمّها إلى بيت المال.. وخطبة الزهراء هذه طويلة مفصّلة، تتضمّن زيادة على موضوعها الأساس حول فدك، الكثير من المفاهيم والتعاليم الإسلامية، وكلّ أسانيد هذه الخطبة تنتهي إلى السيدة زينب، فهي التي حفظت خطبة أمها، وانتقلت عبرها إلى الأجيال.

وقد أشار ابن أبي الحديد المعتزلي، إلى أسانيد الخطبة المنتهية كلها إلى السيدة زينب، نقلاً عن أبي بكر الجوهري، والذي وصفه بقوله: عالم محدّث، كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدّثون، ورووا عنه مصنّفاته[٣].

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني لخطبة الزهراء سنداً آخر، عن ابن عباس، بروايته عن السيدة زينب قال: والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك، فقال: «حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي»[٤].

وكما روت عن أمها الزهراء، فقد روت أيضاً عن أبيها علي، وعن أخويها الحسنين[٥].

---

(١) الخوئي: السيد أبو القاسم/ **معجم رجال الحديث** ج٢٣ ص١٩ مصدر سابق.

(٢) شبّر: جواد/ **أدب الطف** ج١ ص٢٤٣ دار المرتضى - بيروت ١٩٨٨م.

(٣) ابن أبي الحديد: عبدالحميد/ **شرح نهج البلاغة** ج١٦ ص٢١٠ - ٢١١ الطبعة الثانية ١٩٦٥م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) الأصفهاني: أبو الفرج/ **مقاتل الطالبيين** ص٩١ تحقيق أحمد صقر/ دار المعرفة - بيروت.

(٥) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٣٥ مصدر سابق.

وروت عن مولى لجدّها رسول الله ﷺ ذكر ابن عساكر أنّ اسمه طهمان أو ذكوان[1].

لكن الشيخ النقدي نقل عن كتاب (الورع) لأحمد بن حنبل أنّ اسم ذلك المولى ميمون أو مهران، فقال: ومن ذلك ما في كتاب (الورع) لأحمد بن حنبل المطبوع بمصر حديثاً، عن عطاء بن السائب قال: حدّثتني أم كلثوم ابنة علي - هي زينب - قال: أتيتها بصدقة كان أمر بها.

قالت: احذر شبابنا فإنّ ميموناً أو مهران أخبرني أنّه مرّ على النبي ﷺ، فقال: يا ميمون أو يا مهران إنّا أهل بيت نهينا عن الصدقة وإنّ موالينا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة[2].

وروت أيضاً عن فضليات نساء عصرها، كأم أيمن مولاة النبي وحاضنته، وأم سلمة زوج رسول الله، وأم هاني بنت أبي طالب[3]. وأسماء بنت عميس أم عبدالله بن جعفر[4].

ولم تختزن السيدة زينب العلم لنفسها، أو تحتكره لذاتها، بل أفاضت من معارفها ومروياتها على أبناء الأمة، فكانت تتحدّث ليس فقط للنساء، بل حدّثت العديد من رجالات بيتها، وسائر الأصحاب والتابعين.. فقد روى عنها جابر، وعباد العامري[5]، وابن أخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين[6] وروى عنها حبر الأمة عبدالله بن عباس[7]، وزوجها عبدالله بن جعفر[8]، وروى عنها محمد بن عمرو الهاشمي، وعطاء بن السائب[9]، وروى عنها أحمد بن محمد بن جابر، وزيد بن علي بن الحسين[10].

وروت عنها بنت أخيها فاطمة بنت الحسين[11]، وقد مرّ علينا سابقاً أنّها كانت مهتمّةً بتعليم النساء وتثقيفهنّ ضمن مجالسها العلمية.

ويكفي لإدراك مقام زينب الريادي، في ميدان المعرفة والعلم، أن نتأمّل ما رواه الصدوق،

(١) ابن عساكر: علي بن الحسن/ **تاريخ مدينة دمشق**/ تراجم النساء تحقيق: سكينة الشهابي ص١١٩.

(٢) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٣٨ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق (ص٣٥ - ٤١).

(٤) ابن عساكر: **علي بن الحسن**/ تاريخ دمشق تراجم النساء ص١١٩ مصدر سابق.

(٥) الخوئي: السيد أبو القاسم/ **معجم رجال الحديث** ج٢٣ ص١٩٠ مصدر سابق.

(٦) شبر: جواد/ **أدب الطف** ج١ ص٢٣٨ مصدر سابق.

(٧) الأصفهاني: أبو الفرج/ **مقاتل الطالبيين** ص٩١ مصدر سابق.

(٨) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٣٥ مصدر سابق.

(٩) ابن عساكر: علي بن الحسن/ **تاريخ دمشق ــ تراجم النساء** ص١١٩ مصدر سابق.

(١٠) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٣٧ مصدر سابق.

(١١) ابن عساكر: **علي بن الحسن**/ تاريخ دمشق - تراجم النساء ص١١٩ مصدر سابق.

محمد بن بابويه (طاب ثراه) من أنّه كانت لزينب نيابة خاصّة عن الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته، وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام، حتى برىء زين العابدين[1].

كما أنّ شهادة الإمام زين العابدين في حقّها، لم تكن جزافاً، ولا مبالغة، وهو الإمام المعصوم، حيث قال لها: «أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة»[2].

وحينما نرى أن عبدالله بن عباس، حبر الأمة، يروي عن السيدة زينب، ويبدي الفخر والاعتزاز بالرواية عنها والانتساب لها حيث كان يقول: حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي[3] فذلك يدل على بعض ما لها من المكانة والشأن، على صعيد العلم والفضل.

---

(١) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٣٥ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق (ص٣٤).

(٣) الأصفهاني: أبو الفرج/ **مقاتل الطالبيين** ص٩١ مصدر سابق.

في محراب العبادة

عبادة الخالق والقرب منه، هي المرتكز والمحور في الشخصية الإيمانية، بل هي مقياس الإنسانية والتحرّر في شخصية الإنسان، فالبديل عن التعبد لله، والخضوع له، هو العبودية للشهوات، وللمصالح المادية الزائلة.

إنّ التعبّد لله يعني انسجام الإنسان مع فطرته النّقيّة، واستجابته لنداء عقله الصادق، بأنّ للحياة خالقاً يمسك بأزمتها، وإليه مصيرها.

والتعبّد لله، هو النبع الذي يروي منه الإنسان ظمأه الروحي، ويتزوّد من دفقاته بدوافع الخير ونوازع الصلاح.

فكلّما أقبل الإنسان على ربّه، وأخلص في عبادته، تجلّت إنسانيته أكثر، وتجسّدت القيم الخيّرة في شخصيته.

ففي الحديث القدسي الذي ينقله الرسول الأعظمﷺعن الله (سبحانه) أنّه قال:

«لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل، حتى أحبّه، فأكون أنا سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، فإذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته»[1].

والسيدة زينب وهي العالمة بالله و﴿**إنّما يَخْشَى الله من عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾[2] وهي الناشئة في أجواء الإيمان والعبادة والتقوى، كانت قمة سامقة في عبادتها وخضوعها للخالق (عزّ وجلّ).

كانت ثانية أمها الزهراء في العبادة. وكانت تؤدي نوافل الليل كاملة في كل أوقاتها حتى

---

(١) الري شهري: محمدي/ **ميزان الحكمة** ج٨ ص١١١ مصدر سابق.

(٢) سورة فاطر آية/٢٨.

أنّ الحسين عليه السلام عندما ودّع عياله الوداع الأخير يوم عاشوراء، قال لها: «يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل». كما ذكر ذلك البيرجندي، وهو مدوّن في كتب السّير[1].

وعن عبادة السيدة زينب، ليلة الحادي عشر من المحرم، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: وأيّ شيء أدلّ على هذه الحقيقة، من قيامها بين يدي الله للصلاة، ليلة الحادي عشر من المحرم، ورجالها بلا رؤوس على وجه الأرض، تسفي عليهم الرياح، ومن حولها النساء والأطفال، في صياح وبكاء ودهشة وذهول، وجيش العدو يحيط بها من كل جانب.. إنّ صلاتها في مثل هذه الساعة، تماماً كصلاة جدّها رسول الله في المسجد الحرام، والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة، ويطرحون عليه رحم شاة، وهو ساجد لله (عزّوعلا)، وكصلاة أبيها أمير المؤمنين، في قلب المعركة بصفين، وصلاة أخيها سيد الشهداء يوم العاشر، والسهام تنهال عليه كالسيل.

ولا تأخذك الدهشة ـ أيها القارىء الكريم ـ إذا قلت: إنّ صلاة السيدة زينب، ليلة الحادي عشر من المحرم، كانت شكراً لله على ما أنعم، وأنّها كانت تنظر إلى تلك الأحداث على أنّها نعمة خصّ الله بها أهل بيت النبوة، من دون الناس أجمعين، وأنّه لولاها لما كانت لهم هذه المنازل والمراتب عند الله والناس[2].

وروي عن ابنة أخيها فاطمة بنت الحسين قولها:

«وأمّا عمّتي زينب، فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها، تستغيث إلى ربّها فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنّة»[3].

أمّا كيف كانت تتخاطب السيدة زينب مع ربّها؟ وبماذا كانت تناجيه؟ فإنّ المصادر التاريخية، قد احتفظت لنا ببعض القطع والفقرات، من أدعيتها ومناجاتها، نذكر منها ما يلي:

«يا عماد من لا عماد له، ويا ذخر من لا ذخر له، ويا سند من لا سند له، ويا حرز الضعفاء، ويا كنز الفقراء، ويا سميع الدعاء، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا كاشف السوء، ويا عظيم الرجاء، ويا منجي الغرقى، ويا منقذ الهلكى، يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا متفضّل، أنت الذي سجد لك سواد الليل، وضوء النهار، وشعاع الشمس، وحفيف الشجر، ودويّ الماء، يا الله يا الله الذي لم يكن قبله قبل، ولا بعده بعد، ولا نهاية له، ولا حدّ ولا كفؤ ولا ندّ، بحرمة اسمك الذي في الآدميين معناه المرتدي بالكبرياء والنور والعظمة، محقق الحقائق، ومبطل

(١) شبّر: جواد/ **أدب الطف** ج١ ص٢٤٢ مصدر سابق.

(٢) مغنية: محمد جواد/ **مع بطلة كربلاء** ص٤٢ مصدر سابق.

(٣) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص٦٢ مصدر سابق.

الشرك والبوائق، وبالاسم الذي تدوم به الحياة الدائمة الأزلية، التي لا موت معها ولا فناء، وبالروح المقدسة الكريمة، وبالسمع الحاضر، والنظر النافذ، وتاج الوقار، وخاتم النبوة، وتوثيق العهد، ودار الحيوان، وقصور الجمال، ويا الله لا شريك له»[1].

ومن الأدعية والتسبيحات التي كانت تواظب على قراءتها:

«سبحان من لبس العزّ وتردّى به، سبحان من تعطف بالمجد والكرم، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلاّ له (جلّ جلاله)، سبحان من أحصى كلّ شيء عدداً، بعلمه وخلقه وقدرته، سبحان ذي العزّة والنعم، اللهم، إني أسألك بمعاقد العزّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدّك الأعلى، وكلماتك التامات التي تمّت صدقاً وعدلاً، أن تصلي على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين، وأن تجمع لي خيري الدنيا والآخرة، بعد عمر طويل، اللهمّ أنت الحيّ القيوم، أنت هديتني، وأنت تطعمني وتسقيني، وأنت تميتني برحمتك يا أرحم الراحمين»[2].

ومن أدعية أبيها التي كانت تدعو بها بعد صلاة العشاء:

«اللهمّ إني أسألك يا عالم الأمور الخفية، ويا من الأرض بعزّته مدحيّة، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة، ويا مقبلاً على كل نفس مؤمنة زكية، ويا مسكّن رعب الخائفين وأهل التقيّة، يا من حوائج الخلق عنده مقضية، يا من ليس له بواب ينادى، ولا صاحب يغشى، ولا وزير يؤتى، ولا غير ربّ يدعى، يا من لا يزداد على الإلحاح إلاّ كرماً وجوداً، صلّ على محمد وآل محمد، وأعطني سؤلي، إنك على كل شيء قدير»[3].

---

(١) محمد علي: موسى/ **عقيلة الطهر والكرام** ص٧٠ مصدر سابق.

(٢) الهاشمي: علي بن الحسين/ **عقيلة بني هاشم** ص١٥ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق (ص١٦).

صبر وشجاعة

معروف أنّ المرأة تمتاز برقّة المشاعر، وشفّافية العواطف، ممّا يساعدها على القيام بدور الأمومة الحانية، لذلك يكون تأثيرها العاطفي أسرع وأعمق من الرجل غالباً.

وإذا كانت تلك الحالة تمثّل الاستعداد الأوّلي في نفس المرأة، فلا يعني ذلك أنّها تأسر المرأة، وتقعد بها عن درجات الصمود والصبر العالية.

فبإمكان المراة حينما تمتلك قوة الإرادة، ونفاذ الوعي، وسموّ الهدف، أن تضرب أروع الأمثلة في الصبر والشجاعة، أمام المواقف الصعبة القاسية.

وهذا ما أثبتته السيدة زينب، في مواجهتها للآلام والأحداث العنيفة، التي صدمتها في باكر حياتها، وكانت هي الختام لسنوات عمرها.

لقد أبدت السيدة زينب تجلداً وصبراً قياسياً، في واقعة كربلاء، وما أعقبها من مصائب.

وإلاّ فكيف استطاعت أن تنظر إلى أخيها الحسين، ممزّق الأشلاء، يسبح في بركة من الدماء، وحوله بقيّة رجالات وشباب أسرتها، من أخوتها وأبناء أخوتها، وأبناء عمومتها وأبنائها، ثم تحتفظ بكامل السيطرة على أعصابها وعواطفها، لتقول كلمة لا يقولها الإنسان إلاّ في حالة التأنّي والثّبات والاطمئنان، وهي قولها:

«اللهمّ تقبّل منا هذا القليل من القربان»[1].

وأكثر من ذلك فهي تصبّر ابن أخيها الإمام زين العابدين، حينما رأته مضطرباً، بالغ التأثّر، عند مروره على جثث القتلى ـ كما مرّ علينا سابقاً.

---

(١) النقدي: جعفر/ زينب الكبرى ص٧٥ مصدر سابق.

أمّا القتل فإنّ الحسين قتل ومضى شهيداً إلى روح وريحان، وجنّة ورضوان، وكانت زينب في كل لحظة من لحظاتها تقتل قتلاً معنوياً، بين أولئك الظالمين، وتذري دماء القلب من جفونها القريحة[1].

وأيّ مستوى من الصبر عند السيدة زينب، حينما تصف ما رأته من مصائب، بأنّه شيء جميل: «والله ما رأيت إلاّ جميلاً» رداً على سؤال ابن زياد لها: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟!.

(١) المصدر السابق ص٩٧.

عفّة ومهابة

عفّة المرأة لا تعني الانكفاء والانطواء، ولا تعني الجمود والإحجام عن تحمّل المسؤولية، وممارسة الدور الاجتماعي، وقد رأينا السيدة زينب وهي تمارس دورها الاجتماعي في أعلى المستويات.

لكن العفّة تعني عدم الابتذال، وتعني حفاظ المرأة على رزانتها وجدّية شخصيتها أمام الآخرين.

فإذا استلزم الأمر أن تخرج المرأة إلى ساحة المعركة، فلا تتردّد في ذلك، وإذا كانت هناك مصلحة في التخاطب مع الرجال، فلا مانع، وهكذا في سائر المجالات النافعة والمفيدة.

أما الابتذال، واستعراض القوام والمفاتن أمام الرجال، فهو مناف للعفّة والحشمة.

وبعد أن استقرأنا دور السيدة زينب، ومواقفها العلمية والسياسية والاجتماعية، فلنتأمل الآن ما يقوله أحد المعاصرين لها، والمجاورين لمنزلها برهة من الزمن، ليتّضح لنا معنى العفّة والاحتشام عند السيدة زينب.

حدّث يحيى المازني قال: كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة، مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً[1].

(١) المصدر السابق ص/٢٢.

زهد وعطاء

كانت زينب تعيش في كنف زوجها عبدالله بن جعفر في المدينة، وهو رجل موسر غني، وباذل كريم ـ كما سبق الحديث عنه ـ لكن حياة الراحة والرفاه، حيث البيت الواسع، والخدم والحشم، والمال والثروة، لم تتمكّن من قلب السيدة زينب، فتخلّت عن كلّ تلك الأجواء المريحة، واختارت السفر مع أخيها الحسين، حيث المصاعب والمشاق، والآلام المتوقعة، لم يكن قلب زينب متعلقاً بشيء من متاع الدنيا، بل كانت نفسها منشدّة إلى آفاق السّموّ والرفعة.

ورُوي عن الإمام زين العابدين أنّه قال عنها: «أنّها ما ادّخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً»[1].

ونُقل عنها: أنّها كانت أثناء سفر الأسر إلى الشام، تتنازل في غالب الأيّام عن حصّتها من الطعام، لصالح الأطفال الجائعين، والجائعات من الأسارى، وتطوي يومها جائعة، حتى أنّ الجوع كان يقعد بها عن التمكّن من أداء صلاة الليل قياماً، فتؤدّيها وهي جالسة[2].

وقد مرّ علينا سابقاً أنّها حينما رجعت إلى المدينة، مع قافلة السبايا، نزعت حليّها، وحليّ أختها، لتقدمه هدية للنعمان بن بشير، مكافأة له على حسن صحبته ورفقته.

(١) المصدر السابق ص/٦١.

(٢) المصدر السابق ص/٦٣.

الى الرفيق الأعلى

إذا كان الموت شبحاً مرعباً لكلّ إنسان. وإذا كانت مفارقة الحياة أقسى وأشدّ ما يزعج الإنسان، فإنّ الأمر كان مختلفاً لدى السيدة زينب.. فالموت بالنسبة لها كان يعني لقاء الله، والاقتراب أكثر من رحمته.

والموت عند السيدة زينب، قنطرة ومعبر إلى جنّة الله العريضة الواسعة، ونعيمه السرمدي الخالد.

وكانت ترى في الموت وسيلة نقل سريعة، توصلها إلى رحاب أحبّتها السّابقين، حيث تلقى جدّها النبي، وأمّها الزهراء، وأباها المرتضى، وأخويها العزيزين.

لقد طال فراقها لجدّها المصطفى، وأمّها البتول، فامتلأت نفسها شوقاً إلى لقائهما، لكنّ ستار الحياة يفصل بينها وبينهما، فمتى يماط هذا الستار، ليكتحل ناظرها برؤيتهما؟.

والموت بعد ذلك، أصبح الوسيلة الوحيدة المتاحة للسيدة زينب، للإعلان عن احتجاجها ورفضها وسخطها، على واقع الألم والضّيم والعناء.

لكنّ الأمر بيد الله، فهو وحده يقرّر الآجال، وبيده الموت والحياة.. وحينما قدّر الله (تعالى) لها الرّحيل عن دار الدنيا، استقبلت قضاءه بصدر رحب، فذلك ينسجم مع ما يجري في أعماق نفسها من مشاعر وخلجات.

وأسلمت الروح لله.. ورجعت نفسها المطمئنّة إلى الحقّ، راضية مرضية، لتدخل جنّة الله بسعادة وهناء، ولتلاقي صفوة عباده الأعزّاء، محمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين.

إنّه لا يمكننا تصوير مدى سعادة السيدة زينب، بعروج روحها إلى الملكوت الأعلى.

هل نشبّه تلك اللحظات بوصول المسابق إلى نهاية شوط السباق ناجحاً منتصراً؟ فهو وإن

كان حين الوصول في غاية التعب والمشقّة، لما بذله من جهد، لكنه فور وصوله سينقلب إلى حالة أخرى، هي ذروة السعادة ومنتهى الراحة.

نعم.. لقد أكملت السيدة زينب امتحانها بنجاح، وقطعت شوط الحياة الصّعب باخلاص ويقين، وطوت ستّة عقود من سنّي الدنيا في جهاد رسالي متواصل.

واختلف المؤرّخون في تحديد سنة وفاتها، والأرجح عند كثير من الباحثين، أنّها توفيت سنة (٦٢هـ) الموافق (٦٨٣م)[١] بينما ذهب آخرون إلى أن وفاتها سنة ٦٥هـ.

ويتّفق المؤرّخون على أنّ وفاتها كانت في الخامس عشر من شهر رجب[٢].

وهكذا انتقلت العقيلة زينب إلى الرفيق الأعلى.. وبقي ذكرها خالداً ينير للبشرية طريق الكرامة والمجد.

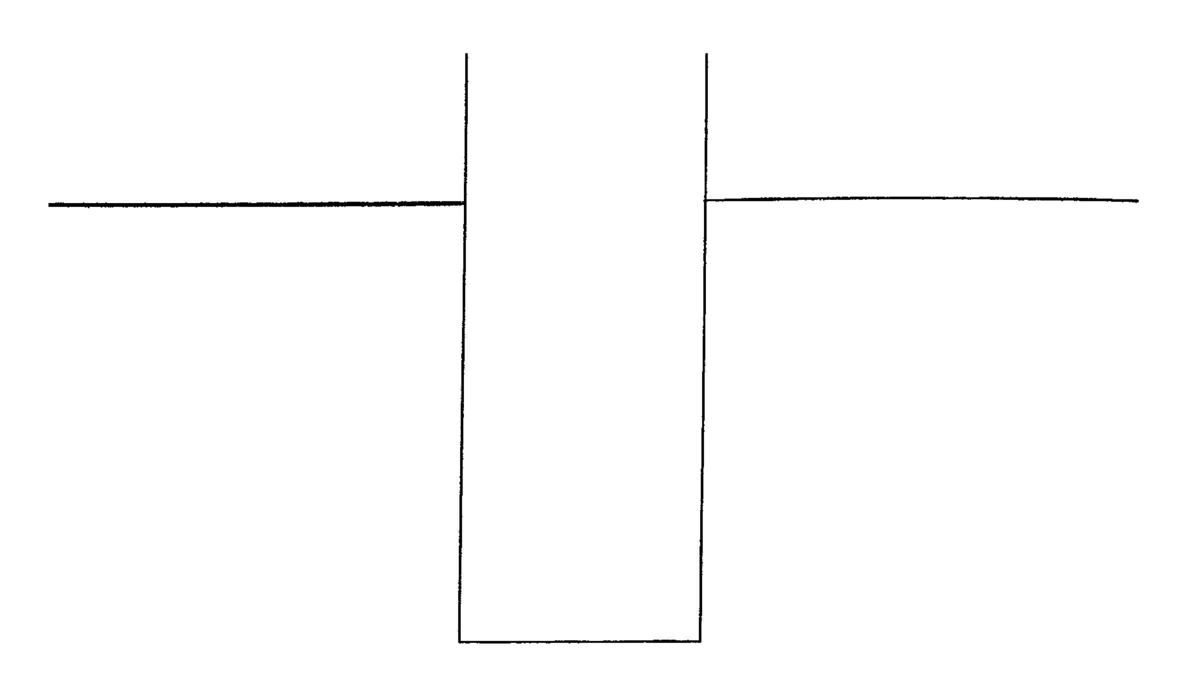
---

(١) النقدي: جعفر/ **زينب الكبرى** ص١٢٢ مصدر سابق.

ـ بنت الشاطيء: عائشة عبدالرحمن/ **السيدة زينب** ص١٥٥ مصدر سابق.

ـ مغنية: محمد جواد/ **مع بطلة كربلاء** ص٩٠ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق.



مقامـــات شامخة

من إشراقات عظمة السيدة زينب، أن تتنافس البقاع والبلدان على ادّعاء شرف احتضان مرقدها ومثواها. ففي أكثر من بلد تقام الأضرحة، وتشمخ القباب والمنائر، بإسم السيدة زينب.

لقد اختلف المؤرخون في مكان وفاة السيدة زينب ومحلّ قبرها، وشاء الله (تعالى) أن يكون ذلك سبباً لإظهار عظمتها، وإبراز شأنها ومجدها.

ونتحدّث في السّطور التّالية عن أبرز المقامات المشادة باسم السيدة زينب عليها السلام.

في دمشق الشام

تشير بعض الروايات: إلى أنّ عبدالله بن جعفر، رحل عن المدينة، وانتقل مع السيدة زينب زوجته، إلى ضيعة كان يمتلكها قرب دمشق، في قرية يقال لها «راوية»، وقد توفيت السيدة زينب في هذه القرية، ودفنت في المرقد المعروف باسمها.

وتختلف الروايات في سبب هجرة عبدالله بن جعفر إلى هذه القرية، وفي تاريخ تلك الهجرة، ووفاة السيدة زينب، لكنّ العديد من المؤلّفين ذكروا: أن ذلك بسبب مجاعة حصلت في المدينة، وإنّ ذلك كان في سنة (٦٥هـ) وبعضهم قال إنّ ذلك في سنة (٦٢هـ).

يقول العلامة الشيخ فرج العمران ـ خلال بحث له عن الموضوع ـ : فالأرجح عندي أنّها عليها السلام توفيت في الشام، في النصف من شهر رجب، من العام الخامس والستين من الهجرة، وهو عام المجاعة، وذلك بمحضر زوجها الجواد عبدالله بن جعفر، ودفنت في إحدى قراه المعروفة براوية، من غوطة دمشق، المشتهرة الآن بقرية الست[1].

(١) العمران: الشيخ فرج/ **وفاة زينب الكبرى** ص٦٥ مكتبة الألفين ـ الكويت ١٩٨٦م.

ويقع مقام السيدة زينب في الجهة الشرقية الجنوبية، على بعد سبعة كيلومترات من دمشق، وقد أصبحت المنطقة تعرف كلّها باسم «السيدة زينب».

وتبلغ مساحة المقام وملحقاته حوالي الـ(١٥٠٠٠متر مربع)، ويتّسع لخمسة آلاف شخص.

وقد زار هذا المشهد الرحّالة الشهير ابن جبير، المتوفى سنة (٦١٤هـ)، وقال عنه في رحلته المعروفة، عند ذكر المزارات الشّامية: «ومن مشاهد أهل البيت، مشهد أمّ كلثوم بنت علي، ويقال لها زينب الصغرى، وأمّ كلثوم كنية أوقعها عليها النبي لشبهها بابنته أمّ كلثوم، ومشهدها الكريم قبلي البلد يعرف براوية، على مقدار فرسخ، وعليه مسجد كبير، وخارجه أوقاف وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الستّ، ومشينا إليه، وبتنا به، وتبرّكنا برؤيته[1].

كما زار هذا المشهد، الرحّالة ابن بطوطة، المتوفى (٧٧٠هـ)، وقال عند ذكر مزارات دمشق: بقرية القبلي، وعلى فرسخ منها، مشهد أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة، ويقال أنّ اسمها زينب، وكنّاها رسول الله لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله، وعليه مسجد كبير، وله مساكن، وله أوقاف، ويسمّيه أهل دمشق قبر الستّ أمّ كلثوم[2].

وذكر هذا المشهد الباحث الدمشقي عثمان بن أحمد السويدي الحوراني، المتوفى سنة (٩٧٠هـ ـ أو١٠٠٣هـ) في كتابه: **(الإشارات إلى أماكن الزيارات)** قال: ومنها قرية يقال لها «راوية» بها السيدة زينب، أمّ كلثوم ابنة علي بن أبي طالب، توفّيت بغوطة دمشق، عقيب محنة أخيها الحسين، ودفنت في هذه القرية، ثم سمّيت القرية باسمها، وهي الآن معروفة بـ«قبر الست»[3].

وقال العلامة السيد محسن الأمين العاملي: يوجد في قرية تسمّى «راوية» على نحو فرسخ من دمشق، إلى جهة الشرق قبر ومشهد يسمّى «قبر الست»، ووجد على هذا القبر صخرة رأيتها وقرأتها، كتب عليها: هذا قبر السيدة زينب المكنّاة بأمّ كلثوم، بنت سيّدنا علي (رضي الله عنه) وليس فيها تاريخ، وصورة خطّها تدلّ على أنّها كتبت بعد الستمائة من الهجرة»[4].

وإن كان السيد الأمين يرجّح أنّ القبر لزينب الصغرى أخت السيدة زينب الكبرى.

وورد أنّ السيدة نفيسة صاحبة المقام المعروف في القاهرة، بنت حسن الأنور، بن زيد

---

(١) السابقي: محمد حسنين/ **مرقد العقيلة** زينب ص١٠٩ الطبعة الأولى ١٩٧٩م مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٢) المصدر السابق ص/١١٠.

(٣) المصدر السابق، نقلاً عن (الإشارات) (ص١٨) طبع دمشق: (١٣٠٢هـ).

(٤) الأمين: السيد محسن/ **أعيان الشيعة** ج٧ ص١٣٦ مصدر سابق.

الأبلج، بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد زارت هذا المشهد في قرية «راوية» سنة ١٩٣هـ[١].

وقرب سنة (٥٠٠هـ) شيّد رجل قرقوبي من أهل حلب، بمشهدها جامعاً كبيراً من أشهر جوامع دمشق[٢].

وزار هذا المشهد الرحّالة أبو بكر الهروي، المتوفّى (٦١١هـ) وذكره في كتابه المعروف بـ**(الإشارات إلى معرفة الزيارات)**[٣].

وفي سنة (٧٦٨هـ) أوقف على هذا المشهد ـ باعتباره مرقداً للسيدة زينب الكبرى ـ نقيب الأشراف، السيد حسين الموسوي، من كبار أعلام دمشق في زمانه، جميع ما كان يملكه من البساتين والأراضي، وكتب صكاً طويلاً، عليه شهادات سبعة من قضاة دمشق الكبار في زمانهم، ونسخة هذا الصك محفوظة عند سدنة المقام، ومذكور نصّه في بعض المؤلّفات[٤].

وقد جدّد السيد حسين الموسوي عمارة هذا المشهد سنة (٧٦٨هـ)، وفي سنة (١٣٠٢هـ) جدّد القبّة الكريمة السلطان عبدالعزيز خان العثماني، بإعانة التجار والأثرياء. وفي سنة (١٣٥٤هـ) أنشأ سادة آل نظام غرفاً كثيرة حول المقام، لإراحة الزائرين، وجدّدوا المدخل الشريف بنفقتهم.

وفي سنة (١٣٧٠هـ) شكّل الإمام السيد محسن الأمين العاملي، لجنة من خيار التجار وأهل الثروة، لتعمير الحرم والصّحن والأروقة برئاسته (رحمه الله)[٥].

وكان للحاج محمد مهدي البهبهاني (رحمه الله) دور أساسي في هذه العمارة والتجديد.

وفي سنة (١٣٧٠هـ) أهدى التّاجر الباكستاني محمد علي حبيب، مؤسّس المصرف المعروف باسمه «حبيب بنك» أهدى قفصاً ثميناً ، وزنه اثنا عشر طناً، لينصب على قبرها، لأنّ الله قد شفا ولده الوحيد من الشّلل، بعد أن عجز عنه الأطبّاء ببركة السيدة زينب، وقد نصب هذا القفص الفضيّ المذهّب، المحلّى بالجواهر الكريمة النّادرة، في احتفال رسمي وشعبي.

وأرّخه الخطيب الشيخ علي البازي النّجفي بقوله:

---

(١) السابقي/ محمد حسنين/ مرقد العقيلة زينب ص١٤١ مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق (ص١٤٥).

(٥) المصدر السابق (ص٢٢٧).

هـذا ضـريـح زيـنـب قـف عـنـده واسـتـغـفـر الـلـه لـكـلّ مـذنـب
تـرى الملا طـراً وأمـلاك الـسـمـا أرخ «وقـوفـاً فـي ضـريـح زيـنـب»
(١٣٧٠ هـ)[1]

وفي سنة (١٣٧٣هـ) أهدى جماعة من التجّار الإيرانيين صندوقاً ثميناً من أروع أمثلة الصناعة الإيرانية المعروفة، ومن صنع الفنان الإيراني الحاج محمد سميع، والذي بقي في صنع هذا الصندوق ثلاثين شهراً، وقدّر ثمنه بماءتي ألف ليرة سورية آنذاك، وعليه غطاء من البلّور، أحضرته بعثة إيرانية، برئاسة ضابط إيراني كبير، وأقيم يوم وصوله ونصبه على قبر السيدة زينب، احتفال مهيب، ترأسه السيد صبري العسلي رئيس وزارة سوريا.

وأرّخه الشاعر النجفي السيد محمد الحلي بقوله:

صـنـدوق زيـنـب قـد بـدت لـلـفـنّ فـيـه عـلائـم
صـنـعـتـه أيـدي المخـلـصـين فـحـار فـيـه الـعـالم
حـيـث احـتـوى جـثـمـانـهـا أرّخـت راق الخاتم
(١٣٧٣هـ)[2].

وأهدى بعض تجار إيران سنة (١٣٨٠هـ) لمشهدها باباً ذهبياً رائعاً[3].

وللمقام مئذنتان شامختان بارتفاع (٥٤ متراً).

وفي عام (١٣٨٠هـ) أهدي للحرم باب ذهبي للمدخل الغربي، وبابان مذهّبان بالميناء للمدخل الشمالي والقبلي، كما تمّ في هذا العام (١٤١٣هـ) اكساء قبّة المقام من الخارج بالذهب.

---

(١) شبّر: جواد/ **أدب الطف** ج١ ص٢٥١ مصدر سابق.

(٢) السابقي: محمد حسنين/ **مرقد العقيلة** زينب ص٢٣١ مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق.

المشهد الزينبي في القاهرة

بناءً على الرواية التي تقول: بأنّ السيدة زينب حينما غادرت المدينة المنورة، بضغط من والي المدينة الأموي، عمرو بن سعيد الأشدق، فإنّها توجّهت إلى مصر، واستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد، وأنزلها داره بالحمراء في القاهرة، وبعد احدى عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، توفيت في (١٥ رجب سنة/٦٢هـ)، وصلّى عليها الوالي مسلمة بن مخلد، ودفنها بمخدعها من الدار حسب وصيتها[١].

وعلى هذا يقع ضريح السيدة زينب في الجهة البحرية من دار مسلمة بن مخلد الأنصاري، وبمرور السنين والعهود على هذه الدار، اندثر جزء كبير منها، إلاّ ما كان من الضريح الطّاهر، فإنّه كان معظماً مقصوداً بالزيارة، وموضع تبجيل واحترام الخاصّة والعامّة من الناس، الذين كانوا يتعاهدونه بالتعمير والاصلاح، ويتناوب على خدمة هذا المشهد، أناس انقطعوا لهذا العمل، ويصرف عليهم من وجوه الخير، ومن ريع الأعيان والممتلكات، التي أوقفت على هذا الضّريح الطاهر.

وفي زمن دولة أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٩٣هـ) (٨٦٨ - ٩٠٥م) أُجري على هذا المشهد الطاهر ما أُجري على المشاهد الأخرى، من عمارة وترميم.

فلما جاءت الدولة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٧هـ) (٩٦٩ - ١١٧١م) كان أول من بنى عمارة جليلة عظيمة، على هذا المشهد، من خلفاء الفاطميين، أبو تميم معد نزار بن المعز، وذلك في سنة (٣٦٩هـ).

وقد ذكر الرحّالة الأديب، أبو عبدالله الكوهيني الفاسي الأندلسي، أنّه دخل القاهرة في

(١) العبيدلي: يحيى بن الحسن/ أخبار الزينبات/ مجلة الموسم - العدد الرابع - المجلد الأول ص١١٤٢ مصدر سابق.

(١٤ ـ محرم ـ ٣٦٩هـ) وأنّه دخل مشهد السيدة زينب بنت علي، فوجده داخل دار كبيرة، وهو في طرفها البحري، يشرف على الخليج، قال: وعاينّا الضّريح، وشممنا منه رائحة طيّبة، ورأينا بأعلاه قبّة من الجصّ، وفي صدر الحجرة ثلاثة محاريب، وعلى كل ذلك نقوش في غاية الأتقان، وعلى باب الحجرة مكتوب:

«هذا ما أمر به عبدالله ووليه أبو تميم أمير المؤمنين.. أمر بعمارة هذا المشهد، على مقام السيدة الطاهرة بنت البتول، زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله تعالى عليها وعلى آبائها الطاهرين وأبنائها المكرّمين».

وفي أيام الحاكم بأمر الله، أوقف على المشهد الزينبي عدّة ضياع وأسواق ومحال تجارية، ليصرف ريعها على خدمات المشهد.

وفي القرن السادس الهجري، أيّام الملك سيف الدين أبي بكر بن أيوب، أجرى الشريف فخر الدين ثعلب الجعفري، أمير القاهرة، ونقيب الأشراف الزينبيين بها، عمارة واصلاحاً على هذا المشهد.

واهتمّ الأمير علي باشا الوزير، والي مصر من قبل السلطان سليمان خان، بن السلطان سليم الفاتح، بتعمير المشهد وتشييده، وجعل له مسجداً يتّصل به، وذلك في سنة (٩٥٦هـ).

وفي سنة (١١٧٤هـ) أعاد الأمير عبدالرحمن كتخدا القازدوغلي، بناء المسجد وتشييد أركانه، وأنشأ به ساقية، وحوضاً للطهارة والوضوء، وبنى مقام السيد محمد العتريس، المتوفّى أواخر القرن السابع، والذي كان ملازماً لخدمة المشهد الزينبي.

وفي سنة (١٢١٠هـ) جدّدت المقصورة الشريفة، التي تحيط بالتابوت الطاهر المقام فوق القبر، وصنعت من النحاس الأصفر، ووضع فوق بابها لوحة نحاسية كتب عليها:

«يا سيدة زينب يا بنت فاطمة الزهراء مددكِ ١٢١٠هـ». وما زالت اللوحة على الضّريح الشريف حتى اليوم.

وحدث في سنة (١٢١٢هـ) أن تصدّعت جدران المسجد، فانتدبت حكومة المماليك، عثمان بك المرادي، لتجديده وإعادة بنائه، إلاّ أنّ العمل توقف بسبب الحملة الفرنسية على مصر، وبعدها استؤنف العمل، إلاّ أنّه لم يتمّ، فأكمله بعد ذلك يوسف باشا الوزير، سنة (١٢١٦هـ) وأرّخ ذلك بأبيات من الشعر، خطّت على لوح من الرّخام نصّها:

نور بنت النبي زينب يعلو ... مسجداً فيه قبرها والمزار
قد بناه الوزير صدر المعالي ... يوسف وهو للعلى مختار
زاد اجلاله كما قلت وأرّخ ... مسجد مشرق به أنوار

وبعد ذلك أصبح هذا المشهد محلّ رعاية حكام مصر، من أسرة محمد علي، ففي سنة (١٢٧٠هـ) شرع الخديوي عباس باشا الأول، في إصلاحه ووضع حجر الأساس، ولكن الموت عاجله، فقام الخديوي محمد سعيد باشا في سنة (١٢٧٦هـ) بإتمام ما بدأه سلفه، وكتب على باب المقام الزينبي هذا البيت من الشعر:

يا زائريها قفوا بالباب وابتهلوا بنت الرسول لهذا القطر مصباح

وفي سنة (١٢٩١هـ) أمر الخديوي إسماعيل بتحديد الباب المقابل لباب القبّة، وجعله من الرخام.. وفي هذه المناسبة قال السيد علي أبو النصر، مؤرّخاً تجديد هذا الباب:

مقام به بنت الإمام كأنّما هو الروضة الفيحاء باليمن مونقه
على بابها لاح القبول لزائر ونور الهدى أهدى سناه وورنقه
بأمر الخديوي جدّدته يد العلا فكانت بأسباب الرضا متوثقه
وفي حلية التجديد قلت مؤرّخاً شموس الحلى في باب زينب مشرقة

(١٢٩٤ هـ)

وفي نفس العام (١٢٩٤هـ) جدّد الباب المقابل لباب الضريح على الهيئة الموجودة الآن.

أما المسجد القائم حالياً فقد تمّ انشاؤه على مراحل ثلاث. فبني الجزء الأول منه، وهو المطلّ على الميدان المعروف باسم ميدان السيدة زينب، في عهد الخديوي توفيق سنة (١٣٠٢هـ)، وكتب على أبواب القبّة الشريفة التي تضمّ الضريح أبياتاً من الشعر:

قف توسّل بباب بنت علي بخضوع وسل إله السماء
تحظ بالعزّ والقبول وأرّخ باب أخت الحسين باب العلاء

* * *

رفعوا لزينب بنت طه قبة علياء محكمة البناء مشيدة
نور القبول يقول في تاريخها باب الرضا والعدل باب السيدة

* * *

باب لبنت المصطفى صفوته يدخل من يشاء في رحمته
كماله بزينب أرّخه توفيق باني العزّ في دولته

وظلّ المسجد على تلك الحال حتى تمّت توسعته من الجهة القبلية بمساحة (١٥٠٠متر مربع) تقريباً، في عهد الملك فاروق الأول، وافتتح للصلاة في يوم الجمعة (١٩ ـ ذي الحجة ـ ١٣٦٠هـ = ١٩٤٢م).

ولمّا رأت حكومة الرئيس جمال عبد الناصر زيادة اقبال الناس على هذا المسجد، حتى ضاق

عن أن يتّسع للآلاف منهم، خاصة في أيام الجمع والأعياد، أمرت بإجراء توسعة عظيمة، بلغت حوالي (٢٥٠٠) متر مربع من الجهة القبلية.. وبذلك اتّصل المسجد الزينبي بمسجد الزعفراني المجاور له، كما أقيمت به دورة مياه كبيرة للطهارة والوضوء، ومكتبة ضخمة تضمّ عشرات الآلاف من المجلّدات، وألحق بها قاعة فسيحة للمطالعة، واكتملت هذه التّوسعة سنة (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م)، فأصبحت مساحة المشهد الزينبي وملحقاته تزيد على (٧٠٠٠ آلاف مترٍ مربعٍ).

أما المئذنة التي تعتبر فريدة في نوعها لما تتحلّى به من نقوش وزخارف عربية جميلة فإنّ ارتفاعها يقرب من (٤٥ متراً)[1].

---

(١) الشلبي: علي أحمد رئيس مجلس إدار المسجد الزينبي بالقاهرة/ ضريح ومسجد السيدة زينب في مصر/ الموسم ـ مجلة فصلية العدد الرابع ص٨٦٥ ـ ٨٨٠/ المجلد الأول/ مصدر سابق.

في سنجار شمال العراق

سنجار مدينة معروفة في شمال العراق، تقع جنوب نصيبين، عن يمين الطريق إلى الموصل، اشتهرت بكونها مدينة الطرق والقوافل منذ القديم، لأنّها سيطرت على الطريق بين العراق وسورية، وتقع فيها جبال سنجار، التي يبلغ ارتفاعها نحو (٤٨٠٠قدم).

واشتهر في سنجار الكثير من المراقد والأضرحة المنسوبة لآل البيت، والتي عمّرها الفاطميون والبويهيون والحمدانيون والعقيليون.

وتخضع هذه المقامات الآن لنفوذ اليزيديين، وهؤلاء لهم ديانة معروفة خاصّة بهم، لكنهم يعظّمون ويحترمون هذه المقامات وأصحابها.

ومن تلك المشاهد المرقد المنسوب للسيدة زينب الكبرى بنت علي، على أساس أنّها توفيت في هذه المنطقة، عند مرور السبايا بعد واقعة الطف.

ويقع الضريح المنسوب للسيدة زينب، على ربوة عالية، في مدخل المدينة. وهو فناء واسع، وفيه غرفة مستطيلة الشكل، في وسطها القبر المشيد من الحجر والجصّ، وفي الغرفة محراب صغير، وتغطّيها قبة مظهرها الخارجي مضلّع مخروطي الشكل.

وتدلّ الكلمات المنقوشة على مدخل الرواق، إلى يسار غرفة القبر، على أنّ هذا البناء من قبل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ، أيّام ملكه لبلاد سنجر ٦٣٧ ـ ٦٥٨هـ، ١٢٣٩ ـ ١٢٥٩م)، وتاريخ البناء الأصلي هو سنة (٦٤٤هـ).

وعند زحف التّتار واستيلائهم على سنجار، سنة (٦٦٠هـ) أصابه الخراب، لكنّه جدّد فيما بعد، ومن قبل نائب التّتر، وهو من العجم، يقال له قوام الدين محمد اليزدي.

وجدّد مرة أخرى، كما يتّضح من نصٍ مكتوب على لوحة رخامية، موجودة على جدار

غرفة الضّريح، من خارج البناء، تقول: «جدّد مزار الستّ زينب بنت علي العبد الفقير سيدي باشا بن خداد.. ثمان عشر شهر ربيع الآخر سنة ١١٠٥هـ».

وتعلو المشهد قبّتان إحداهما نصف كروية، تغطّي غرفة من غرف الضّريح المتعدّدة، والقبّة محارية الشكل. أمّا القبّة الثانية، فهي قبة غرفة الضريح، وتبدو من الخارج مضلّعة مخروطية الشّكل.

وفي المشهد عدّة محاريب تعلوها كتابات لآيات قرآنية[1].

(١) شميساني: الدكتور حسن كامل/ مرقد السيدة زينب في سنجار (شمال العراق) الموسم ـ مجلة/ العدد الرابع ص٩٢٤ المجلد الأول/ مصدر سابق.

شيء من التّحقيق

لقد بذل العديد من العلماء والباحثين جهودهم، وخاضوا غمار البحث والتّحقيق، لمحاكمة الروايات والنّقول التّاريخية، حول قبر السيدة زينب الكبرى.

وإذا كان المقام المنسوب لها في سنجار شمال العراق، لا تسنده رواية تاريخية، فيما يتوفّر من مصادر، إلاّ ما يتداول ويتوارث على ألسنة أهالي تلك المنطقة، فإنّ الآراء التي ناقشها العلماء والباحثون، تنحصر في ثلاثة احتمالات:

١ ـ المدينة المنورة.

٢ ـ مصر.

٣ ـ دمشق.

أولاً ـ المدينة المنورة:

دافع العلاّمة السيد محسن الأمين العاملي عن هذا الرأي، باعتبار أنّ المدينة هي موطن السيدة زينب، وأنّ من الثابت عودتها إلى المدينة، بعد واقعة كربلاء، فاستصحاباً نحكم بأنّ وفاتها وقبرها في المدينة المنورة ما لم يثبت العكس، وقال ما نصّه:

يجب أن يكون قبرها في المدينة المنورة، فإنه لم يثبت أنّها بعد رجوعها للمدينة خرجت منها، وإن كان تاريخ وفاتها ومحلّ قبرها بالمدينة مجهولين، ويجب أن يكون قبرها بالبقيع، وكم من أهل البيت أمثالها من جهل محلّ قبره، وتاريخ وفاته، خصوصاً النساء[1].

وناقش هذا القول البحّاثة الشيخ محمد حسنين السابقي بما يلي: نحن لا ننكر أن يكون

(١) الأمين: السد محسن/ **أعيان الشيعة** ج٧ ص١٤٠ مصدر سابق.

مدفنها الطاهر في البقيع، في المدينة المنورة، إذ هي وطنها الكريم، وبها قبور أخوتها، وشيوخ قومها، وجدّها وأمّها، ولكن بشرط أن يقوم عليه دليل قاطع، أو نصّ تاريخيّ. لأنّ قبور البقيع ذكرها المؤرّخون قديماً وحديثاً، يذكرها ابن النجار في (تاريخه)، والسمهودي في تاريخه الحافل (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) في باب مخصوص لذكر مزارات أهل البيت والصحابة، ولا نجد فيها قبر العقيلة زينب، لا في القبور المعمورة ولا المطموسة.

ولكان لمرقدها ذكر ولو في القرون الأولى، كما بقي لمن دونها في الرتبة من بني هاشم، بل ولمن يمتّ إليهم بالولاء أيضاً.

على أنّ الذين ذهبوا إلى هذا القول، إنما مستندهم الاستصحاب الأصولي، وهو أنّه ثبت أنّ العقيلة زينب دخلت المدينة بعد محنة أخيها، ورجوعها من الشام، وكانت بالمدينة في قيدالحياة، ثم شككنا هل ماتت في الشام أم لا؟ فالاستصحاب يقول: الأصل عدم موتها بالشام بل بالمدينة، حتى يحصل لنا شيء يزيل هذا الشكّ، ويثبت لنا باليقين أنّها ماتت بالشام.

وهذا الدليل لا غبار عليه في نفسه ولكن لا يستدلّ بمثله في القضايا التاريخية، ولو قلنا به فثبت ما أزال هذا الشكّ بما رواه ابن طولون الدمشقي من ذهابها إلى الشام وموتها بها وعليه أكثر الفقهاء المجتهدين الأصوليين[١].

وفي نفس السياق يقول العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: «إن الأخذ بالاستصحاب هنا لا يعتمد على أساس. لأن موضوع الاستصحاب أن نعلم بوجود الشيء، ثم نشك في ارتفاعه. بحيث يكون المعلوم هو المشكوك بالذات، كما لو فرض أن علمنا بدفن الجثمان الشريف في المدينة قطعاً. ثم شككنا: هل نقل إلى بلد آخر، أو بقي حيث كان؟ فنستصحب، ونبقى ما كان على ما كان، لاتحاد الموضوع، أما إذا علمنا بدخولها إلى المدينة، ثم شككنا في محل قبرها، فلا يمكن الاستصحاب بحال. لأن الدخول إلى المدينة شيء والقبر شيء آخر.. واثبات اللازم باستصحاب الملزوم باطل. كما تقرر في علم الأصول.

ثم لو كان قبرها في المدينة لعرف واشتهر. وكان مزاراً للمؤمنين كغيره من قبور الصالحات والصالحين»[٢].

---

(١) السابقي: محمد حسنين/ **مرقد العقيلة زينب** ص١٠٢ مصدر سابق.

(٢) مغنية: محمد جواد/ **مع بطلة كربلاء** ص٩٠ مصدر سابق.

ثانياً: بين القاهرة ودمشق

وإذا لم يكن هناك أثر نقلي يتحدّث عن قبر للسيدة زينب الكبرى في المدينة المنورة، ولا يوجد مقام ظاهر ينسب لها هناك، فإنّ الأمر ليس كذلك فيما يرتبط بمصر والشام، حيث توجد روايات ونصوص تاريخية، يستدلّ بها أنصار كلّ من الرأيين، كما يتعالى في سماء القاهرة ودمشق مقامان شامخان، ينسبان للسيدة زينب، وتؤمّهما جماهير المؤمنين، ويقصدهما الزائرون.

لكنّ المطالعة الدقيقة، والبحث الموضوعي، في أدلّة الطرفين، يرجّح كفّة الاطمئنان، إلى أنّ مشهد الراوية في دمشق هو الأقرب إلى الصحّة والواقع.

وذلك لتظافر الأدلّة في كتب المؤرخين والرحّالة والسّائحين منذ القرون السّابقة وإلى الآن.

ولضعف مستند القائلين بسفر السيدة زينب الكبرى إلى مصر، وموتها فيها، وللاحتمال الكبير في أن يكون المقام في مصر لزينب أخرى من أهل البيت.

وقد أفرد بعض العلماء كتباً ورسائل لتحقيق هذا الموضوع، ومن أبرزهم العلامة المرحوم الشيخ فرج العمران القطيفي (١٣٢١هـ - ١٣٩٨هـ) والذي ألّف رسالة تحت عنوان (المرقد الزينبي) سنة (١٣٧٧هـ) وطبعها في النجف الأشرف (العراق) وكانت نتيجة البحث التي انتهى إليها في رسالته، هو ترجيح المقام الزينبي في دمشق، وأنّه للسيدة زينب الكبرى.

والبحث الآخر والأعمق هو للبحّاثة الباكستاني الشيخ محمد حسنين السّابقي، ويقع في أكثر من (٢٤٠صفحة) وقد طبع في بيروت سنة (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).

ونقتبس منه الفقرات التالية بشيء من التصرّف والاختصار: إنّ رحلة السيدة العقيلة إلى مصر، وإقامتها هناك، وتلبيتها لداعي حماها، وحديث مدفنها بها قضية من أهمّ القضايا التي لا يفوت ذكرها كلّ مؤرخ يقظان.

ولا أقلّ من أن يذكره المؤرّخون الذين نشأوا في مصر ولكنهم بأجمعهم لم يشيروا إليه أدنى إشارة.

وتتجلّى هذه الحقيقة بعدما نرى اهتمام المصريين باحاطة الأخبار وضبط الحوادث المتعلّقة ببلادهم.

فأوّل مدوّن لتاريخ مصر في الإسلام، هو عبدالرحمن بن عبدالحكم المصري المتوفّى (٢٥٧هـ) له في تاريخ مصر كتاب حافل، سمّاه «منهج السالك في أخبار مصر والقرى والممالك» ذكر فيه تراجم كثير من الصحابة ممّن دخل مصر.

وتبعه أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي المتوفّى (٣٥٤هـ) وله عدة تأليفات في تاريخ مصر.

ثم برع في تدوين أخبار مصر، والإحاطة بحوادثها، أبو محمد حسن بن إبراهيم ابن ذولاق الليثي المصري، المتوفى (٣٨٧هـ).

ثم تلاه في هذا الموضوع عزّ الملك محمد بن عبدالله بن أحمد الحراني المسبحي المتوفّى سنة (٤٢٠هـ).

ثم المؤرّخ المتتبّع القاضي أبو عبدالله محمد بن سلامة القضاعي الشّافعي المتوفّى (٤٥٣هـ) ولم يقصر همّه على ضبط الحوادث التاريخية فقط، بل ألّف في المزارات المقصودة للزيارة والتبرك، التي تشدّ إليها الرحال، وله في هذا الموضوع كتاب (أُنس الزائرين) ترجم فيه للسيدة نفيسة، وعيّن مدفنها، وليس فيه لقبر زينب الكبرى عين ولا أثر.

ثم اعطف إلى المقريزي والسيوطي والقلقشندي وغيرهم، لم نجد أحداً من هؤلاء أنّه ذكر دخول السيدة زينب الكبرى في مصر ومدفنها بها.

على أنّ هناك جماعة من مؤرّخي مصر، ممّن أفرد تأليفه في تحقيق المزارات والقبور والمساجد، كابن يونس والهتناني والقرشي صاحب (**المزارات المصرية**)، وابن سعد النسّابة صاحب (**مزارات الأشراف**)، وابن عطايا والحموي، الذي ذكر جملة من مزرات مصر، وموفق الدين صاحب (**مرشد الزوّار**)، ترى هؤلاء الإعلام يترجمون أصحاب القبور، ويميزون بين المزارات الصحيحة والمزورة، من العلويين وغيرهم في مصر.

ولمْ يذكر أحد من هؤلاء أنّ العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين مدفونة في مصر[١].

إنّ كبار المؤرّخين المطّلعين على تاريخ مصر بدقّة وتحقيق، لم يصحّ لديهم دخول أيّ ولد لأمير المؤمنين لصلبه في مصر.

قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى (٥٧٦هـ): ـ لم يمت له ـ أي لعلي ـ ولد لصلبه في مصر.

وقال الحافظ المؤرخ أبو محمد حسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي المصري المتوفّى (٣٨٧هـ):

أول من دخل مصر من ولد علي سكينة بنت علي بن الحسين.

وبه قال السخاوي.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٩ ـ ٣١).

وفي لفظ آخر للسخاوي: إن المنقول عن السلف: أنّه لم يمت أحد من أولاد علي لصلبه في مصر.

فكيف من المعقول أن تدخل العقيلة زينب مصر، وتقيم هناك زهاء السنة، ثم تقبر على مرأى من المحاشد الجمّة ومسمع، ولا يعرف أمرها أحد من المؤرخين الذين عهدهم قريب بتلك الحادثة المهمّة.

والإمام الشافعي كان يتجاهر بالولاء لأهل البيت، وقد ورد في سيرته أنّه كان يزور السيدة نفيسة، لكن لم يرد أنّه زار السيدة زينب هناك[١].

كما دخل مصر جملة من الرحّالين، كابن جبير وابن بطوطة وابن شاهين، وذكروا ما شاهدوا من القبور المعروفة المقصودة للزيارة في عهدهم، ولكن لا تجد أحداً منهم يذكر قبر السيدة زينب الكبرى في مصر... اللهم إلاّ الرحّالة الكوهيني الفاسي الأندلسي الذي دخل القاهرة في (١٤/محرم/٣٦٩هـ)[٢].

إنّ الاشتباه بوجود قبر العقيلة زينب، نشأ لتعدّد المسمّيات بزينب من العلويات وغيرهم من المدفونات بمصر، والذّهن أسرع تبادراً عند سماع الاسم إلى أشهر الأفراد وأكملها.

ومن المعلوم أنّ عادة العامة والخاصة، جرت أنّهم ينسبون العلويين إلى رسول الله، وأمير المؤمنين بلا واسطة[٣].

والظّاهر أنّ المشهد الزينبي المعروف في القاهرة، هو للسيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٤].

والمصدر الأساس لدعوى هجرة السيدة زينب الكبرى إلى مصر، وموتها ودفنها فيها، رسالة **(أخبار الزينبات)** للنسّابة العبيدلي، وحول هذه الرسالة ومؤلّفها ورواتها وبالخصوص الرواية المتعلّقة بهذا الموضوع، حولها كلام عند أهل التحقيق سنداً ومتناً[٥].

وجدير بالذكر أن المؤرخ ابن زيات الأنصاري (المتوفى عام ٨١٤هـ) ألف كتاباً حول المقابر المشهورة في مصر، باسم **(الكواكب السيارة)** وذكر فيه كل المسميات بزينب المدفونات بمصر،

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢ - ٣٣).

(٢) المصدر السابق (ص٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص٥٤).

(٤) المصدر السابق (ص٥٩).

(٥) المصدر السابق (ص٧٥ - ١٠١).

ولم يذكر من بينهنّ زينب الكبرى بنت علي[1].

بالإضافة إلى ما سبق فإن عدداً كبيراً من العلماء المحققين، والفقهاء المجتهدين، يرجحون أن مثوى السيدة زينب الكبرى هو في الشام حيث مقامها المعروف ومنهم:

الشيخ حسن اليزدي الحائري في كتابه (**أنوار الشهادة**).

الميرزا حسن خان المراغي في كتابه (**الخيرات الحسان**).

السيد جعفر بحر العلوم في كتابه (**تاريخ آداب اللغة العربية**).

السيد حسن الصدر الكاظمي في كتابه (**نزهة أهل الحرمين**).

الشيخ محمد حرز الدين النجفي في كتابه (**معارف الرجال**).

السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (**عقيلة الوحي**).

الشيخ هاشم الخراساني في كتابه (**منتخب التواريخ**).

السيد عبدالجواد كليدار في كتابه (**تاريخ كربلاء**).

السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني في كتابه (**عقائد الإمامية**).

السيد جواد شبر في كتابه (**أدب الطف**).

السيد أحمد الفهري في كتابه (**مراقد أهل البيت في الشام**)[2].

السيد علي آل مكي العاملي في بحثه (**زينب الكبرى من المهد إلى اللحد**)[3].

المرجع الديني المعاصر السيد محمد الحسيني الشيرازي في كتابه (**السيدة زينب عالمة غير معلمة**)[4].

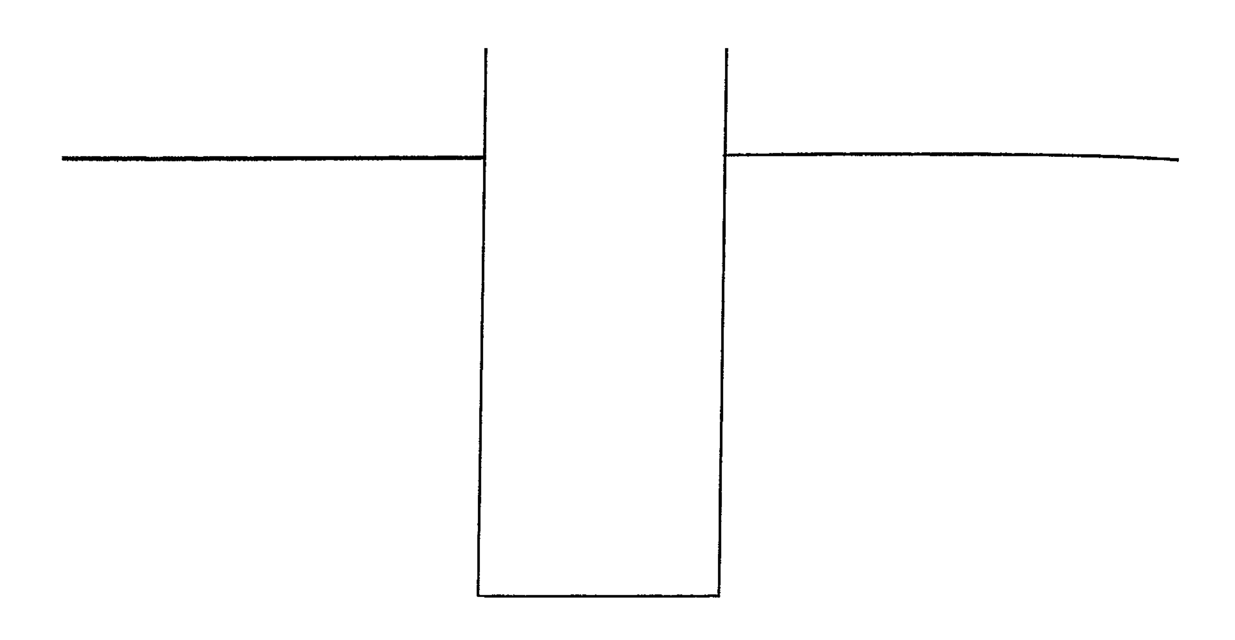
---

(١) الديباجي: أبو القاسم/ زينب الكبرى بطلة الحرية ص٢٢٧ الطبعة الثانية ١٩٩٧م مؤسسة البلاغ - بيروت.

(٢) الديباجي: أبو القاسم/ زينب الكبرى بطلة الحرية ص٢٢٣ - ٢٢٧ مصدر سابق.

(٣) الموسم/ مجلة فصلية/ العدد الرابع/ المجلد الأول ص٧٨٧ مصدر سابق.

(٤) الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ السيدة زينب عالمة غير معلمة ص١٨ - ٢٠ الطبعة الأولى ١٩٩٩م مؤسسة السيدة زينب الخيرية - بيروت/ مركز الرسول الأعظم للتحقيق والنشر - بيروت.



مصادر الكتــاب

١ - ابن أبي الحديد: عبدالحميد/ **شرح نهج البلاغة**/ الطبعة الثانية ١٩٦٥م/ دار احياء التراث العربي - بيروت.

٢ - ابن تيمية: تقي الدين أحمد/ **رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم**/ الطبعة الأولى ١٩٨٤م/ دار القبلة - جدة - السعودية/ تعليق أبي تراب الظاهري.

٣ - ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي/ **الكامل في التاريخ**/ دار صادر - بيروت ١٩٧٩م.

٤ - ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي/ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**/ دار الفكر - بيروت ١٩٨٩م.

٥ - ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي/ **ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق**/ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي/ الطبعة الثانية ١٩٨٠م/ مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت.

٦ - ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي/ **ترجمة الإمام الحسن بن علي من تاريخ مدينة دمشق**/ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي/ الطبعة الأولى ١٩٨٠م مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت.

٧ - ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي/ **تراجم النساء من تاريخ مدينة دمشق**/ تحقيق سكينة الشهابي.

٨ - ابن عقيل: السيد محمد/ **النصائح الكافية لمن يتولى معاوية**/ الطبعة الثانية ١٩٨١م/ دار الزهراء - بيروت.

٩ - ابن منظور: محمد بن مكرم/ **لسان العرب**/ نشر أدب الحوزة - قم - إيران ١٤٠٥هـ.

١٠ - الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين/ **مقاتل الطالبيين**/ تحقيق أحمد صقر دار المعرفة - بيروت.

١١ - الآلوسي: السيد محمود البغدادي/ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢ - الأمين: السيد محسن العاملي/ **أعيان الشيعة**/ دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٨٣م.

١٣ - الأميني: عبدالحسين أحمد/ **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**/ الطبعة الرابعة ١٩٧٧م/ دار الكتاب العربي - بيروت.

١٤ ـ أمين: أحمد/ **فجر الإسلام، الطبعة الحادية عشر ١٩٧٩م**/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٥ ـ الأندلسي: عبد ربّه/ **العقد الفريد**/ الطبعة الثالثة ١٩٦٥م دار الكتاب العربي ـ بيروت/ مطبعة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة.

١٦ ـ بحر العلوم: السيد محمد السيد علي/**في رحاب السيدة زينب**/ الطبعة الثانية ١٩٨٠م/ دار الزهراء ـ بيروت.

١٧ ـ البخاري: محمد بن إسماعيل/ **صحيح البخاري**/ دار الجيل ـ بيروت.

١٨ ـ البعثة: مؤسسة البعثة ـ قسم الأطفال والناشئين/ **الطفل نشؤه وتربيته**/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٩ ـ بروكلمان: كارل/ **تاريخ الشعوب الإسلامية**/ الطبعة التاسعة ١٩٨١م دار العلم للملايين ـ بيروت.

٢٠ ـ بنت الشاطىء: عائشة عبدالرحمن/ **السيدة زينب**/ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧٩م.

٢١ ـ الثقفي: أبو إسحاق/ الغارات/ طبع طهران.

٢٢ ـ الجزائري: السيد نور الدين/ **الخصائص الزينبية**/ انتشارات الشريف الرضي/ قم ـ إيران ١٤١٨هـ.

٢٣ ـ الحر العاملي: محمد بن الحسن/ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**/ الطبعة الخامسة ١٩٨٣م دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٤ ـ الحسني: السيد علي فضل الله/ **سيرة الرسول الأعظم وخلفائه**/ الطبعة الأولى ١٩٨٤م مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٢٥ ـ السيد حسن: داخل/ **من لا يحضره الخطيب**/ الطبعة الأولى ١٩٩١م مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

٢٦ ـ **الحياة:** شركة الحياة الدولية للنشر/ جريدة يومية ـ لندن.

٢٧ ـ خطاب: اللواء الركن محمود شيت/ **الرسول القائد**/ الطبعة الخامسة ١٩٧٤م/ دار الفكر ـ بيروت.

٢٨ ـ الخوئي: السيد أبو القاسم/ **معجم رجال الحديث**/ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م منشورات مدينة العلم ـ قم ـ إيران.

٢٩ ـ الخطيب: السيد عبدالزهراء/ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده**/ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م/ دار الأضواء ـ بيروت.

٣٠ ـ دخيّل: علي محمد علي/ **أئمتنا**/ الطبعة السادسة ١٩٨٢م دار المرتضى ـ بيروت.

٣١ ـ الديباجي: السيد أبو القاسم/ **زينب الكبرى بطلة الحرية**/ الطبعة الثانية ١٩٩٧م مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

٣٢ ـ الدنيوري: ابن قتيبة/ **تاريخ الخلفاء ــ الإمامة والسياسة**/ مطبعة مصطفى الحلبي ـ مصر.

٣٣ ـ الذهبي: محمد بن أحمد شمس الدين/ **تاريخ الإسلام السيرة النبوية**/ الطبعة الثانية ١٩٨٩م/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٤ ـ الذهبي: محمد بن أحمد شمس الدين/**تاريخ الإسلام ــ كتاب المغازي**/ الطبعة الثانية ١٩٨٩م/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٥ ـ الري شهري: محمدي/ **ميزان الحكمة**/ مركز مكتب الاعلام الإسلامي/ قم ـ إيران ١٤٠٣هـ.

٣٦ ـ الزحيلي: الدكتور وهبة/ **التفسير المنير**/ الطبعة الأولى ١٩٩١م دار الفكر المعاصر ـ بيروت.

٣٧ ـ الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي/ **الكشّاف**/ الطبعة الأولى ١٩٧٧م دار الفكر ـ بيروت.

٣٨ ـ الزنجاني: السيد إبراهيم/ **وسيلة الدارين في أنصار الحسين**/ الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

٣٩ ـ السابقي: محمد حسنين/ **مرقد العقيلة زينب**/ الطبعة الأولى ١٩٧٩م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٤٠ ـ السامرائي: الدكتور سعيد/ **حجج النهج**/ الطبعة الأولى ١٩٨٧م/ بيروت.

٤١ ـ السماوي: الشيخ محمد/ **أبصار العين في أنصار الحسين**/ منشورات مكتبة بصيرتي/ قم ـ إيران.

٤٢ ـ سيد الأهل: عبدالعزيز/ **زينب عقيلة بني هاشم**/ الطبعة الأولى ١٩٥٣م/ دار العلم للملايين ـ بيروت.

٤٣ ـ شبّر: السيد جواد/ **أدب الطف**/ دار المرتضى ـ بيروت ١٩٨٨م.

٤٤ ـ شرف الدين: السيد عبدالحسين/ **الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء**/ دار الزهراء ـ بيروت.

٤٥ ـ شلبي: علي أحمد/ **زينب ابنة الزهراء بطلة الفداء**/ الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٤٦ ـ وزارة الأوقاف/ **المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية**/ لجنة التعريف بالإسلام/ مصر.

٤٧ ـ شمس الدين: الشيخ محمد مهدي/ **أنصار الحسين**/ الطبعة الثانية ١٩٨١م الدار الإسلامية ـ بيروت.

٤٨ ـ شمس الدين: الشيخ محمد مهدي/ **ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية**/ الطبعة السادسة ١٩٨١م.

٤٩ ـ الشوكاني: محمد بن علي/ **درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة**/ دار الفكر ـ دمشق ١٩٨٤م.

٥٠ ـ الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ **السيدة زينب عالمة غير معلّمة**/ الطبعة الأولى ١٩٩٩م مؤسسة السيدة زينب الخيرية ـ مركز الرسول الأعظم للتحقيق والنشر ـ بيروت.

٥١ ـ الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ **الفقه ــ كتاب النكاح**/ الطبعة الثانية ١٩٨٨م دار العلوم ـ بيروت.

٥٢ ـ صادق: م/ **زينب وليدة النبوة والإمامة**/ مؤسسة الوفاء ـ لندن ١٩٨٧م.

٥٣ ـ الطبرسي: أحمد بن علي/ **الاحتجاج**/ مطبعة سعيد/ مشهد ـ إيران ١٤٠٣هـ.

٥٤ ـ الطبري: محمد بن جرير/ **تاريخ الأمم والملوك**/ المطبعة الحسينية المصرية/ الطبعة الأولى.

٥٥ ـ الطريحي: محمد سعيد/ **الموسم** ـ مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث/ العدد الرابع/ المجلد الأول ١٩٨٩م.

٥٦ ـ طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر/ **بلاغات النساء**/ تقديم وطبع أحمد الألفي/ منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم ـ إيران.

٥٧ ـ العسقلاني: ابن حجر/ **الاصابة في تمييز الصحابة**/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٨ ـ العمران: الشيخ فرج/ **وفاة زينب الكبرى**/ مكتبة الألفين ـ الكويت ١٩٨٦م.

٥٩ ـ فلسفي: الشيخ محمد تقي/ **الطفل بين الوراثة والتربية**/ ترجمة السيد فاضل الميلاني/ مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف ١٩٦٩م.

٦٠ ـ القزويني: السيد محمد كاظم/ **علي من المهد إلى اللحد**/ الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٢م/ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٦١ ـ القزويني: السيد محمد كاظم/ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد**/ الطبعة الأولى ١٩٧٧م/ المعرض الدائمي للكتاب ـ إيران.

٦٢ ـ القرشي: باقر شريف/ **السيدة زينب بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام**/ الطبعة الأولى ١٩٩٨م دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٦٣ ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسن بن علي**/ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م/ دار الكتب العلمية/ قم ـ إيران.

٦٤ ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام الحسين بن علي**/ الطبعة الثانية ١٩٧٧م/ مكتبة الداوري/ قم ـ إيران.

٦٥ ـ القرشي: باقر شريف/ **حياة الإمام محمد الباقر**/ الطبعة الثانية ١٩٨٤م/ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٦٦ ـ القرشي/ باقر شريف/ **حياة الإمام موسى بن جعفر**/ الطبعة الثانية ١٩٧٠م/ دار الكتب العلمية/ قم ـ إيران.

٦٧ ـ القشيري: مسلم بن الحجاج/ **صحيح مسلم**/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٧م.

٦٨ ـ القمي: الشيخ عباس/ **نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم**/ منشورات مكتبة بصيرتي/ قم ـ إيران ١٤٠٥/ تحقيق رضا استادي.

٦٩ ـ المازندراني: محمد مهدي/ **معالي السبطين**/ مكتبة القرشي ـ تبريز ـ إيران.

٧٠ ـ المجلسي: الشيخ محمد باقر/ **بحار الأنوار**/ الطبعة الثانية ١٩٨٣م مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٧١ ـ محمد علي: موسى/ **عقيلة الطهر والكرم**/ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م/ عالم الكُتب ـ بيروت.

٧٢ ـ المدرسي: السيد هادي/ **أخلاقيات أمير المؤمنين**/ الطبعة الأولى ١٩٩١م مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٧٣ ـ المسعودي: علي بن الحسين/ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**/ دار الأندلس ـ بيروت ١٩٦٥م.

٧٤ ـ معلوف: لويس/ المنجد في اللغة/ **انتشارات اسماعيليان ــ إيران**/ الطبعة السادسة والعشرون.

٧٥ ـ مغنية: الشيخ محمد جواد/ **مع بطلة كربلاء**/ الطبعة الرابعة ١٩٨٤م/ دار الجواد ـ دار التيار ـ بيروت.

٧٦ ـ مغنية: الشيخ محمد جواد/ **التفسير الكاشف**/ الطبعة الثالثة ١٩٨١م/ دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت.

٧٧ ـ المقرّم: السيد عبدالرزاق/ **مقتل الحسين**/ الطبعة الخامسة ١٩٧٩م/ دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت.

٧٨ ـ الموسوي: الشريف محمد الرضي بن الحسن/ **نهج البلاغة**/ تحقيق الدكتور صبحي الصالح انتشارات دار الهجرة ـ قم ـ إيران ١٣٩٥هـ.

٧٩ ـ الميلاني: السيد فاضل/ **فاطمة الزهراء أم أبيها**/ مؤسسة أهل البيت ـ بيروت ١٩٧٩م.

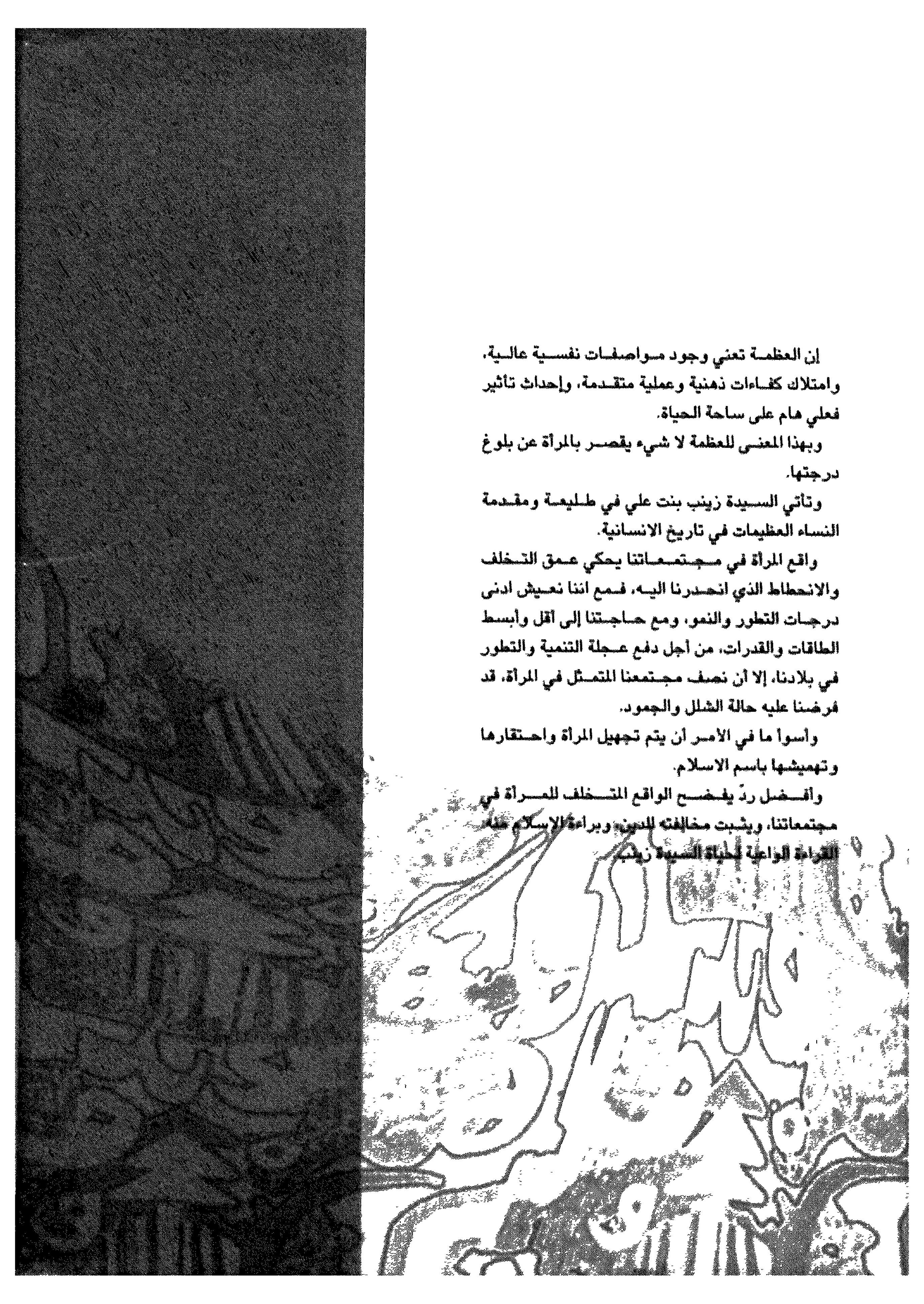
٨٠ ـ النسائي: أحمد بن شعيب/ **خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**/ تحقيق وتخريج أحمد ميرين البلوشي الطبعة الأولى ١٩٨٦م ـ مكتبة المعلا ـ الكويت.

٨١ ـ النشر الإسلامي: مؤسسة تابعة لجماعة المدرسين في قم/ **المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة**/ قم ـ إيران ١٤٠٦هـ.

٨٢ ـ النقدي: الشيخ جعفر/ **زينب الكبرى**/ الطبعة الثانية ١٣٦٢هـ منشورات الرضي/ قم ـ إيران.

٨٣ ـ هارت: مايكل/ **دراسة في المائة الأوائل**/ ترجمة الأستاذ أسعد عيسى ـ المحامي أحمد غسان سبانو/ الطبعة الثالثة ١٩٨٤م/ دار قتيبة ـ دمشق.

٨٤ ـ الهاشمي: السيد علي بن الحسين/ **عقيلة بني هاشم**/ الطبعة الثانية ١٩٩٠م مؤسسة المفيد ـ بيروت.



إن العظمة تعني وجود مواصفات نفسية عالية، وامتلاك كفاءات ذهنية وعملية متقدمة، وإحداث تأثير فعلي هام على ساحة الحياة.

وبهذا المعنى للعظمة لا شيء يقصر بالمرأة عن بلوغ درجتها.

وتأتي السيدة زينب بنت علي في طليعة ومقدمة النساء العظيمات في تاريخ الانسانية.

واقع المرأة في مجتمعاتنا يحكي عمق التخلف والانحطاط الذي انحدرنا اليه، فمع اننا نعيش ادنى درجات التطور والنمو، ومع حاجتنا إلى أقل وأبسط الطاقات والقدرات، من أجل دفع عجلة التنمية والتطور في بلادنا، إلا أن نصف مجتمعنا المتمثل في المرأة، قد فرضنا عليه حالة الشلل والجمود.

وأسوأ ما في الامر أن يتم تجهيل المرأة واحتقارها وتهميشها باسم الاسلام.

وأفضل ردّ يفضح الواقع المتخلف للمرأة في مجتمعاتنا، ويثبت مخالفته للدين وبراءة الإسلام منه القراءة الواعية لحياة السيدة زينب.